فرنســا

صاحت مضيفة الطائرة : « نحن فوق مطار أورلى بباريس فشدوا الأحزمة » سارع كل منا بربط حزام الأمان حول وسطه استعداداً للهبوط على أرض فرنسا ، وما هى إلا دقائق حتّى توقفت المحركات وتوجهنا إلى المنطقة الجمركية وتسلمنا حقائبنا بعد إجراءات مبسطة للغاية ، وكانت فى انتظارى سيدة فرنسية كنت قد استضفتها من قبل فى القاهرة ، وما أن رأتنى حتّى أقبلت على ومعها باقة صغيرة من الزهور وعلى شفتيها ابتسامة الترحيب .

وكانت الساعة قد بلغت العاشرة والنصف صباحاً ، وكم كان سرورى عظيما عندما علمت أنها قد حجزت لى غرفة فى فندق الإليزيه بجوار سفارتنا . ولما كان الطبع السياحى غلاباً فقد بدأت مع صديقتى بزيارة مصلحة السياحة الفرنسية فى شارع الأوبرا .

قابلنى المدير بوجه باش وزاد ترحابه بى عندما علم أنى زميله لهمن مصلحة السياحة المصرية .

دار الحديث بيننا عن سحر الشرق وطيب مناخه ودفء شمسه وسماحة أهله وعظمة آثاره حتى أصبح محط أنظار السائحين ، ثم تشعب بنا الحديث إلى اختصاصات مصلحة السياحة الفرنسية التى كنت حريصة على الإلمام بها ، فعلمت أنها تشرف على كل ما له علاقة أو صلة بالسياحة من مرافق عامة ومواصلات ، ومكاتب سياحية للاستعلامات والجمعيات التى تعمل على تنشيط السياحة ويطلق عليها اسم Syndicats Initiative وهى جمعيات

مستقلة تعمل فى مختلف أنحاء البلاد وأقاليمها، ولها أهمية سياحية كبيرة . وعندما كنت فى بعثة صيفية سنــة ١٩٥٥ قمت فيها بدارسة هــذه الجمعيات وإمكاناتها بناء على تكليف المصلحة لى ، وقد نفذت فعلاً فكرة إنشاء هذه الجمعيات فى بعض المحافظات السياحية ، على أثر التقرير الذى قدمته عنها للمسئولين. وتقوم هذه الجمعيات بطبع نشرات وخرائط سياحية توزع مكاتب السياحة جزءاً كبيراً منها بمعرفتها . وتحصل هــذه الجمعيات على إعانات سنوية من مصلحة السياحة .

ولما أبديت رغبتى فى زيارة أقسام المصلحة اصطحبنى المدير فى جولة، فشاهدت بجانب مراقبة الاستعلامات مراقبة فنية تعد مجموعة من الصور السياحية معظمها عن باريس، كما رأيت فى مراقبة الدعاية نظاماً للملصقات السياحية على جانب كبير من الذوق الفنى الذى يبرز جمال المناطق السياحية فى البلاد .

وعند ما استوضحت المدير عن عمل لجان تنشيط السياحة وأبديت رغبتى فى زيارة أحد مكاتبها، أشار على بزيارة مكتب (ليون Lyon) لأنه أكبر مكتب لهذه الجمعية فذهبت إليه فى اليوم التالى ووجدته يقع فى مبنى ضخم يتوسط المدينة وبه طائفة من الموظفين الذين يجيدون اللغات الإنجليزية والألمانية بجانب الفرنسية ، كما وجدته يحتوى على مجموعات من المطبوعات السياحية

الأنيقة منسقة مبوبة . وأكد لى مدير المكتب بدوره أنه يعتبر أكبر مكتب بالنسبة لأهمية مدينة ليون الصناعية والتجارية ، ثم أفضى بشكواه من ضعف الإعانات التى تمنحها إياه مصلحة السياحة الفرنسية قائلاً : « لولا ضعف الإعانة لاستطاعت هذه المكاتب مضاعفة نشاطها فى الحقل السياحى » .

ويطبع هذا المكتب نحو عشرة آلاف نشرة يحتفظ لنفسه بنصفها ويرسل النصف الآخر لمصلحة السياحة لتوزيعها مجاناً .

وما أن غادرت باب هذا المكتب حتى أشارت على صديقتى بتناول وجبة غذاء خفيفة فى أحد المطاعم ، وبينما كنا ننتظر ما طلبناه لاحت منى التفاتة إلى صورة مثبتة على أحد جدران المطعم تمثل منظرا رائعاً خلاباً للريفيرا الفرنسية ، ولاحظت صديقتى تأملى الطويل للصورة فقالت : « هل زرت هذه المنطقة من فرنسا؟» ، فأجبت : «نعم ولى فيها ذكريات جميلة لن تنسى» وسردت لها بعضها وهى تصغى إلى باهتمام .

وزرت نيس إحدى عواصم الريفييرا الفرنسية التى كانت قرية صيد اكتشفها الإنجليز منذ أكثر من مائة عام، وفعلاً مكثت فيها بضعة أيام عرفت خلالها أنها تضم مائتى فندق .

وبعد وصولى إلى Nice نيس بوساطة الأتوبيس السياحى الإسكندناوى ببضع ساعات وصلتنى دعوة لزيارة نادى البلدية ، فسررت بها طبعاً وخيل إلى أن هناك حفلة موسيقية، فذهبت بعد الظهر وكان مبنى النادى الفخم على الساحل الذى يسمى (نزهة الإنجليز) ، بعد اجتياز الشرفة الكبيرة التى تحتضن المبنى وجدت مكتب الاستعلامات ويشرف عليه موظف على جانب كبير من الأدب فرحب بى ودعانى للدخول عندما أبرزت له بطاقة الدعوة، فسألت : « هل توجد حفلة موسيقية أو استعراضية ؟» ، فأجاب : «كلا توجد صالات اللعب الكبيرة والصغيرة للميسر » فحدثت نفسى كيف أدخل مثل هذا المكان وأنا لا أعرف شيئا عن أنواع اللعب ، وخيل إلى أننى سوف أسترعى الأنظار بدخولى بمفردى ، فعدت أدراجى بعد شكر الموظف ومكثت فى الشرفة أتناول بعض المأكولات .

كانت الشرفة على اتساعها غاصة بالزوار من مختلف البلاد ولم يكن هناك مقعد خال إلا واحداً كنت أضع عليه حقيبتى بجانب المائدة التى أشغلها ، وإذا بى أفاجأ بشخص ضئيل الجسم يبتسم ويسأل إذا كان من الممكن أن يشغل المقعد الذى تشغله حقيبتى ،وكانت معه سيدة ضئيله مثله فرحبت بذلك طبعاً . وبعد برهة كان قد تم التعارف بيننا وشعرت كأننا أصدقاء منذ عهد بعيد وأظهرا شيئاً من الدهشة عندما علما بأنى مصرية وعرفتهما عنوانى فى الفندق الذى أنزل به واتفقنا على أن نقضى اليوم التالى معاً .

وفى صباح اليوم التالى كنت فى صالة الاستقبال بالفندق ووجدت صديق الأمس الألمانى وقرينته وقد تركت لى محلها بجانب (جونتر) زوجها وجلست هى فى المقعد الخلفى تكريماً لى كضيفة ،ولأنها لا تتكلم إلا الألمانية فكان زوجها يقوم بالترجمة بيننا .

كان جونتر (Gunter) يعرف طرق الريفييرا جيداً وطرقها الجبلية بين نيس وكان وجوان ليبان وهو المكان المفضل كمصيف للامبراطورة السابقة ثريا وشاه إيران .

قضينا يوماً ممتعاً على هذه الشواطئ نتجاذب أطراف الحديث كل عن بلده ثم عن المكان الجميل الذى تلاقينا فيه،وعند ما عدنا بعد الظهر طلبت من (جونتر Gunter) أن يعتذر لإلزا Elas زوجته عن عدم إمكانى التفاهم معها بالألمانية ووعدتها بدراسة اللغة إكراماً لها ، وأجابت أنها ستكون سعيدة بالتفاهم معى مباشرة وسوف تحاول هى أيضاً أن تتعلم العربية إكراماً لى وقالت إنها قضت معى يوماً ممتعاً ، هيأت لها فيه جواً جديداً مسلياً أنهى المناقشات العائلية المتعبة من مراجعة الميزانية والاختلاف فى الرأى ، فهى مثلاً لا تحب الشمس وهو على العكس منها ، فكان هذا أول يوم لم تحدث فيه (خناق) أو مناقشة بل التقاط صور وتهريج ووقت ممتع .

كنت على نية قضاء يومين فقط فى هذا المكان ، ولكنى أطلت المدة إلى عشرة أيام مع الرفيقين الظريفين وكان وداعاً مؤلماً .

واستمرت المراسلات بيننا ووعدا بزيارة مصر إكراماً لى بعد سنتين ، فسألت ولماذا بعد سنتين ؟ فأجاب جونتر Gunter بأنه فقد كل ما يملك أثناء الحرب وأنه يبدأ حياته من الصفر هو وزوجته الصغيرة ونجلها الوحيد وهذه كانت أول رحلة لها بالسيارة الجديدة . وفى السنة القادمة سوف يؤثث المنزل ثم يقوم برحلة إلى البلاد العربية بعد سنتين ، وقد أعجبت بهذا االتخطيط العائلى الذى يتم عن نظام وفهم للحياة .

حفلة ١٩٥٥/٧/٢٣ :

دعتنى حرم سفيرنا لزيارة السفارة وفى الساعةالسادسة والنصف مساءكانت السفارة حافلة بالشخصيات الدبلوماسية وكانت الزهور فى القاعات والأبهاء تسترعى الأنظار لحسن تنسيقها وجمال رونقها وكانت المائدة حافلة بأنواع الأطعمة الغربية وكم كان بودى أن تحفل ببعض الأصناف الشرقية .

كان عدد المصريين كثيراً وكانت ملابس الملحقين العسكريين المصريين مثار إعجاب المدعوين .

٩٥٥/٧/٢٦ :

أما حفلة الملحق العسكرى المصرى فى ذلك الوقت (بكباشى ثروت عكاشة) فكانت حفلة شائقة وكان المكان مناسبا إذ أقيمت فى الحديقة الملحقة بالملهى الفخم فى غابات بولونيا Pré Callon ، وكان مشهورا فى ذلك الوقت بفخامته ورقيه . وكان عدد الملحقين العسكريين من السفارات الأجنبية لافتاً للنظر وأذكر أن معظم الحاضرين كان بادى الاهتمام بما حققته الجمهورية من منجزات وكان عدد الموسيقين الفرنسيين والفنانين ملحوظافى ذلك الحفل ، وأعتقد أن السبب يرجع إلى أن صاحب الدعوة فنان أصيل .

مكتب البعثات المصرى :

بلغ عدد موظفات المكتب فى ذلك الوقت خمساً وقد مضى على عملهن فى المكتب سنوات عدة مما جعلهن يتمصرن ، ويبدو ذلك فى طريقة استقبالهن وفى النكتة اللطيفة يقلنها بمناسبة وصول عضو بعثة أو سفره ، وعندما سألت إحداهن عما إذا

كانت تحب مصر قالت : « وأتمنى لو أتيحت لى زيارتها ومن الغريب أنى لم أبرح باريس» ،وبهذه المناسبة أقترح تسهيل زيارة بلادنا للقائمين بالعمل فى مكاتبنا فى الخارج إذا ما لمسنا فيهم الكفاءة والإخلاص فى العمل .

كان فى برنامجى أن أمكث فى باريس بضعة أيام للوقوف على أحدث الوسائل المتبعة فى فن المكتبات ،وكانت دار الكتب الأهلية الفرنسية هى خير مرجع لتحقيق رغبتى . لم أركب « المترو » الذى يسير تحت الأرض لا خوفاً منه وإنما أردت أن أقطع المسافة بين الفندق الذى أقيم فيه وبين « الدار » سيراً على الأقدام لأشاهد الحركة اللامعقولة فى شوارع مدينة النور والعلم .

طلبت مقابلة أحد المسئولين فى مكتبة باريس الأهلية فجاءتنى فتاة تعلو شفتيها ابتسامة الترحيب ،ولما قدمت نفسى لها اتسعت الابتسامة وقدمت نفسها إلى بدورها قائلة « أنا مدموازيل جاكيو Jackio رئيسة قسم الملابس والميداليات التاريخية فى المكتبة وخالى هو المسيو دريتون الذى كان مديراً لمصلحة الآثار فى مصر والذى ألف عدة كتب عن الآثار الفرعونية ولا يطيب له الحديث إلا عن الفراعنة ومدنيتهم العريقة » .

وقد أشعرتنى بحديثها وترحيبها أننى مع صديقة قديمة ،ثم قادتنى إلى مختلف أقسام الدار وأنا أستمع لشرحها وكانت لا تمل فى أثناء الطواف من ترديد الحديث عن خالها مسيو دريتون وعن مصر التى تأخذ آثارها بالألباب .

ومن غرائب الصدف أن يقع نظرى فى قاعة المخطوطات على مواطن مصرى منكب على سجل مستطيل التشكل أكل عليه الدهر وشرب ،فدنوت منه مدفوعة بحب الاستطلاع فرأيت سجلا محررا بخط غريب لم أفهمه ،وسمعت هذا المواطن يقول لرئيسة القسم « مدموازيل دلفرنى Dalverni » إن هذا المخطوط ليس دفتر حسابات كما كتب على غلافه ، وإنما سجل قيدت فيه أسماء كبار رجال الدولة المصرية سواء من استشهد منهم أو من توفى ، ودون فيه ما خلفوه وراءهم من ميراث ؛ من عبيد إلى أثاث ورياش . . . الخ وحدد فيه نسبة الضريبة المستحقة على هذا الميراث بما يقطع بأن مصر

عرفت ضريبة التركات منذ أكثر من ثلاثة قرون . ويرجع تاريخ هذا المخطوط الذى كتب بخط (القرمه) إلىسنة ١٠١٨ هجرية،وبدى أن أهمية هذا السجل التاريخية عظيمة جدا . ومن الغريب أن الزميل المصرى وهو الأستاذ إبراهيم المويلحى وجد فى صفحة ٢١ من هذا الكتاب اسم جده الأكبر حسين المويلحى بك الذى كان فى ذلك الوقت « بك الخزينة المصرية العامرة » أى مديرها . وغادرت الدار شاكرة للمسئولين اهتمامهم بشأنى .

ولما كان كثير من المصريين يعانون من أمراض الكبد والكلى فقد رافقت إحدى السيدات المصريات التى جاءت للاستشفاء بمياه (ڤيتل) وهى قرية تبعد عن باريس بحوالى خمس ساعات (بالاتوكار). فركبناه سوياً مبكرين،فوجدنا الطريق فى الريف الفرنسى مسليا وجميلا ،وفى كل بلدة صغيرة توجد استراحة ومطعم لا يقل جماله عن مطاعم باريس . ولكل منها شهرة فى وجبة شهية معينة .

وفى (ڤيتل) أكثر من نوع من المياه المعدنية لأمراض الكلى والكبد وحمامات مختلفة تحيط بها حدائق غناء واسعة،ومدة العلاج بها نحو ثلاثة أسابيع . وكنا نلتقى فى مواعيد معينة صباحاً ومساء وأهل البلد والأجانب يجتمعون عند الينابيع (الا Sources) كل يحمل كوباً ليشرب من ينبوع معين حسب إرشادات الطبيب وبمقدار معين كأنه دواء لاتجوز مخالفته .

وأهم ما يلفت النظر فى ڤيتل تلك الأتوبيسات الزرقاء Autocars Bleus للرحلات القصيرة خارج البلد حتى لاتبعث الإقامة بها على الملل خصوصا إذا كان المقصود هو العلاج .

فى ميدان يتوسط الفنادق والحمامات توجد عربة صغيرة وبها سيدة تقوم بالحجز ولوحة كبيرة مدون عليها الرحلات الأسبوعية يوما بيوم،والمواعيد من ذهاب وإياب وكل ما يريد السائح معرفته .

وقد دخلت مكتبة صغيرة قريبة من هذا المكان لشراء بعض الكتب فأهدانى صاحب المكتبة دليلاً صغيراً يحتوى على كل ما يرغب السائح

فى معرفته ؛ ففيه تعريف بمحالها ، ولم يطلب منى ثمنا للدليل فشكرته ، وهذا برهان على أن المواطن الفرنسى بار بوطنه . وقد قمت برحلة على إحدى هذه السيارات إلى أماكن أثرية جميلة خارج (ڤيتل) جددت نشاطى وأذهبت عنى ما كنت أشعر به من جهد وإرهاق .

حضارة مصر الفنية تبعث فى فرنسا :

عند عودتى إلى الفندق ذات مساء وجدت فى حجرتى دعوة فى انتظارى لحضور حفل افتتاح معرض « صالون الفنانين الفرنسيين » بباريس ، ويعتبر أكبر معرض فنى فى فرنسا إذ لا يسمح بالاشتراك فيه إلا لكبار الفنانين بعد عرض أعمالهم على لجنة من خمسين فناناً .

لم أتوان فى تلبية الدعوة ، وكم كانت دهشتى عندما وقع بصرى على ثلاثة تماثيل تقدم بها المثال المصرى عبد الحميد حمدى ، ولقد سررت عندما علمت أنه قد فاز بالميدالية البرونزية على أهم تمثال فى مجموعة (مصر الحرة) وهو عبارة عن أسد خطوط جسمه فيها جمال وحياة وشاعرية وفتاة ترمز إلى مصر تنبض بالفتوة والرشاقة يعبر عنهما قوامها الفارع ، أما حركة الذراعين فهى تعبر عن الثورة ضد الخمول والضعف وتدفع الشباب إلى العمل ، ثم شعلة فيها كل الجمال والمعانى السامية ، فما أسعد مصر بما حققته هذه التحفة من نصر فنى على أيدى أحد أبنائها الأبرار .

كنت على موعد مع قرينة قنصلنا فى باريس لمشاهدة (لا ترافياتا) فى دار الأوبرا الباريسية على أن نتقابل فى مقهى (كافيه دى لابيه) إذ أنها ملتقى المصريين هناك . ذهبت بالأتوبيس من الشانزلزيه حيث أقيم إلى ميدان الأوبرا حيث اللقاء ، ويجدر بى هنا أن أنوه بالنظام الذى يسود سكان باريس من ناحية عدم التزاحم والتضارب للصعود إلى الأتوبيس أو النزول منه إذ يقفون فى طابور منظم على المحطة كل بدوره فى الركوب لا يسبق راكب

راكبا آخر . أما نظام التذاكر فكان فريداً فى نوعه، فالتذكرة مقسمة إلى أجزاء صغيرة سجل على كل جزء منها محطة واحدة على أن يعطى الراكب للكمسارى أجزاء بعدد المحطات، وإن كان الراكب أجنبيا فإن المحصل يرشده إلى عدد المحطات والمحطة التى يقصدها . وهذا يدل على الثقة المتبادلة بين المحصل والركاب إذ يستطيع أى راكب لا ضمير له أن يناول الكمسارى جزءين أو ثلاثة من التذكرة ثم يركب بها عشر محطات وقد لا ينتبه إليه المحصل إطلاقاً وإنما هو شرف المعاملة بين سكان باريس .

قابلت صديقتى فى ميدان الأوبرا واستمتعنا بالسهرة فى دار الأوبرا التى كانت تزخر بالمشاهدين ولا سيما السائحين الأجانب . وبهذه المناسبة لاحظت أن معظم ملاهى باريس تكرس فنها ولعبها للدعاية للبلد . كنت فى ملهى (الكابوسين Capucine) ومعظم بنود البرنامج قائم على النكتة اللطيفة والدعابة مع الأمريكان، ووجدت أكثر الاستعراضات تبعث البهجة والسرور فى نفوس المشاهدين، ومجاملة للسياح تعرض بعض البنود باللغات الأجنبيه وينتهى الاستعراض بتحيتهم مما جعل الإقبال شديداً على هذه الملاهى .

هناك مبادئ ثلاثة اشتهرت بها فرنسا ؛ الحرية والإخاء والمساواة وتعتبر فرنسا فى مقدمة بلاد السياحة فى أوربا لأن السائح يجد بها كل شيء فهناك مجموعة من مدن المياه تكاد تصلح لكثير من الأمراض التى اكتشفها الطب، وهناك السواحل والشواطئ والبقاع الجبلية ذات الجمال الساحر والتى يود السائح المصرى أن يزورها، وأذكر منها سلسلة الجبال البيضاء (ألمون بلان Monto Blans) يكلل رءوسها الجليد طوال العام، ومن أهم المدن التى تستحق الزيارة فى هذا الإقليم (شامونيكس) Chamonix وكان لى فيها منذ عهد بعيد مغامرة طريفة، فقد كان الوصول فيها إلى أعلى جبل الثلج ويبلغ حوالى ثلاثة آلاف قدم بواسطة (تليفريك) ولا يكلف السائح أكثر من ثلاثين قرشا فى ذلك الوقت، فصممت أنا وبعض الزميلات

وكنا طالبات فى رحلة علمية على أن نقتصد هذا المبلغ ونتسلق الجبل ، وفعلا اشترينا عصياً بكعوب حديدية وأحذية من الفلين خاصة بتسلق الجبال وكان ثمنها أكثر من أجرة التليفريك ولكنه حب المغامرة والرياضة إذ كانت أول رحلة لى فى أوربا عندما كنت طالبة بالكلية الأمريكية. وينتهى وادى شامونيكس إلى طريق يشبه عنق الزجاجة يؤدى إلى سويسرا ، وتوجد فى ذلك الإقليم ثلاث بحيرات جميلة هى ليمان وبورجيه وأنسى ancy وقد تغنى كثير من شعراء فرنسا بجمال هذه البحيرات وعلى الأخص لامارتين .

ومن الأقاليم الجبلية الأخرى فى فرنسا إقليم البيرنيه وفيه الجبال التى تفصل بين فرنسا وأسبانيا ، وجمال الطبيعة هناك والحياة الريفية على الفطرة ، وقد قضيت نحو أسبوع فى (ولى أرييج Moulis Ariége) التى تقع فى حضن (البرنيه) فى ضيافة إحدى السيدات الفرنسيات التى عاشت فى مصر سنوات عدة تعتبرها وطنها الثانى .

موناكو :

دولة الجيب كما يسمونها وتقع فيها مدينة مونت كارلو . . مدينة الزهور وهى أشهر مدن إمارة موناكو المستقلة عن فرنسا ولها جيشها وحاكمها (الأمير) وأهلها لا يدفعون الضرائب لفرنسا كما أنها أشهر مدن الميسر فى العالم كله وقد زرت فيها أيضاً متحف الأسماك (أكويريام) الذى يجمع أشهر أنواع الأسماك والأحياء المائية الأخرى .

وهى تعتمد على إيراد ملهى مونت كارلو وإيراد الفنادق المشهورة وأهمها ، أوتيل دى بارى وآرميتاج ويقال إن الأمير يشرف شخصيا على الإدارة العليا للفنادق والكازينو حتى يضمن حسن سير الإدارة وعدم إرباك العمل فى هذه الفنادق مما قد يؤدى إلى اغضاب السائحين الأمريكان والإنجليز الأثرياء والشرقيين من النزلاء .

مونت كارلو :

مدينة الفضيلة : ولا يوجد فى هذه المدينة ملاه ليلية كما هو الحال فى فرنسا فلو لم يكن هناك كازينو القمار لصارت نموذجاً للمدينة الفاضلة وأعتقد أن السبب الحقيقى هو أن المسئولين عن الإدارة تبينوا أن أماكن اللهو الليلية قد تصرف بعض الزوار عن القمار ، وبالتالى يقل الإيراد الذى يعتمد كله على أرباح كازينو القمار بألعابه المختلفة .

و(الاكويريام) متحف الأحياء المائية يعد من أكبر المتاحف فى أوروبا بمجموعة صوره النادرة ، ويا حبذا لو أن هواة الصيد فى أعماق البحار عندنا تعاونوا مع المسئولين فى تعزيز متحفنا المماثل فى السويس أو الإسكندرية ولا سيما أن منطقة البحر الأحمر حافلة بأنواع نادرة من الأسماك والأصداف نستطيع بها منافسة المتحف الفرنسى ذى الشهرة العالمية بل ربما تفوقنا عليه .

بعد زيارة ممتعة خاطفة لهذا المتحف عزمنا على مواصلة الرحلة إلى إيطاليا عن طريق الريفيرا .

نيس :

عاصمة الساحل الأزرق وبها ٢٠٠ فندق وتقام بها مهرجانات وسباق خيل وسباق السيارات والزوارق وإنها وإن كانت تقع على ساحل البحر إلا أن الجبال الشاهقة التى تكتنفها تحميها من شدة هبوب الرياح الباردة فى الشتاء . وتجد قراها وطرقها الضيقة على قمم الجبال مما يضفى على البلدة جمالاً وبهجة ويبدو أن الطبيعة قد حبتها بعطفها حتى جعلتها فى نفس الوقت مصيفاً يتسابق إليه الناس ومشتى تتجه إليه الرعية .

ايطاليـــا

شاطىء القرنفل :

بعد أن تركنا وراءنا الحدود الفرنسية ظهرت لنا معالم الريفيرا الإيطالية وهى لا تختلف كثيراً عن أختها الفرنسية اللهم إلا فى حسن التنسيق واختلاف طريقة المعاملة ، فالشعب الإيطالى يمتاز عن الشعب الفرنسى بكرم الوفادة والترحيب وحسن اللقاء .

وصلنا مدينة (سان ريمو) وهى عاصمة (ساحل الزهور) كما يسمونها ، وتوجد لها مزارع شاسعة للقرنفل فضلا عن بعض الزهور الأخرى ، وكانت آثار الحرب بادية للعيان فى بعض المبانى القائمة على الهضاب ثم ينخفض الطريق إلى شاطئ رملى جميل و لم تكن الطرق ممهدة كما هو الحال فى الساحل الفرنسى ، فمررنا ببعض الآثار من العهد الرومانى ، واسترعى انتباهى نصب تذكارى تحيط به رسومات من الزهور والخضرة تسجل تاريخ إنشائه منقوشاً بالقرنفل الأحمر الجميل . وناهيك بطريقة الإعلان المشوقة الواضحة التى تبدو على طول الطريق ، وعندما وصلنا إلى سافونا ظهرت « الزهريات » والأوانى — الفخارية وهى الصناعة التى تشتهر بها هذه البلدة — ثم لاحت منطقة خضراء خصصت للمعسكرات تلمح منها البحر من وقت لآخر من خلال الأشجار الوارفة .

واصلنا السير إلى سانتا مرجريتا التى تشبه إلى حد كبير « جوان ليبان » فى فرنسا وهى مركز عالمى للرياضة البحرية . كان ميعاد الغداء قد حان ونحن فى سانتا مرجريتا. وفى مطعم صغير على الشاطئ سألنا عن الأكلة المفضلة ، أو طبق اليوم فكانت سمكة فى الفرن ، وحضر الجارسون بعد مدة قصيرة يحمل لفافة ورق فى طبق طويل وإذا بالسمكة داخلها ، وكانت أكلة شهية جدا استأنفنا بعدها السفر بالأتوبيس إلى رابالو .

أما مدينة (رابالو) وهى أصغر قليلا من (سانتا مرجريتا) فتحتوى على مجموعة من المراكب الشراعية واليخوت التى يملكها أصحاب الملايين من شتى دول العالم، كما أن الألوان الزاهية التى طليت بها الكباين على الساحل تضفى على المنطقة طابعاً خاصاً يتسق مع ألوان حقول الزهور .

ثم سرنا فى طرق متشعبة متنوعة، فتارة تصعد بنا إلى أعالى الجبال فترى منها بانوراما جديدة بريشة رافائيل أو بنس ، وأخرى تهبط بنا إلى الساحل .

وقد لاحظت أن الجبال نفسها متنوعة الألوان والتكوين؛ فمنها الصخرى والحجرى الأصفر ومنها ما زينته يد الطبيعة بمختلف الزهور الصغيرة والنباتات البرية ، فسبحان الذى سخر كل هذا الجمال ليستمتع به الإنسان .

روما المدينة الخالدة :

هبطت إلى روما موفدة من قبل مصلحة السياحة لدراسة نظم المكاتب السياحية وجمعيات تنشيط السياحة التى اشتهرت بها إيطاليا ولما كان مقر مصلحة السياحة فى روما فقد قصدت فى أول الأمر زيارتها إذ تعتبر العمود الفقرى الرسمى للسياحة ، وتخضع لرياسة مجلس الوزراء مباشرة .

كان المدير متغيباً فى باريس، فقابلنى السكرتير وقدمنى إلى مدير قسم السياحة الخارجية الذى حصلت منه على بعض المعلومات والمطبوعات لأدرسها، وقد أظهر شعوراً طيباً نحو مصر والمصريين وتمنى أن تتاح له الفرصة للسفر إليها، وأبدى أسفه لأن التكاليف باهظة ومستوى الفنادق المصرية مرتفع جدا . ولذلك كان الأغنياء فقط هم الذين يمكنهم السفر لمصر . أما غيرهم فيفضل السفر إلى البلاد القريبة الرخيصة كإسبانيا والنمسا وفرنسا الخ ...

فأبلغته — أن مصر الآن مستعدة لاستقبال السائحين ذوى الدخل المحدود وأنها تعتبر أرخص بلاد العالم وأن الفنادق المعتدلة الأجور أصبحت كافية لعدد لا بأس به والمعيشة عموماً مريحة ومعتدلة . . ثم دار بيننا الحديث حول الهيئات السياحية فى إيطاليا فقال إنه توجد القومسارية السياحية؛ وهى هيئة يرأسها قومسيير ويتعاون معه مجلس مكون من ٢٨ عضواً هم مندوبو وزارات الخارجية والداخلية والتجارة والمالية والتربية والمواصلات واللجنة الأهلية الأولمبية والجمعية الأهلية للبنوك واتحاد المطاعم والمحال العامة الإيطالية ،وشركة (شيت) للمواصلات السياحية الإيطالية والمنطقة الأهلية المساعدة الاجتماعية (E.N.I.T.) ومندوبو شركات تنشيط السياحة (E.P.D.T.) ومدير الشركة الأهلية الصناعية للسياحة . ويسترشد رئيس المجلس بآراء المندوبين والمديرين ويشركهم فى بحث المسائل السياحية الأهلية ، وتتكون لجان من الخبراء لدراسة المشكلات الخاصة بالسياحة ويجوز تعيين بعض موظفى الحكومة أعضاء فى هذه اللجان . ولهذه القومسارية اعتماد خاص فى ميزانية الدولة .

ثم استطرد قائلا إنه توجد اللجان الإقليمية لتنشيط السياحة ولها الشخصية المعنوية وتعمل تحت إشراف القومسارية السياحية ولها مكتب فى كل من الأقاليم التسعين ، وهى تعمل على تقديم مشروعات واقتراحات فى الميدان السياحى وتنظيم طرق الدعاية السياحية بالإعلانات والنشرات ثم توثيق الصلة بين الهيئات والمكاتب والجمعيات السياحية .

وقد سألته عن الموارد المالية التى تعتمد عليها ميزانية هذه اللجان فأجاب :

إن ميزانية هذه اللجان تعتمد على تبرعات الغرفة التجاريه والإدارات الإقليمية وضريبة الإقامة ثم إعانة الحكومة .

وعندما سألته عن نشاطات سياحية أخرى حيث إنى كنت فى صدد دراسة هذه اللجان بالذات لأنها لم تكن قد أنشئت عندنا حتى سنة ١٩٥٥ ، أجاب بأنه توجد مكاتب سياحية فى المناطق العلاجية الإقليمية ويبلغ عددها فى إيطاليا ٢٠٠ ومن اختصاصاتها :

(١) الإشراف على تحسين وتجميل الطرق والحدائق العامة والمنشئات والمواصلات لهذه المناطق .

(٢) الإشراف على المشكلات العلاجية والأغذية .

(٣) الدعاية والإعلان عن المركز الصحى لجلب الأجانب من المرضى .

(٤) القيام بمشروعات من شأنها تحسين المركز السياحى والإسهام فى المعارض والمباريات والأسواق الخ ..

ولهذه المكاتب الحق فى الإشراف على المنشآت العامة التى يتردد عليها الأجانب ، وترأس وزارة الداخلية هذه المكاتب وتنفق عليها من ضريبة الإقامة ،وإذا لم تكف لتغطية مصروفاتها فإنها تستكمل من ضريبة الملاهى والمحال العامة .

اكتفيت بهذه المعلومات القيمة من الموظف الكبير فى مصلحة السياحة فى إيطاليا ، واعتبرتها أساساً لبدء زيارا لهذه المكاتب فى مختلف البلدان الإيطالية قبل وضع التقرير المطلوب عن دراسة هذه اللجان لتنفيذها عندنا .

وقد قمت فعلا بزيارة بعض أفرع هذه المكاتب فى مختلف بلاد إيطاليا كفينيا وجنوا وفلورنس وميلانو الخ .. ولمست مدى نشاطها والخدمات السياحية التى تقدم بوساطتها فى هذا البلد السياحى العظيم .

وقد أنشئت الآن فى بعض محافظاتنا هذه اللجان لتنشيط السياحة فيها ، ولكن أعتقد أنها تنقصها الإمكانات والصلاحيات اللازمة .

مكاتب السياحة للاقامة والعلاج :

وهى المكاتب التى توجد فى المناطق العلاجية مثل ابانو ومونتكاتينى ومجموعها فى إيطاليا ٢٠٠ وعملها الإشراف على هـــذه المراكز العلاجية والدعاية لها والعمل على تحسين مواصلاتها وحدائقها وميادينها وفنادقها .

وما أحوجنا إلى مكتب واحد فى مدينة حلوان مثلا وهى المدينة العالمية التى تكاد تلفظ آخر أنفاسها إذا قيست بالمدن العلاجية التى تفوقها حلوان، سواء فى نوع العيون الكبريتية أو مناخها ، وأكثر من يؤمها من السويد والألمان ، ولكن نجدهم لا يبرحون الفنادق لانعدام وسائل الترفيه أو لعدم تشجيعهم على القيام برحلات كما هو الحال فى فيشى وفيتل بفرنسا مثلا .

كنت ضمن المشتركين فى مؤتمر المكتبات الذى عقد فى روما،وبينما أنا فى غرفة الطعام بالفندق أتناول طعام الإفطار على عجل حتى لا أتأخر عن موعد المؤتمر ، وكنت أدون فى أثناء ذلك بعض مشاهداتى ومذكراتى ، وجدت خلفى رجلا تبين لى فيما بعد أنه فنان إنجليزى كان يتابع ما أدونه فى دهشة وحب استطلاع ، فأخذ يسألنى بعينيه قبل شفتيه عما أكتب وبأية لغة ؟ فأجبته بالإنجليزية : بأننى أكتب بالعربية وليس بالصينيه .

دهش الرجل وبدأ يسألنى عن بلادى وعن اللغة الغريبة التى تخالف لغته فى الكتابة من اليمين ، وعندما سألته عن عمله أجاب بأنه فنان رسام إنجليزى جاء فى بعثة للدراسة الفن فى إيطاليا،وأنه سعيد بوجوده هنا، وعندما استأذنت للانصراف حيث أن موعد الاجتماع كان قد حان وكنا سوف نحظى بمقابلة البابا فى مصيفه كاستلو جوندولفو (Castello Gondoifo) بعد بضع ساعات، سألنى السيد الفنان عما إذا كنت قد اشتريت غطاء للرأس لمقابلة البابا،فدهشت وعلمت منه بأننى لن أقابل البابا إلا إذا كان على رأسى طرحة سوداء احتراماً للتقاليد

وجدت نفسى فى مأزق ولكنه استطرد قائلا : لا تنزعجى فسوف تجدين فى محال شارع فيا ناسيونال وهو قريب جدا كما تعلمين قطعة دنتلة سوداء على شكل مثلث تباع خصيصاً لهذه المناسبة وهى زيارة البابا . فشكرته وأسرعت إلى فيانا سيونال ولم أجد صعوبة فى شراء الدنتلة السوداء لتغطية الرأس وكان ثمنها زهيدا جدا على ما أذكر .

كان أعضاء المؤتمر حوالى ٣٠٠ من حوالى ١٢ دولة من دول أوربا. وكان ما يقرب من ثلث الأعضاء من النساء وكنت الوحيدة من الجمهورية العربية المتحدة وكنت عضو مجلس إدارة فى جمعية المكتبات المصرية .

أول ما لفت نظرى الحرس البابوى بملابسه التقليدية الحمراء عند أول باب للقصر الذى خيل إلينا أنه معلق بين جبلين ويطل على بحيرة كبيرة وكان الاستقبال فى بهو فسيح فوقه منصة عالية . وبعد أن استقر بنا المقام حضر البابا يحف به الحراس فى موكب مهيب وحيانا برفع يده ثم اعتلى المنصة وفى صوت هادئ عميق تكلم بلغة فرنسية سليمة محيياً الضيوف ، ثم تكلم عن أهمية المكتبات ورفع مستواها وتعاون البلدان فى تبادل الكتب الثقافية، وقال إن هذا يتوقف عليه الكثير من التفاهم والسلام بين الشعوب. وكان عظيما فى إلقائه، ثم أنهى كلمته بدعوة أعضاء المؤتمر لزيارة مكتبة الفاتيكان ومكتبته الخاصة التى تعتبر من أهم المكتبات العالمية .

ثم نزل من فوق المنصة ومر بيننا وقد فوجئت به عندما سألنى عن بلدى وهو يحيينى باللغة العربية مجاملة لى وأعطانى هدية وهى ميدالية مازلت أعتز بها ثم عرفت أنه يتكلم أكثر من خمس لغات منها العربية .

أخذنا طريقنا مباشرة إلى مكتبة الفاتيكان العظيمة بعد ذلك ، والزائر لمكتبة الفاتيكان يخيل إليه أنه فى متحف رائع ، إذ هى تضم مجموعة من الهدايا الثمينة مقدمة من الملوك ورؤساء الدول والبابوات ومن بينها أكبر إنجيل وأصغر إنجيل وهما آية فى دقة الفن والذوق .

أما صالة المطالعة فإنها تضارع أفخم غرف الاستقبال فى أعظم القصور فضلا عما ازدانت به من تماثيل نادرة لأشهر الفنانين الرومان .

انتهينا من هذه الزيارة النادرة ومعنا هدية هى دليل المخطوطات القيمة فى المكتبة وشكرنا مرافقينا وعدنا إلى الفندق .

ويهمنى هنا أن أسجل حادثا طريفا وقع لى فى أثناء تناول الطعام مع بعض الأعضاء وكانت من بينهم أمينة مكتبة فى انجلترا سألتنى :

— هل أنت أمينة مكتبة ؟ ومن أى بلد ؟

— نعم أمينة مكتبة ومن القاهرة .

— عفواً هل عندكم مكتبات فى مصر ؟ ولماذا ؟

فدهشت وقلت للسيدة :

— هلا علمت أن فى القاهرة أقدم جامعة فى العالم كله ؟ وهى جامعة الأزهر وهل تظنين أن جامعة كجامعة الأزهر مثلا لايوجد بها مكتبة واحدة على الأقل ؟ لعلك لم تقرئى عن مصر مطلقا .

فاعتذرت السيدة وقد كانت هذه الحادثة السبب فى اعتزامى القيام ببحث تاريخ جامعات العالم لأضعها بالترتيب حسب الأقدمية بعد تاريخ إنشاء جامعتنا الأزهرية طبعاً .

محطة سكة حديد روما :

المحطة الجديدة عظيمة بمبانيها ونظافتها ونظامها ، إذ يرى الداخل فيها البهو الكبير الأول الذى يضم حوالى ١٥ نافذة تذاكر لها حواجز حديدية تجعل كل مسافر لا يتعدى دوره ، وعلى جانب البهو لوحة بمواعيد قيام القطارات السريعة والعادية والديزل الخ .. وعلى الجانب الآخر لوحة

أخرى بمواعيد وصول القطارات اليومية وإذا ما تأخر قطار عن موعده يذاع ذلك بالمكبرات فى المحطة ، ثم يشار بعلامة على اللوحة فى البهو الثانى ، وهو فى حجم الأول وتفصله عنه حوائط وأبواب من الزجاج الفاخر ، وفى جانب هذا البهو الثانى ثلاثة مطاعم ، أحدها من الدرجة الأولى وآخران من الدرجة الثانية ، وفى كل منها دورة مياه كاملة .

وعلى كل رصيف رقم كبير ظاهر وله مدخل خاص بحيث لا يضل المسافر فى العثور على قطاره على الخط المطلوب .

والمحطة مزودة بحمامات بخار وصالونات للتدليك ..الخ ومزودة أيضا بجهاز كهربائى للتدليك الأوتوماتيكى يشبه الميزان يدفع فى استعماله ٥٠ ليرة لمدة دقيقتين و ١٠٠ ليرة لمدة خمس دقائق أما القطارات فنظيفة ومزودة بدورات مياه وعدد من الإعلانات السياحية عن إيطاليا ومختلف بلاد العالم .

نيفولى أو حديقة النافورات :

كان ضمن برنامج المؤتمر زيارة بعض معالم إيطاليا ومن بينها حدائق تيفولى المشهورة وهى تبعد عن روما بحوالى ٣٠ كيلو متراً وتقع فى منطقتها فيلا أدريانا وهو الامبراطور الرومانى الذى سافر كثيرا وأحضر معهمهندسين لبناء هذا القصر العظيم ليعلم شعبه فنون الهندسة فى مختلف البلدان التى سافر إليها . ويضم هذا القصر مضيفة عظيمة وحمامات بخار وبحيرة للسباحة وبها جدار عظيم كان يستعمله العلماء فى تخطيط صور تاريخية علمية للتلاميذ ، وقد نقلت معظم آثاره إلى المتاحف العامة . وفيلا دستى وهى تضم ألف نافورة يرجع العهد بها إلى القرن السابع عشر وبها حديقة مدرجة على هضبات بنافورات جميلة ضخمة مختلفة الأشكال ، وكان يوجد بها شلالات تستعمل فى لعب الأرغون ، ولكنها استعملت أيام الحرب لتوليد الكهرباء وقد تم بناؤها فى ثلاث سنوات وهى بديعة البناء والتنسيق ويوجد بها حائط كله نافورات مختلفة وتماثيل لإنسان ونسر وورق شجر تتدفق منها المياه بصورة

جذابة كما توجد بها حمامات كبريتية فى منتصف الطريق Acquoi Albuli تشبه مياه حاوان عندنا ولكن لونها فى بياض اللبن ، وملحق بها مطعم متوسط لا بأس به .

عندما أصيبت السياحة فى ايطاليا بذعر :

إيطاليا التى تعد من أكبر الدول السياحية أصيبت فى أحد المواسم السياحية بذعر شديد عندما سجلت الإحصاءات نقصاً مطرداً فى عدد السياح الوافدين ، وسرعان ما عقدت الحكومة مؤتمراً كبيرا حضره كل خبراء السياحة ، وانتهى المؤتمر بعد البحث إلى أن سبب هذا النقص يرجع إلى الضجيج الشديد فى المدن الإيطالية وإلى استغلال التجار لأموال السائح ، فضلا عن الغش الظاهر فى المعاملات وارتفاع الأسعار وجمود الدعاية السياحية فى الخارج .

أعلن الخبراء أن هذه الأسباب الأربعة هى من جملة ما أدى إلى انخفاض عدد السياح انخفاضاً شديداً حتى فى الأماكن التى تجتذب الزائرين من كل أنحاء العالم كالبندقية وكابرى ، وأصبحت الفنادق فى هذه الأماكن شبه خالية بعد أن كان حجز غرفة واحدة فيها يعتبر ضمن المشكلات التى تواجه السائح ، وانتهى المؤتمر بعد ذلك إلى محاولة استعادة ثقة السياح بعد أن وضع يده على العيوب التى هددت دخل إيطاليا من السياحة .

ولما كانت مصلحة السياحة المصرية قد قامت بتوزيع استمارات على مختلف الفنادق السياحية والموانى ليدون فيها السائحون ملحوظاتهم وشكاواهم ومتاعبهم لتقف على كل ما دونوه فيها للعمل على تلافيه . فكل ما أرجو — وينبغى أن تحرص عليه — هو تجميع هذه البيانات والملحوظات والشكاوى ومناقشتها وبحثها فى اجتماع سياحى عام يشهده ذوو الخبرة فى السياحة من الهيئات والمؤسسات والمصالح الحكومية المعنية بالسياحة على أن يعقد هذا المؤتمر فى فترات متقاربة لتدارك الأخطاء والمساوئ .

المرأة الايطالية :

فى غرفة الاستقبال فى المعهد الصحى العالمى وجدت زواراً فى انتظار « الدكتورة السنتدرينى » هذا يسأل عنها وذاك يمجد أعمالها ، وعندما حضرت شاهدت حركة غير عادية بين موظفى مكتب الاستعلامات ورغبت فى التعرف عليها والوقوف على شئ ولو قليل عنها .

وبعد جولة ليست قصيرة بين المصاعد وممرات المعهد وصلت إلى مكتبها فى الدور الثالث من المعهد . واجهتنى غرفة تزينها الزهور إلى جوار الموازين وزجاجات العقاقير وليس هذا غريباً فصاحبة المكان امرأة وكيماوية معاً .

كانت الابتسامة تعلو سفتيها وهى تستقبلنى بل ظلت هذه الابتسامة طول الفترة التى قضيتها معها.وقد ملأنى الإعجاب بها عندما علمت أنها تخصصت فى دراسة المواد الكيماوية وبالأخص المبيد للحشرات منها .

ومع أن الدكتورة ماريا السنتدرينى جاوزت العقد الخامس من عمرها، إفنها تبدو فى خفة ونشاط بنت الثلاثين . وقد أنست إليها كما أنست إلى فجعلت تقص على تاريخ حياتها وأنها أخت لثلاث بنات كلهن يحملن شهادات دكتوراه فى الموسيقى والأدب وتخصصت هى فى الكيمياء، وأنها لم توفق فى خطبتها من زميل لها فقد فسخت الخطوبة بعد ست سنوات لتتفرغ للعلم فنبغت فيه وتوالت بحوثها ومؤلفاتها خصوصاً فيما له علاقة بالحشرات سواء منها الضار بالإنسان أو النبات، وهى تعمل الآن محاضرة فى جامعة روما ورئيسة للقسم الكيماوى فى المعهد العالى الصحى وعضواً فى جمعية الخبراء فى المواد المبيدة للحشرات التابع للهيئة الصحية العالمية .

وأخيراً وفقت الدكتورة « السنتدرينى » لاختراع طريقة يمكن بها معرفة مقدار الد . د . ت الذى يبقى فترات مختلفة على الجدران بعد رشها وقد سجل الاختراع باسمها،وكان لهذا الاختراع شأن كبير فى تنظيم استعمال هذا المبيد الحشرى .

وكان آخر ما قالته لى إنها زارت مصر فى جولة قصيرة حيث رأت مسجداً لأول مرة فى حياتها ولايزال فى ذاكرتها من هذه الزيارة ثلاثة أشياء، أولها المتحف المصرى الذى لم تكن تتصور أنه بهذه العظمة، والثانى هو غروب الشمس عند الأقصر ومنظره الساحر الجميل على صفحة النيل ، أما الثالث فهو طائر كانت تراه فى كل مكان وهو أبو قردان « صديق الفلاح » كما قلت لها .

وبعد انتهاء الزيارة اتفقنا على المقابلة فى مكان خارج المعمل ، وعندما ذهبت للعنوان الذى حددته لى إذا بى أفاجأ بأنه محل حلاقة للسيدات شهير فى روما، والدكتورة الكيماوية تذهب إليه كأية سيدة عادية فالمرأة هى المرأة فى كل مكان .

والمرأة الإيطالية فنانة بنشأتها فى بلد الفن والجمال ففى كل مكان فى روما تسمع الموسيقى والغناء، وفى أكبر ميدان فى روما وبجانب أكبر وأجمل نافورة تقوم فرقة موسيقية من النساء بالعزف والغناء فى أشهر الصيف وهو الموسم السياحى هناك .

ولا يقتصر الفن فى إيطاليا على الموسيقى والغناء ولكن المرأة الإيطالية تجيد الأشغال اليدوية والدنتلة وخصوصاً فى شمال إيطاليا .

وقد ذهبت لزيارة إحدى السيدات هناك واستقبلتنى لا فى غرفة الاستقبال كما يتبادر إلى الذهن ولكن فى المطبخ ، والواقع أنه مطبخ بالاسم فقط ولكنه يبدو كغرفة طعام أنيقة كل أثاثها منسق تنسيقاً جميلا، ولما طلبت كبريتاً لأشعل سيجارتى لم أجده فى المطبخ فكل أجهزته وأدواته بالكهرباء . أما الطبق المفضل عند المرأة الإيطالية فهو طبق « المكرونة الاسبجتى » المشهور وهو الطبق الأول فى كل المطاعم الصغيرة منها والكبيرة، ثمنه فى المطعم الصغير حوالى خمسة قروش وفى المطعم الكبير يصل ثمنه إلى عشرين قرشاً ، وفى المطعمين تستمتع بأكلة شهية طيبة .

والمرأة الإيطالية تعتز بتقاليدها وعاداتها الموروثة وبالخرافات القديمة، فالفتاة الإيطالية مثلاً تثبت فى وسادة نومها يوم ٣١ ديسمبر (أى ليلة رأس السنة) أربعة دبابيس ملونة وهى أبيض وأخضر وأحمر وأسود، وعندما يلوح نور الصباح تقتلع الفتاة دبوساً من بينهما دون النظر إليه، فإن كان أخضر فهو بشرى بزواجها فى غضون السنة المقبلة، وإن كان أحمر فهو رمز للخصام بينها وبين خطيبها، والأبيض رمز السلام والطمأنينة، أما الأسود فهو إشارة إلى الحداد .

والفتاة التى لم تخطب تختار ثلاث حبات من نبات الفول تقشر واحدة تماماً وتترك فى الثانية نصف غلافها وتترك الثالثة كما هى ، ثم تضعها تحت الوسادة . وفى الصباح تدس الفتاة يدها تحت الوسادة وتخرج فولة منها ، فالمقشرة دليل على أن الزوج المنتظر سيكون فقيراً ، وتدل ذات نصف القشرة على زوج متوسط الحال ، والفولة ذات القشرة تدل على زوج ثرى جداً .

وهناك عادة أخرى ، خلاصتها أن تضع صديقة الفتاة كل ركن من أركان حجرة نوم الفتاة دون علمها وفى الظلام الدامس مفتاحاً ودلواً وخاتماً وكيسا به رماد . وعندما تستيقظ الفتاة تذهب إلى ركن ما ، فإذا وجدت المفتاح كان هذا دليلاً على أنها ستكون سيدة بيتها ، وإن كان الخاتم دل ذلك على أنها ستتزوج فى بحر السنة والدلو عنوان البكاء وأما الرماد فرمز للموت .

ومن العادات الشائعة إلقاء نواة التفاح فى أول السنة فى موقد وتسر الفتاة إليها بقولها : « يا نواتى .. يا نواتى خبرينى عن حبيبى ، هل يحبنى هل يكرهنى ، إن كان يحبنى فطقطقى ، وإن كان يكرهنى فاحترقى » .

أما نافورة تريفى ذات الشهرة العالمية فى مدينة روما فهى معروفة بسرها الباتع فى تحقيق الرغبات والأحلام، فإذا ما قصدتها فتاة وأعطت ظهرها للنافورة وألقت بقطعة نقود فى حوض الحياة المزين بمجموعة من التماثيل الفخمة ذات التاريخ والأساطير وتوسلت بالدعاء، فلا بد وأن يستجاب دعاؤها وتتحقق أمنيتها. وقد قالت لى سيدة أجنبية هناك إنها تمنت أن تعود لزيارة روما وهى تدفع بالعملة وقد تحققت رغبتها فعلاً.

وبينما كنت أتجول فى شوارع روما الكبيرة قادتنى قدماى إلى ميدان (بربرينى) فوجدت مبنى متوسط الحجم لا يلفت النظر إلا وجوده بجانب شركة كوك للسياحة، هذا المبنى يخفى فى داخله مقبرة لا يوجد مثلها فى العالم بأسره، ولست مبالغة فى ذلك، فإنك إذا دخلتها راعتك مناظر الرهبان الذين عاشوا فى هذا الدير وهم راقدون بملابسهم، ملابس لا تكسو إلا هياكل عظمية، أما الزخرف البنائى الداخلى فليس مصنوعاً من الجير والمصيص ولا هى حجارة منقوشة وإنما هى عظام الهيكل الجسمى نسقت بشكل هندسى عجيب يجعلك تقف أمامها مشدوهاً متسائلاً كيف أن عظام الإنسان تستطيع أن تكون تلك الأشكال الهندسية الرائعة. وعندما تزايلك الدهشة لا يسعك إلا أن تسرح بخيالك فى هذه العجائب.

يوميات ابانو :

تعتبر ابانو من أهم مراكز العلاج الطبيعى فى الخارج، وقد اشتهرت بما توافر فيها من وسائل العلاج الناجع لعدة أمراض أهمها مرض الروماتيزم، ولما كنت إحدى المنكوبات بهذا المرض فقد انتهزت الفرصة فى أثناء إحدى رحلاتى فى الشمال، وكنت على وشك الإصابة بنوبة حادة من نوبات هذا المرض، وعرضت نفسى على الطبيب الذى نصحنى بالمبادرة بالعلاج فى ابانو وهى أقرب مركز علاج لحالتى فى ذلك الوقت.

إن مدخل البلد على صغره جميل ، النافورة فى ميدان متوسط الحجم وأكثر الفنادق أوعلى الأقل التى مررت بها تقع فى الشارع الرئيسى الكبير ، والميادين تبدو أنيقة ذات حدائق وأنوار وتماثيل للشعراء والأدباء الذين عاشوا أو زاروا هذه المنطقة . كل هذا جعلنى أشعر بالبهجة برغم ما قيل لى عن قسوة العلاج وقسوة حمامات الطين الساخن بجانب شعورى بالألم . حجزت فى فندق فلورا غرفة ذات شرفة كبيرة ، وحضر الطبيب المختص لزيارتى فى غرفتى وبعد الكشف بدأ العلاج فى اليوم التالى مباشرة . وقد سررت جداً بوجود نظام العلاج فى الفندق ، ففى الدور الأول عيادة الطبيب الى جانب وجود جهاز الكهرباء والحمامات الخ .. فى نفس الدور .

طين فيه شفاء للناس :

وفى الساعة السابعة صباحا حضرت سيدة متوسطة السن ضخمة الجسم واصطحبتنى إلى دار الشفاءوهى عبارة عن غرفةبها (حوض حمام) ينزل له المريض بدرجتين وبه سرير عليه كمية مناسبة من الطين الساخن بمقدار حجم جسمى الذى تلاشى فى هذه الكميةبسرعة ، ولم يبق خارجاعنه إلا رأسى ثم غطاء ثقيل يحفظ الحرارة لمدة ٢٠ دقيقة، وبعدها يساطخرطوم غليظ على الجسم لإزالة الطين ثم يلى ذلك الحمام الساخن ثم السرير لمدة ساعة وكان يخيل إلى أن الموت قريب منى فأتمتم بكلمات تنم عن الإرهاق وبعد ساعة راحة فى الغرفة حضرت آنسة لطيفة للتدليك بالبودرة لتنشيط الدورة الدموية لمدة ٢٠ دقيقة أخرى ، ثم حضرت ثالثة وأخذتنى لجهاز التنفس المقوى وعمل أشعةعلى كتفى المريض،وكانت الساعة الحادية عشرة ونصفا تقريبا . فاتنى أن أذكر أن معظم فنادق أبانو الكبيرة بهاجناح خاص للعلاج كفندق فلورا الذى أنزل به ، وفى هذه الطريقة راحة للمريض وتخفيف الضغط على الحمامات الأصلية بالمدينة وراحة أيضاً لأهل البلد . وحبذا

لو أخذ بهذه الطريقة فى حلوان التى لاتقل شهرة عن أبانو ،
ثم خرجت بعد الغداء برغم ما لاقيته من إرهاق فى العلاج لأشاهد البلد
وأبحث عن مكتب السياحة بها فوجدته غير بعيد وعزمت على زيارته فى صباح
اليوم التالى لأن اليوم كان يوم الأحد .

ركبت الأتوبيس المتجه إلى بادو البلد القديم الذى يبعد نحو ساعة
من أبانو والذى به أحسن محلات مصانع النظارات التى تقوم بتموين إيطاليا
وأوربا كلها بها ، وقد لفت نظرى محل كبير له تراس كبير تعزف فيه
الموسيقى ، وهو مبنى قديم أثرى. وعندما فكر أصحابه فى إعادة بنائه على الطريقة
الحديثة اجتمع شيوخ البلد ونشرت الجرائد أنباء الاجتماع ، وأخذ رأى الشعب
واختلف الرأى العام لأن الشبان يريدون التجديد والشيوخ يحبذون الاحتفاظ
بالقديم ، ومايزال الأمر رهن الخلاف بين الفريقين ، وماتزال تقام فيه حفلات
استقبال طلبة الجامعة الجدد سنويا بالطريقة التقليدية .

جامعـة بادو :

تقع مدينة بادو على بعد ٢٢ كيلو مترا من البندقية وهى محاطة بأسوار
مرتفعة ذات أبراج أثرية شوارعها ضيقة ومبانيها مرتفعة مما جعل جوها مظلماً
قاتماً ، وأشهر ميادينها ميدان فيكتور عمانويل المزدان بمجموعة عظيمة
من تماثيل العظماء الإيطاليين التى هى تحفة رائعة من الفن الأصيل

أما الكاتدرائية التى يرجع تاريخها إلى القرن السادس عشر فتحتوى
على مكتبة غنية بالمطبوعات والمخطوطات .

وهذه الجامعة يرجع تاريخ إنشائها للقرن الثالث عشر ، ومؤسسها
هو فردريك الثانى . وهناك مراجع تقول إنها لم تظهر إلا فى عام ١٢٧٠ ، وهى
تنافس جامعة بولونيا فى الشهرة والقدم ، إذ عرفت بأنها أقدم جامعة فى
أوروبا وخصوصاً فى الطب وعلم التشريح ، وقد تخرج منها أساتذة عالميون
منهم جاليليو ودانتى وتسوا .

وقد قصرت زيارتى على الجامعة والمعالم الهامة بالمدينة ثم عدت إلى بلدة أبانو .

مقابلة مدير السياحة :

ذهبت لزيارة الدكتور Bonato ومعى خطاب توصية من الكونت جونفاريللى Golfarreli ، مدير شركة الدعاية فى روما ، وفى أثناء الحديث أبدى إلى أنه ليس مسروراً من بعض نظم السياحة فى إيطاليا وخاصة التقسيم الإدارى للأقاليم وضرب مثلا بأبانو التى تتبع بادوا فى حين أن الفنادق أكبر منها وهو يحاول تصحيح الوضع ولكن الكومسيارية السياحية فى روما لاتقر ذلك ، ثم نصحنى بدراسة السياحة فى إيطاليا على أن أطبق العكس فى مصر ، و قد حدثنى عن ٣٠ مدينة سياحية فى إيطاليا منها الجبلية ومنها الصحية كابانو ومونت كاتينى الخ .. وقد أخذت إيطاليا نظام الجمعيات الإقليمية من النمسا التى هى أحسن بكثير فى نظامها السياحى واستعدادها ، فشكرته على صراحته . ولما قلت له إنى كنت أود السفر للنمسا قال إنه يوجد قطار من بادوا يصل البندقية مباشرة فى أقل من ليلة ودعانى لرحلة بعد الظهر إلى بلد تقع على الجبل وبها دير قديم Badia di Praglia ومنزل الشاعر الإيطالى Petrara فرنسوا الذى قضى فيه آخر أيامه ١٣٧٠ — ١٣٧٤ ويقع على ربوة الجبل وأمامه بانوراما شاعرية ، وتسكن فى ملحق للمنزل سيدتان أختان من عائلته وتقومان بعمل الوكيل فى منزل الشاعر الذى حول إلى متحف ، إلا أنهما لاتتكلمان إلا الإيطالية ، وقد فهمت بعض كلمات عن تاريخه وحبه العذرى للفرنسية الحسناء كورا والشعر الذى نظمه لها وهو مطبوع فى كتيب ويباع عند الباب ، وقد مات بمرض الفالج فى سن الأربعين ودفن فى قبر فى ميدان البلدة قريب من المنزل بجانب كنيسة القرية التى تحمل اسمه للآن Cergua Petrarca . وفى الدور الأول متحف فيه بعض كتبه وأشعاره وإمضاءات العظماء والملوك ممن زاروا المنزل ثم بعض التحف التذكارية والكرسى الذى مات عليه بجانب مكتبة قديمة فى غرفة صغيرة تطل على الوادى .

ايطاليا بلد السياحة :

ولما انتهى علاجى فى أبانو توجهت إلى فينسيا وهى أيضا بلد سياحى وميناء عالمى ولها مكتب سياحى خاص بها بجانب مكتب لجنة تنشيط السياحة Enit وملحق بهذ المكتب قسم خاص لإقامة الحفلات والمؤتمرات السياحية العالمية التى تنظم باستمرار فى البندقية . وكان موسمها قد انتهى ، وعندما علم مدير المكتب أنى أقوم بدراسة النظم السياحية فى مختلف البلدان قال لى إن إيطاليا اقتبست نظمها السياحية من النمسا كما قال لى إن عدد من دخلوا إيطاليا بلغ فى هذ العام ١١ مليونا ، وكان العدد فى السنة الماضية ٨ ملايين ويرجع ذلك لتنظيم الملاهى وكثرة الحفلات والأعياد ؛ فمثلا على أنقاض كراكلا فى روما تقام حفلات تمثيلية شائقة ويتسع المكان لأكثر من عشرين ألف يدخلون من أبواب متعددة ويخرجون من أبواب أخرى بحيث لا يحدث زحام أو مضايقات للمشاهدين ، وعلى كل تذكرة رقم باب الدخول وباب الخروج وعند أبواب الخروج يجد المشاهد وسائل مواصلات موفورة منظمة ؛ سواء الترام أو الأتوبيس بحيث تتسع لكل من لا يملك سيارة . أما السيارات الخاصة فلها مكان خاص مقيد بالأرقام وكل هذه التنظيمات لها من غير شك تأثيرها فى نفوس السياح .

السياحة بالجندول : (صورة رقم ١)

يعجز القلم عن وصف رحلة الجندول والسنيور أمبرتو يقودها بحركة منسجمة منتظمة على الجانب الأيسر من القناة (جراند) والصوت العذب القوى الذى ينطلق من حناجر زملائه عند منحنيات القنوات للتنبيه ثم القيادة الهادئة وصوت المجداف الذى لولا رؤيته لما سمع صوت لمسه للمياه فهو يتم بخفة ورقة رائعة ، كانت هذه النزهة أول تجربة لى فى السياحة بالجندول .



صورة رقم (١)

ركبت الجندول من الميدان المسمى بياتسا دى روما إلى الفندق القريب من سان ماركو مخترقة القناة الرئيسية ثم بعض القنوات الضيقة التى لم أتصور أننا يمكن أن نمر بها بهذه الخفة ، فالمعلم أمبرتو بحار قديم ويفهم مهنته ويعرف المرور وقواعده ثم إنه مغرم بعروس فينسيا كما يسمى الجندول ويمكنه قيادتها فى أى مكان أو زمان ولو كانت عيناه مغمضتين ، وقد سألته عن بعض ما صادفه من حوادث نادرة ، فروى لى حادثة حصلت له كانت الأولى من نوعها فى تاريخ حياته مع الجندول . « كنت على وشك أن أكون ضحية مع الجندول ، فقد كان أحد السياح الهولنديين

مخموراً وصمم على القيام بنزهة فى منتصف الليل مع سيدة أظنها زوجته . وفى هدوء الليل وسكونه وفى أثناء قيامى بعملى الذى أشعر معه بسعادة مابعدها سعادة لم أشعر إلا والجندول ينقلب على جانبه الأيمن فجأة وبسرعة لم أتمالك معها نفسى ، ووجدت المركب تحتوينى مع الراكبين وهما تحتها ، فالسيد حاول الوقوف وخيل له مع انعكاس القمر والأنوار على الماء أنه فى حلبة رقص وكنا نمر على قهوة بها موسيقى راقصة ، ولطف الله بحالى إذ أن بعض الزملاء كانوا على مقربة منا بمراكبهم منتظرين انتهاء الحفلة الراقصة ، فعملوا على إعادة المركب إلى الوضع الطبيعى منتشلين السيد الهولندى الذى كان لا يزال يغنى وكأن شيئاً لم يكن » ، ثم وصلنا إلى جسر بجانبه عطفة صغيرة توصل إلى باب الفندق الخلفى ، وتقع الفنادق الكبيرة فى البندقية على القنوات ولكل منها بابان ؛ باب على اليابس وباب على الماء . ويستعمل عادة الباب الخلفى عند وصول النزلاء لأن الجندول هو الوسيلة الوحيدة للوصول من المحطة إلى الفندق وخصوصا مع وجود الحقائب . وشكرته ووعدنى بنزهة أخرى ليقص على مغامراته مع الجندول .

وقفت أمام باب فندق بون فاكيثى على مرسى مريح بالجندول فى انتظار نقل الحقائب . وأخذت أتطلع إلى مجموعة الكبارى على القنوات المحيطة بالفندق بإعجاب . وشردت أفكارى ولم أتنبه إلا على صوت مدير الفندق يرحب بى باللهجة الإيطالية اللطيفة ، ويظهر أنه لاحظ دهشتى وقرأ أفكارى فقال : « تفضلى وسوف يسعدنى أن أقص عليك تاريخ هذه البلدة العائمة » .

وبعد فترة استجمام قصيرة فى غرفتى بالفندق نزلت إلى الردهة ثم طلبت فنجان قهوة (اسبرسو) وأخذت أستمع إلى السيد فوتوريو يسرد بعض المعلومات عن المرفأ الذى كان مركزاً تجارياً هاماً فى العصور الوسطى عندما كانت تتجمع فيه تجارة آسيا وحوض البحر الأبيض المتوسط لكى تصدر إلى أوربا كلها ، ثم قال : « أعتقد أنك يا سيدتى تتساءلين فى عجب

كيف بنيت هذه المدينة ؟ وكيف تحولت طرقاتها إلى قنوات مائية لا تستعمل فيها إلا هذه القوارب؟» واستطرد يقول إن هذه القنوات لم تحفر، إن البندقية (فينسيا) نفسها أو المبانى التى تتكون منها هى التى أقيمت على عشرات من الجزر الصغيرة المتناثرة على مقربة من الشاطئ، وهكذا أصبحت المسالك المائية التى تفصلها هى الطريق الوحيد للاتصال بينها، فألف الناس استعمال (الجندول) أو القوارب على مختلف أشكالها وأحجامها ، وأقاموا بين هذه الجزر المتعددة كبارى للتنقل بين الجزر على الأقدام .

ولضيق هذه الجزر التى أقيمت عليها البندقية لم يترك السكان أى مكان دون بناء حتى ليبدو للزائر أن هذه المبانى أقيمت على الماء لا على الأرض وأن أساسها يمتد فى البحر ، ولعل هذا ما كنت تعتقدينه ، ثم استطرد فى حديثه قائلا « أرجو يا سيدتى أن لا يفوتك الصعود على قنطرة (ريالتو) وهى التى أقيمت على أكبر قناة فى البندقية وعمرها يزيد على ثلاثة آلاف سنة وكانت فى الماضى مركزاً من أهم مراكز المعاملات المالية ، وسوف تجدين بها أكبر المحلات التجارية والمرور عليها لا يكاد ينقطع ليلا ونهارا » .

شكرت السيد فوتوريو صاحب الفندق على معلوماته القيمة وخرجت فى جولتى للمدينة ذات التاريخ العريق .

ميدان سان مارك — ساحة رسل الانقاذ :

كانت معى خريطة البندقية وبها أسماء القنوات وأسماء الكبارى فاستعنت بها فى رحلتى (على الأقدام) إلى ميدان سان مارك وكان يبعد كثيراً عن الفندق ، فقد اجتزت ثلاث قنوات حتى وصلت إلى هذا الميدان التاريخى حيث توجد الكاتدرائية الكبيرة التى أقيمت باسم هذا القديس والتى تشتهر بتماثيل الجياد الأربعة المصنوعة من البرونز والتى كانت فى روما من عهد نيرون ثم نقلها نابوليون إلى باريس عندما استولى على إيطاليا ولما فقد سلطته أعيدت الجياد إلى فينسيا .

استرعى نظرى أمام هذه الكاتدرائية بعد زيارتها — وكانت الساعة حوالى
التانية بعد الظهر — مجموعات الحمام الأليف الذى اعتاد أهل البندقية وزائروها
أن يطعموه كل يوم وكان يعرف الموعد الذى يبذر فيه الحب كطعام يومى
له . ووجدت بجانب البواكى التى تحتضن الميدان عدداً من بائعى هذا الحب
فى أكياس صغيرة يشتريها زوار الميدان ، وتجد الحمام يحط على الرءوس
والأيدى وكأنه يرحب ويداعب من يطعمه ، وعلمت أن إطعام الحمام تقليد
قديم فى فينسيا يتوارثه أهلها على مدى الأجيال والناس هنالك يتفاءلون به ولعل
ذلك يرجع إلى رواية أو أسطورة خلاصتها أن (الدولة) تعرضت
فى يوم ما لخطر الغزو الأجنبى فلم ينقذها منه غير حمامة من الحمام الزاجل
حملت رسالة استنجاد فأقبلت الإمدادات على المدينة وأنقذتها من الخطر .

جسر التنهدات :

بعد ما أطعمت الحمام كباقى الزوار وزرت الكتاتدرائية الجميلة
كان على أن أزور أيضاً قصر الحاكم (الدوج) لقربه ، وقد كان يجتمع فيه
مجلس البندقية منذ عدة قرون وهو قائم على جزيرة ، ومن الطابق الأعلى له
مررت على جسر التنهدات الذى يصل القصر بالسجن المقام على جزيرة
أخرى ولذلك سمى بجسر التنهدات لأن كل محكوم عليه يسير من فوقه ويعرف
مصيره المحتوم فيتنهد ويحزن وأصبحت شهرته (جسر التنهدات) وقد ذكره
(لورد بيرون) فى إحدى قصائده .

الفنان الذى لمس رأس نفرتيتى من وراء الزجاج :

بدأ فنان البندقية الحديث بما يعبر عن حبه للبلد الذى ولد فيه وأحبه
كرس له فنه وحياته إذ يقول فى وصفه له إنه البلد الوحيد فى العالم الذى
نسانية لأن كل بلد آخر بها مواصلات كهربائية من سيارات
يرى الإنسان فيه نفسه عاجزاً عن حماية نفسه من كثرة الزحام .
لإنسان فيها يعمل كل ما يحلو له فى الشارع دون خوف على حياته
ه الإنسان ، وهى تحتفظ بطابعها الخاص الذى تبذل بلديتها كل جهدها
عليه .

كان هذا الحديث فى أحد الاستديوهات فى الحى القديم فى فيلسيا وبه مجموعة ضخمة من التماثيل البرونزية أكثرها صغير الحجم لأطفال وسيدات وكتاب وموسيقيين وبعض اللوحات السياحية الجملية وقد سألته :

— هل أنت مثال أو رسام وما الذى بدأت به حياتك ؟

— بدأت بالرسم والنحت معاً ولكنى أعتبر الرسم على رأس كل الفنون والمثال يبدأ أولا بالرسم وأنا أرسم باستمرار .

وقد رأيته يحمل مفكرة صغيرة فى جيبه يرسم فيها كل ما يراه .

— ما هو الفن الذى أثر فى حياتك العملية ؟

— إنها الطبيعة التى تأثرت بها أولا ثم إعجابى بالفنان دوناتلو ثم الفن المصرى العجيب ، هل تصدقين أننى عندما كنت فى برلين وطلب منى جورنج صنع تماثيل لأولاده، وكان ذلك قبل الحرب مباشرة ، وجدت نفسى مع تمثال نفرتيتى فى المتحف فكانت فرصة ذهبية لألمس الرأس من وراء الزجاج فربما توصلت لمعرفة المادة التى صنع منها التمثال ، وقد سعدت بذلك دون أن أتوصل لكشف عن حقيقة هذه المادة .

ثم قال « إننى لم أتأثر بالفن الحديث ولا أومن بالسريالزم ومن السهل جدا أن يرسم الإنسان صوراً عامة غير مفهومة . ولكن الفن بالمعنى الذى أفهمه إنما هو الإنسانية والعواطف بارزة على حقيقتها دون تشويه ، والفنان الأصيل هو الذى يحس ويشعر ويرى ما لا يراه الإنسان العادى كما أن الفن ليس كالعلم لا وطن له بل يجب أن يحتفظ كل فن بالبيئة والطابع الخاص به ، فلا يمكن أن يختلط الفن المصرى بالفرنسى مثلا فكل ينبع من بيئة وجو وحياة .. الخ .

— بماذا بدأت عملك الفنى ؟

— بدأت بعمل تماثيل من الطين وعمرى عشر سنوات وكنت فى الريف الذى نشأت به ،وفى سن الخامسة عشرة فكرت فى نماذج للأجسام

العارية ولم أجد أسهل ولا أقرب من بنت الجيران ، وعندما خلعت عنها ملابسها كانت فضيحة عوقبت عليها بعاقة ساخنة طبعا .

– هل أنت متزوج ؟

– نعم وكان زواجى مغامرة تبدو الآن سهلة ؟ فعندما وقعت فى أسر الألمان فى سنة ١٩٤٤ كنت خاطباً لفتاة فى سن التاسعة عشرة من أم أمريكية وأب إيطالى وكانت جميلة وقبل ترحيلى مع الأسرى إلى ألمانيا بيوم واحد هربت من السجن والتجأت إلى الريف خارج فينسيا فى الجبال حيث التقيت بخطيبتى وتزوجنا وبعد بضعة أيام تمكنت من الوصول إلى هذا المخبأ الذى أصبح الآن "الاستديو" . ومكثت فيه كل سنى الحرب أعيش وأعمل فى مخبئى وزوجتى تحملت بمنتهى الشجاعة والصبر هذه الحياة القاسية ، وكانت تحضر لى الطعام من الخارج وكأنها تعيش بمفردها وها هى ذى آثار ثقب خفى فى الباب كنا نستعين به للكشف عن شخصية الطارق وقد احتفظت بهذا المكان كما هو وذكرياته عزيزة على نفسى وفيه أقضى أوقات العمل . ولكنى بنيت فيلا فى الحى الحديث لزوجتى وابنى (مارتن) وعمره سنتان .

وهنا كان قد انتهى حديثى مع هذا الفنان .

حمامات مونتكاتينى (ايطاليا) :

يجد الزائر المونتكاتينى حمامات صحية ممتازة ورخيصة بالنسبة لفوائدها الجمة . كما يجد الإخصائيين لفحصه وتسهيل علاجه . ولما كان كثير من الأجانب يأتون إلى هذه الحمامات طلباً للاستشفاء ، فقد عينت الإدارة ترجماناً خاصاً لخدمة أولئك الأجانب . والموسيقى تشنف آذان النزلاء صباحا ومساء من مبنى كبير يحتوى على كل وسائل التسلية وتجد بها كل ما تحتاج إليه من ملبس ومأكل ومكتبة للمطالعة وتجد فى هذه الدار مكتب بريد وتلغراف وتليفون .

وتقوم على خدمة المرضى آنسات يمتزن بالجمال والأناقة والبشاشة . أما مكاتب الاستعلامات فمفتوحة وتلمس روح المساعدة فى كل مكان تذهب إليه .

وتوجد عربات (نونو) يجرها حصان للنزهة ، حتى لا يسأم المريض من الإقامة فى بلد الاستشفاء هذا . ويرحب بك سائق العربة باللغة الإيطالية وينكت بالإنجليزية ويسأل بالفرنسية وطبعاً كل هذه اللغات تحتاج إلى قاموس . سمعت أحد المصريين هناك يقول : « إن الحياة فى مونتيكاتينى وحدائقها تطيل العمر » . ولا يسعنى بعد أن نزلت بها لعلاجى إلا أن أوافقه على رأيه هذا .

فلورنسا :

وقفت بنا السيارة بجانب برج بيزا المائل وهو أشهر من أن ينوه به ثم استأنفنا السفر إلى فلورنسا وعندما اجتزنا مدخلها قالت المضيفة إننا سوف لا نمكث فيها وقتاً طويلا اكتفاء بالمرور على أشهر معالمها التاريخية . وهكذا شاهدنا ساحة مايكل أنجلو بتماثيلها الضخمة ، وقد استرعى انتباهى موكب ضخم من عجلات الفسبا تقل كل منها أسرة بكامل أفرادها لتمضية يوم الأحد فى ذلك المكان الجميل للاستمتاع بهوائه النقى ومناظره الجميلة والغابات القريبة منه .

كان من المشاهدات الجميلة ذلك الكوبرى الذى أقيمت فوقه حوانيت الصاغة ويطلق عليه بونت فيكيو ، وقد خصص لعدد كبير من تجار الجواهر والذهب وعلى مسافة غير بعيدة من هذه السوق المعلقة توجد سراى الفن وهى تضم التماثيل واللوحات التى يقف الإنسان أمامها مبهوتاً من جلال الفن وروعته .

مدينة بولونيا :

مدينة بولونيا تبعد عن روما ١٢٠ ميلا ، وبها أقدم جامعات أوروبا وهى جامعة بولونيا التى كانت تنافس بادوا فى القدم وملحق بها مكتبة قيمة تضم مجموعة من المجلدات والمخطوطات لايستهان بها وتعتبر من المكتبات

العالمية ، فذهبت لزيارتها حيث كنت بصدد إعداد بحث عن أشهر المكتبات في العالم وأندرها بما تحتويه من مؤلفات أو مخطوطات ، وقد راعني الزحام والزينات المتألقة وقد اتضح لي أنه الاحتفال بعيد الوحدة في إيطاليا الذي يشترك فيه جميع العمال من مختلف الطوائف ويحملون اللافتات والأعلام التي ترمز للسلام والحرية وينشدون الأغاني الشعبية في الشوارع .

وعلى محطة الترام السياحي الدائري الذي يطوف بالزائرين كل أحياء ومعالم البلدة حتى يعطى فكرة عامة عن البلد (ويوجد هذا الترام في معظم البلاد ايطالية السياحية) وجدت طالبة تحمل كتبها فأنست لها لوجود شبه كبير بينها وبين ابنتي ووجدتها تبتسم لي فتعارفنا ، ولم تمانع في مصاحبتي في جولتي على الرغم من تحدثها الإنجليزية بصعوبة ومع ذلك فقد دار بيننا الحوار التالي :

— أي سنة دراسية تدرسين ؟

— الثانية الثانوية .

— هل لك أخوة آخرون ؟ .

— نعم بنت وولد وأنا الكبرى . ولذلك أقوم برعايتهم حالياً مكان والدتي التي سافرت لسويسره منذ أيام لزيارة أختها المتزوجة هناك ، أما والدي فهو موظف بمصلحة السكة الحديدية ، ويعمل في بعض الأحيان مساء ..

في أثناء هذا الحوار كنا قد وصلنا إلى حديقة كبيرة تتوسط المدينة وهي مركز للحفلات التي تقام في البلد فاستمعنا إلى الموسيقى الشعبية كما استمتعنا ببعض الأكلات الشعبية الإيطالية كالبيتسا ، وكنت أستعين بها في التعرف على هذه الأكلات العديدة الشهية ، وبعد انتهاء زيارتنا للحديقة ودعتني الصديقة الصغيرة عند الفندق الذي أنزل فيه وعرضت عليها أن تزورني غداً بعد انتهاء امتحانها الأخير للاطمئنان عليها ، وبالفعل وجدتها ظهر اليوم التالي تسأل عني في الفندق بعد رجوعي من زيارة الجامعة ومكتبتها وكانت تحمل ثلاث وردات صغيرات وبادرتني بالسؤال الذي لاحظت مدى تشوقها لمعرفة الرد عليه .

— هل أنت فعلا مصرية ؟

— نعم مصرية ١٠٠٪

بدا عليها السرور والبهجة لدرجة أنها صفقت من الفرح ونشوة الانتصار . ولما سألتها عن سبب سؤالها هذا ، قالت إن والدها لم يصدقها عندما أخبرته بمعرفتها بسيدة مصرية ولم يتصور أن توجد الصفات التى ذكرتها له عنى فى سيدة مصرية :

ثم سألتنى مرة أخرى :

— هل كل المصريات مثلك من حيث اللون والملامح والزى ؟

— طبعا بل كثير من المصريات أكثر منى بياضاً وجمالاً وأناقة .

وقد فهمت من هذا الحوار أنهم يتصورون أن مصر دولة أفريقية وأن أهلها لابد سمر الوجوه مثل باقى الشعوب الأفريقية .

مدافن ترد الروح :

كان على أن أزور أحد أقاربى وكان قنصلنا فى جنوا فى ذاك الوقت فذهبت إلى هذه المدينة لأشاهد آثارها الجميلة . أشار على قريبى أن أزور مقابرها التى تعتبر من أهم معالمها .

وشهرة المقابر فى جنوة عالمية فهى مجموعة من القطع الفنية من تماثيل من الرخام الأبيض والملون دقيقة الصنع ، كل أسرة اختصت بركن صغير فى المقبرة عليه صورة معبرة تروى تاريخ الأسرة أو رمز لملاك الرحمة أو صفة من صفات رب الأسرة إذا كان من ذوى البر والإحسان أو كان بطلا من أبطال الحرب أو البحرية ، وكل قطعة تروى هذه القصة وقد تبارى الفنانون فى التصوير والنحت .

والمقبرة قطعة أرض فضاء بها مقابر عادية تتخللها حدائق ويحيط بها بهو مقسم تزينه التماثيل الفخمة وفى أحد أركان هذا البهو مدرج من الرخام الناصع البياض ، وفى أعلاه كنيسة تضم أيضاً مجموعة تماثيل عظيمة الصنع

وفى أول مطلع هذا المدرج يوجد تمثال لبائعة بندق عجوز يروى الدليل أنها أقامت هذه المقبرة لنفسها ودفعت كل ما ربحته فى حياتها لبنائها ونقش عليها « رجاء من الزائرين بالصلاة والسلام عليها » كما أن نفس الدليل أقام لأسرته مقبرة عظيمة أيضاً دائما يدل الزائرين عليها ويعتز بها .

متحف كولمبس فى جنوة :

أقيمت أعياد كولومبس فى جنوه وهى مسقط رأسه، وذلك بمناسبة مرور ٥٠٠ سنة على ميلاده فزين ميدان النصر بنصب تذكارى فى مدخل الحديقة التى كانت قنصليتنا تطل عليها من الطابق السابع .

ولما كنت فى زيارة لجنوة فى أثناء هذه الأعياد ، كان طبيعيا أن أشترك فيها فذهبت مع بعض الأصدقاء لزيارة المعرض الدائم لذلك الرحالة المعروف وهو يقع فى مبنى على الطراز العربى قريب من الميناء رفعت عليه الأعلام الأسبانية والبرتغالية والإيطالية والأمريكية ، وضم مجموعة من أدوات المراكب من هذه البلاد ؛ وفى القاعة الكبرى الأمامية عدد من الأدوات الهندسية وخرائط ملونة ورموز فلكية استعملها فى بدء رحلته وثلاثة نماذج للمراكب التى قام عليها برحلته الاستكشافية الأولى وآلات حربية من ضمنها مدفعان عظيمان. أما القاعة الأخرى فيوجد بها كتب ومخطوطات باللغة الروسية والأسبانية والهندية عن كولمبس واكتشافاته . هذا عدا صورله من مختلف الأحجام وأكبرها تمثله فى سجنه وهو مكبل بالحديد ويقال إن له مجموعة كبيرة فى البرتغال ، وقد رفضت هذه الدولة إرسالها لجنوة ، ولما كانت زيارتى للمتحف قصيرة ففيما أشرت إليه الكفاية .

زر نابولى ثم مت :

هكذا يتغنى أهل إيطاليا بجمال نابولى ، وكأنه لا توجد مدينة أخرى أجمل منها فى العالم . خرجت بعد رجوعى من كابرى إلى المدينة أتفقد معالمها فوجدت نفسى أتسلق وكأنى فى رحلة على جبل ، فالطرق تعلو تارة وتارة تنحدر ومع ذلك يسير الترام بمهارة عجيبة حتى فى الطرق المعوجة الضيقة .

ثم قمنا بزيارة مصنع من مصانع المكرونة الإيطالية ووجدت الأولاد وقد غطى وجوههم غبار الدقيق الأبيض الذى يحملونه من المخازن لتصنع منه المكرونة ثم العمال الأقوياء وهم يعجنون الدقيق ويمزجونه بطريقتهم الخاصة ، وقد قال لى أحدهم وكان يتكلم الإنجليزية إن فى هذا العجين وحده سر الصناعة التى اشتهرت بها إيطاليا فى العالم كله . وقد توارث الصناع فى نابولى هذا السر فلم يخرج من بلدهم . تملأ الأسطوانات الكبيرة بالعجين فما تلبث خيوط المكرونة أن تبرز من الجانب الآخر للأسطوانة من ثقوب مختلفة الأحجام والأشكال ، فمنها الثقوب الكبيرة ومنها الثقوب الضيقة ثم تعلق الخيوط على رفوف خاصة توضع فى الشمس حتى تتجمد بعد أن يتبخر ما بها من ماء . ولقد رأيت بائعاً متجولا يبيع المكرونة الساخنة فى آنية أسطوانية الشكل تحفظ حرارتها ويتجول بها كما يتجول بائع الفول المدمس فى مصر وهو يحمل القدرة .

ولم يسعفنى الوقت بزيارة (بومبى) المدينة الرومانية التى أبادها بركان فيزوف عام ٧٩ بعد الميلاد . وقد كانت مدينة أرستقراطية تضم حوالى ٢٥ ألف نسمة وفيها أجمل المسارح والمعابد ودور اللهو وعندما اكتشفت مصادفة منذ حوالى ٢٠٠ سنه نقلت معظم أنقاضها وتماثيلها إلى المتحف الأهلى فى نابولى ، وقد اكتفيت بجولة قصيرة فى المتحف لضيق الوقت استمتعت خلالها بجمال ودقة تلك التحف .

كابرى جزيرة شهر العسل :

هذه الجزيرة الجميلة تبعد عن نابولى حوالى ساعة ، يصل إليها الزائر بباخرة صغيرة ، وعند زيارتى الأولى لإيطاليا لم أهتم بزيارتها ، فلما عدت إلى مصر سألنى الكثير من الأصدقاء عما إذا كنت زرت كابرى فكانت تبدو على ملامحهم الدهشة والعجب ويقولون كيف أتواجد فى إيطاليا ولا أزور كابرى

وفى رحلة أخرى إلى أوربا عزمت على تمضية أيام فى إيطاليا أستكمل فيها . ثى ثم أقضى يوماً فى كابرى ، وعندما كنت عائدة بالباخرة حجزت مكانى من ميناء نابولى برغم أننى كنت فى جنوه عندما قامت الباخرة من هناك ، ومن جنوه ركبت القطار إلى روما ثم إلى نابولى التى تبعد عن روما حوالى الساعتين بالقطار فوصلت مساء ووجدت مكاناً بصعوبة فى فندق يونيفرسال ، وكان أول ما طلبت من مكتب الاستعلامات فى الفندق اشتراكى فى رحلة ليوم كامل إلى كابرى . وقمت صباحا مع بعض النزلاء وركبنا الأتوبيس السياحى إلى الميناء ثم الباخرة إلى كابرى ، وكان معى فى الفندق طبيب شاب وعروسه فى شهر العسل وهما من شبه جزيرة صقلية فتعارفنا برغم صعوبة التفاهم فهو يتكلم بضع كلمات بالإنجليزية وأنا أيضا لا أعرف إلا بضع كلمات بالإيطالية ، ثم التفاهم بعد ذلك بالاشارات ومع ذلك قضينا يوماً ممتعاً وتناولنا الغداء فى مطعم على ربوة جميلة على الجزيرة فى مواجهة نابولى ، ثم زرنا بقايا قصر الإمبراطور تيبرلس ثم السوق ويعتبر من معالم الجزيرة ، واشترينا بعض التذكارات ثم تمتعنا بزيارة قصيرة للكهف الأزرق الذى دخلناه بواسطة مركب صغير ، واضطررنا إلى الانحناء حتى نستطيع أن نمر من المدخل ، وقد راعتنا ألوان المياه النقية التى بلون الفيروز الجميل ومناظر الصخور المتدلية فى شبه أشجار وتماثيل نحتتها يد الطبيعة كأحسن فنان .

ثم عدنا إلى نابولى الساعة الخامسة مساء وكان غروب الشمس على الجزيرة من أروع ما رأت العين ، تبادلت البطاقات والعناوين مع الطبيب الصقلى وعروسه واستمرت المراسلات بيننا حوالى العامين حتى فوجئت بصورتهما مع أول مولود لهما ، والفضل يرجع للسياحة فى هذا التعارف والصداقة التى نشأت بينى وبين هذه الأسرة الصغيرة فى بداية حياتهما .

اليونان

رحلة سريعة الى الأكروبول :

وقفت بنا الباخرة أسبريا عند ثغر بيرية وهو أقرب ميناء إلى أثينا مدينة الأساطير والتاريخ المجيد ذات الشهرة العالمية . وكانت الباخرة ستقف بضع ساعات فأخذنا تراماً أشبه بمترو مصر الجديدة من بيريه إلى أثينا لزيارة معالمها وآثارها فى جولة سريعة :

وصلنا بعد حوالى ٢٠ دقيقة إلى مدينة (الأكروبول) وهو المبنى الأثرى الكبير الذى كان أول ماظهر لنا ، وهو يشبه معبد الكرنك فى الأقصر ولوأن آثاره قليلة بالنسبة لما يضم الكرنك . وقد قادنا دليل مثقف جامعى قال إن هذه الأطلال كانت مقرا للملوك الأوائل ثم تحولت إلى معابد متعددة للآلهة . وقد شيده اليونانيون فى أول الأمر أى منذ آلاف السنين تخليداً لذكرى انتصارهم على الفرس ، وقد ظل مقراً لعباقرة الفكر الإنسانى أمثال سيفوكليس وهيرودوت وفيدياس وفيه تجرع سقراط السم حين اتهم بأنه يسمم أفكار الشعب بتعاليمه الجديدة التى كانت تناقض التعاليم الموروثة .

ومن حوله امتدت الآن المبانى الحديثة والشوارع المتسعة المنسقة تنسيقاً بديعاً ، ولا داعى للإطالة والتفصيل هنا ، فقد كتب عن الأكروبول الكثيرون كنا نشعر فى أثناء هذه الجولة السريعة أننا فى بلد شرقى بمن فيه ، فالسماء كانت صافية والجو معتدل ، حتى اللغة العربية كنا نسمعها فى بعض المحال العامة ، والشوارع تزخر بالمتاجر والحركة الدائمة وطابع المرح والنشاط يشعر الزائر بطبيعة هذا الشعب المكافح الذى تسمع مناقشاته فى شتى الموضوعات بأصوات مرتفعة فى المقاهى .

زرنا متحف أثينا فى جولة سريعة لضيق الوقت وبه مجموعة لابأس بها من الآثار القديمة .

وبلاد اليونان بها عدد كبير من المصايف البحرية والجبلية والجزر الجميلة التى كان يتردد عليها عدد كبير من المصريين قبل الحرب العالمية الثانية ، عدنا بالترام السريع إلى ميناء بيريه وكانت الباخرة على وشك الإقلاع .

وعندما عدنا إلى الميناء (بيريه) بالترام السريع قبيل موعد إقلاع الباخرة ، تأخر الترام لأسباب فنية ، وأعتقد أن هذا كان من حسن الحظ حتى يمكننى أن أستمتع بجولة أطول فى بلاد جوبتر وكان الدليل الظريف المرح مازال معنا فسألته إذا كان من الممكن إيجاد سيارة سياحية للقيام بجولة خارج أثينا لزيارة بعض الضواحى الساحلية التى قرأت عنها فرحب بالفكرة وانضم إلى بعض الزملاء والزميلات من المسافرين ، وفى خلال بضع دقائق جاء الدليل ومعه عربة ميكروبس مجهزة بميكروفون ومقاعد مريحة وقمنا إلى فالبرون القديمة Old Phaleron وتبعد حوالى عشرة كيلومترات من أثينا ، وهى ذات سواحل جميلة ساحرة ، وبها فنادق فخمة ومطاعم ومقاه وأمكنة خاصة بحمامات الشمس الدافئة .

ثم زرنا فوليا جميس Voulia Gmeui وبها غابات الصنوبر الجميلة والحمامات الطبيعية الساخنة لعلاج مرض الروماتزم والتهاب المفاصل .

أما فاركيزا Varkiza فتقع على طريق السهل الساحلى وسط خلجان صغيرة وبها شواطئ جميلة ومنطقة هامة لإقامة المعسكرات .

وعندما اقتربنا من سونيون Sounion رأينا معبد Nepton يطل من على تل صخرى عال ، وعندما اقتربنا منه أظهر الدليل لنا اسم لورد بايرون محفور بخطه على أحد الأعمدة (بيده) وكان يقضى بعض أيام الراحات الصيفية هناك لجمال المنطقة وسحرها .

ووقفنا عند بنتلى Penteli وتشتهر بالأديرة البيزنطية والجبال ذات الاحجار المرمرية البيضاء التى استعملت فى أبنية الآثار القديمة التى انتشرت فى معظم هذه المدن. والمتاحف فى اليونان تكاد تكون أكثر عددا من مدنها .

فمتحف بناكى Penaki مثلا يدل على الفن الإقليمى بمحتوياته التى تعبر عن الفن الإسلامى والمنسوجات القبطية القديمة والفازات والمطرزات.

أما متحف الآثار القومى فيضم أروع وأكثر مجموعة من الأعمال الفنية الأصيلة من كل أنحاء اليونان، وبه صالة فسيحة بها كنوز العصر المسينى Mycaenae وبعض التحف من عصر ما قبل التاريخ من تماثيل برونزية وفازات مختلفة الخ . . .

ويوجد أيضا بالمتحف البيزنطى الذى يضم مجموعة تتميز بفن النحت فى العصور المسيحية والبيزنطية رسوم زيتية وأيقونات وأشغال يدوية ترجع إلى القرن الرابع عشر للميلاد .

وفى اليونان بعض الكنائس لاتقل روعة وفناً عن المتاحف التى ذكرتها لكم . فكنيسة سانت جورج تعتبر من أقدم الكنائس وهى بناء مستطيل متسع بنى سنة ٣٠٣م ليكون مقبرة للإمبراطور جاليريوس، ولما جاء خليفته المسيحى حول المبنى إلى كنيسة فعلية حوالى سنة ٤٠٠م وبعد ذلك أضيف البهو والممرات.

وتقام كل عام فى أثينا مهرجانات موسيقية فى موسم الصيف تشترك فيها مجموعات من الراقصين من مختلف القرى، وكل قرية لها ملابس خاصة زاهية الألوان تعبر عن بعض العادات والحياة اليومية فى هذه القرى . وكل قرية بل كل منطقة لها رقصتها الوطنية التى تؤدى بواسطة مجموعة من النساء والرجال من أبنائها .

وتركت اليونان على نغمات الموسيقى الساحرة وأخذت الباخرة تبتعد والصوت يخفت .

النمســا

إنى أستميح القارئ عذراً إذا بدأت الحديث عن النمسا بهذه اللمحة ، الجغرافية الخاطفة .

تشتمل النمسا على تسعة أقاليم لكل إقليم منها حكومته الخاصة ، وتشرف وزارة التجارة والتعمير على السياحة طبقا لنص الدستور ، ويرجع كل إقليم إلى هذه الوزارة فى ڤينا العاصمة لعرض وبحث المشاكل الكبرى ، والمجلس الأعلى النمساوى هو أكبر هيئة سياحية تجتمع سنوياً هناك .

هذه أولى معلوماتى مشاهدة وسماعاً عن النمسا .

كانت زيارتى الثانية للسيد Burda بوردا مدير السياحة فى ڤينا عام ١٩٦٠ وكنت أتبادل معه المطبوعات السياحية منذ عامين وقد استهل حديثه معى قائلا :

« إن الحركة السياحية قد انتعشت فى النمسا فى العام الماضى بعد زيارتك وهى تتفوق على سويسرا الآن فى الزعامة السياحية» ثم أضاف أنه فى أثناء زيارتى السابقة كانت السياحة فى النمسا تأتى فى المرتبة الثانية أما الآن فهى فى المرتبة الأولى ، فقد ازداد الاستعداد السياحى وأصبح يتجه نحو الشرق ، ثم تكلم عن الخط النمساوى الجوى بين القاهرة وڤينا وكيف أنه سوف يسهل السفر بين العاصمتين ويربط بينهما .

وانتهت زيارتى الطويلة للسيد بوردا بإبداء رغبتى فى التعرف على مكاتب السياحة لدراسة نظمها وأقسامها فرحب بالطلب ووعدنى بترتيب زيارة لأكبر شركة سياحية فى صباح اليوم التالى .

بعد هذه الزيارة مررت بميدان الأوبرا فوجدت إعلانات كبيرة عن رحلات للشرق لمدة عشرة أيام وسبعة أيام معلقةعلى الجدار بجوار الفندق الكبير « صخر » فدخلت من باب الشركة السياحية التى أعلنت عن هذه الرحلات وطلبت مقابلة المدير ،ووجد شاباًسياحياً نشيطاً ولما قدمت إليه نفسى رحب بى كزميلة وكسيدة عربية تدير شركة سياحية فى مصر ، وأظهر استعداداً للتعامل مع شركتى ، وعلمت منه أنه يمتلك جريدة يومية يستغلها سياحياً ثم قال : إن الحالة الاقتصادية قد انتعشت فى النمسا وأصبح فى متناول كل الطبقات حتى العمال السفر والسياحة ، وإن شعب النمسا يعشق النظام ولهذا توضع له برامج محدودة للسياحة ، يتقبلها دون مناقشة ، وقد دعانى السيد Hanz هانزا المدير إلى جولة مسائية تنظمها شركته فشكرته معتذرة نظراً لضيق الوقت .

ذهبت إلى سفارتنا فى ڤينا بعد أن اتصلت بها لبعض الاستفسارات وكان يوم سبت ، وعندما قابلت السيد السفير دعانى لتناول الغداء فى اليوم التالى أى الأحد فحاولت الاعتذار بحجة أنه يوم عطلة الأسبوع والمفروض أن يخرج مع أسرته للنزهة ، ولكنه أصر وقال لى « سنكون فى انتظارك بالمنزل ظهراً » فلم يسعنى إزاء إصراره إلا قبول الدعوة شاكرة ؟

وفى الساعة الواحدة بعد الظهر كنت أمام منزل السيد السفير أدق جرس الباب ، وكانت مفاجأة كبيرة لى عندما فتحت لى الباب السيدة قرينة السيد السفير وإذا بى أمام زميلةعزيزة منذ أيام الدراسة بالكليةلم أرها منذ ذلك الحين وعندئذ علمت سبب تصميم السيد السفير على دعوتى !

أما المفاجأة الثانية فكانت على مائدة الطعام إذ قالت الزميلة الكريمة لقد علمت البارحة من السفارة بحضورك إليها وذكر لى زوجى اسمكفطلبت منه أن يدعوك لتناول الغداء معنا ، وخمنى ماذا أعددت لك من طعام ؟ فقلت ملوخية بالأرانب ، كنت أنتظر أى شئ إلا هذه الأكلة اللذيذة الشهية فى ڤينا

وكان معنا على الغداء ضيف مصرى قدمته لى مضيفتى وهو شاب مصرى يدرس فى جامعة جراتسى ، ومن التمرس فى وجهه وجدت هناك شبهاً بينه وبين إحدى صديقاتى وزميلاتى فى الكلية ، فما ذكرت له اسمها حتى قال لى إنها والدته ؛ وفى أثناء تناول هذه الوجبة الشهية تحدثت معه وسألته عن مدينة جراتس ولم أكن قد زرتها ولكنى سمعت عنها فقال :

إن مدينة جراتس هى المدينة الجامعية الثانية فى النمسا وعدد سكانها مليون و ١١٨,٥٠٠ نسمة ، وتغطى الغابات أكثر من نصفها فضلا عن مساحة كبيرة من المروج والمراعى ، ولهذا كانت هذه المقاطعة أغنى مقاطعات النمسا التسع فى محصول الأخشاب والماشية .

أما الجامعة فقد أنشئت سنة ١٥٨٥ ولذلك تعتبر أقدم جامعات النمسا بعد جامعة ڤينا التى تأسست سنة ١٣٦٥ والتى هى أقدم الجامعات فى البلاد الناطقة بالألمانية . وهى على العموم مدينة قديمة رائعة ويدرس بها عدد غير قليل من الطلبة العرب وتوجد بها فنادق أسعارها معتدلة ، وقد لفت انتباهى أن هذا الطالب المصرى الصغير متحمس لجامعته هناك وهو فضلا عن دراسته يرأس نادياً عربياً هناك ويقوم بنشاط رياضى ودعاية طيبة لبلده ، وقد طلب منى نشرات سياحية ومطبوعات فقدمتها إليه مغتبطة .

قضيت وقتاً طيباً مع أسرة السفير وتناولنا فى الحديث أيام الدراسة ثم أخذت طريقى إلى الفندق بعد الظهر لأقوم بباقى زياراتى السريعة وأنظمها حيث إن وقتى فى النمسا كان محدوداً .

تقابلت مع مديرة نادى السيارات بڤينا وهى سيدة أنيقة تلمح فى عيونها الذكاء ، وقد زارت مصر أكثر من مرة ضمن مجموعات وأشادت بنشاط نادى السيارات فى القاهرة والتسهيلات التى يقدمها .

وعند عودتى للفندق ظهراً وجدت فى انتظارى مكالمة تليفونية من السيدة آنى وهى صديقة كانت قد زارت القاهرة منذ عامين وقمت بواجب الضيافة نحوها، وكنت قد أرسلت إليها بنبأ زيارتى قبل وصولى ڤينا بيوم، ولم يرد منها رد فظننت أنها ليست موجودة فى ڤينا ، ولما اتصلت بها تليفونيا أخبرتنى أنها مصممة على مقابلتى مساء اليوم، ولكن كان هذا آخر يوم لى فى ڤينا وكنت مرتبطة بحفلة فى الأوبرا (ماتينيه) فانتظرتنى فى مطعم قريب منها ، وحين وقع نظرى عليها ألفيتها مكتئبة تبدو عليها أمارات الحزن وعلمت من صديقتها التى تصحبها أن والدتها توفيت منذ يومين وأنها مازالت فى المستشفى، فالعادة عندهم أن لايدفن المتوفى إلا بعد ثلاثة أيام من وفاته ووجود آنى بجانب والدتها فى المستشفى هو السبب فى تأخر وصول خطابى إليها إلى صباح اليوم، فأبديت لها أسفى وقدمت لها عزائى لوفاة والدتها وحاولت عبثاً أن أعتذر لها عن العشاء والسهرة كما عرضت ولكنها صممت قائلة إن فى ذلك بعض السلوى لها بل هو واجب تشعر بالارتياح فى أدائه نحوى قبل سفرى من ڤينا، وقالت : «كيف تعتذرين وقد أكرمت وفادتى فى القاهرة». شعور نبيل وقوة احتمال وصبر وجلد، وصحبتنى فعلا فى جولة لضاحية من ضواحى ڤينا الجميلة القريبة تسمى كوبنزل (Kopenzil) وهى أعلى من ڤينا بنحو ١٢٠٠ قدم والمسافة بينهما ساعة بالسيارة، ومن كوبنزل ظهرت لنا ڤينا وهى تتلألأ بأنوارها وطرقاتها تعج بالمباهج والمفاتن فبدت فى كامل بهجتها .

وفى طريقى إلى المطار صباح اليوم التالى مررت من شارع رنج (رنج اشتراسه) كما يسمونه، وهو متنزه أكثر منه طريقاً ويشبه الشانزلزيه فى باريس ولكنه يضم عدداً من التماثيل الرائعة لزعماء الموسيقيين الذين عشقوا ڤينا وهو يحيط بالمدينة القديمة وبه دار البرلمان النمسوى ، ووجدت فى مطار ڤينا واجهة منسقة وبها مصنوعات مصرية وقد نظمها مندوب مصلحة السياحة وكانت تتناسب مع جمال المطار ونظمه الحديثة وحسن تنسيقه .

فينا بلد الفن والموسيقى والجمال :

تنبعث أروع أنغام الموسيقى حتى من البيوت المتواضعة فى عاصمة بلاد النمسا التى شهدت مولد موزار وجوته، ولو أن مبانيها قديمة إلا أنها لاتزال تحتفظ بطابع الفخامة، بعضها قديم من جهة وجديد من الجهة الأخرى ، ويرجع ذلك إلى الحرب الطاحنة وتساقط القنابل على الدور التى دمرت نصفها وأبقت على النصف الآخر فأكمل بناؤه . ولقد عانت مدينة ڤينا — التى كانت تعتبر من أجمل مدن أوربا بل العالم، وأغناها — من الحرب ما لا يمكن تصوره ، ولكنها مع ذلك لم تفقد روحها الموسيقية والفنية كما أنها لم تفقد قصورها الفخمة التى من أهمها القصر الإمبراطورى الذى يقع فى قلب المدينة ، ويزخر بأنواع التحف الفنية والصور والأثاث الثمين ، وقد كان هذا القصر حتى سنوات قليلة مقرا للإمبراطور فرانسواجوزيف . وهو يحتوى على ألف غرفة بينها الغرف التى كان ينزل بها نابليون مع زوجته مارى لويز حينما يزور حماه فرانسوا الأول .

أما قصر « شون برون مصيف القياصرة » فيقع على بعد ساعة خارج المدينة ويعتبر من أجمل القصور الملكية فى العالم ، وكان مقر الملكة « مارى تريزا » ، وحدائق هـذا القصر مازالت محتفظة بجمالها وبحيراتها ونافوراتها التى تشبه نافورة قصر فرساى الجميلة ، وتكسو حوائط بعض حجرات هذا القصر نقوش من الذهب الذى يخطف الأبصار ، وقد بلغت تكاليف الحجرة الواحدة مليون دولار ، وتشغل مطابخ القصر حوالى ١٤٠ غرفة وتحيط بالقصر الحدائق الغناء والغابات الخضراء من كل جهة، وشون برون معناها النبع الجميل ووسط هذه الحدائق تشهد هذا النبع الجميل الذى أقيمت فوقه نافورة ضخمة تندفع مياهها إلى علو شاهق .

هذا وقد حرصت النمسا كما حرصت الثورة الفرنسية على صيانة هذه القصور من عبث العابثين ، فبقى قصر اللوفر وقصر ڤرساى وغيرهما كما هى بعد أن غادرها الملوك، وظلت وسيلة لاجتذاب السياح من جميع بلاد العالم وكانت ولا زالت من أهم مصادر الدخل القومى لهذه البلاد .

تحدث إلى مدير الشركة السياحية لحزب الشعب عن برنامج زيارة وضع للطلبة الأجانب لتعلم اللغة النمسوية فى خلال ٢٠ يوماً مقابل مبلغ ٤٠ جنيها بما فيها الإقامة والتعليم والمواصلات . . . الخ . وهى وسيلة للدعاية فريدة فى نوعها ، ومما أثار انتباهى أن حزب الشعب هناك قد قام بتأسيس هذه الشركة السياحية مساهمة منه فى تنشيط السياحة ونشر الوعى السياحى بين الطبقات لمن يرغب منهم فى زيارة المعالم السياحية فى مختلف أنحاء العالم مقابل رسوم تكاد تكون رمزية ، ولكى تتيح كذلك لهذه الطبقة التثقيف ونشر الدعاية لبلدهم فى الخارج ،وكم يكون مفيداً لوأن الاتحاد الاشتراكى العربى تبنى مثل هذه الفكرة وقام بتنفيذها .

وقد اشتركت فى جولتين —واحدة نهاريه وأخرى ليلية— من الجولات التى تنظمها الشركة وتستوعب أشهر وأجمل المعالم السياحية فى فينا ، ففى الجولة النهارية قمنا بزيارة منزل الفنان المشهور بتهوفن الذى كان يسمع الدنيا موسيقاه وهو لايسمع ، وشهدت قصر البرلمان والمتحف ومررت بميدان ستالين وقد أقيم فيه تمثال الجندى الروسى المجهول ،وفى ميدان الأوبرا أقيم تمثال «جيته وشيلر» ومررنا بماريا هلف شتراس ، وهو شارع يبلغ طوله خمسة كيلو مترات وبه مجموعة من المحال التجارية الضخمة ، وأما الحدائق وتنسيقها فالقلم يعجز عن وصفها .

وأما الجولة الليلية فكانت فى بعض المحال الليلية التى تشتهر بها فينا ، ثم تناولنا طعام العشاء فى (جر ينسج) وهى ضاحية صغيرة أنيقة تشتهر بمحالها ومطاعمها الشعبية ووجبة الدجاج المشوى والموسيقى الخفيفة الحالمة .

ومن أشهر حدائق فينا حديقة شتات بارك التى تقع على الحلقة وهى قريبة من ميدان بتهو فن (بتهوفن بلاتس) ، وهى روضة ومتحف ، فالطبيعة جادت عليها بأنواع مختلفه من الأشجار والورود والزهور ونهير هادئ ينساب بين هذه الأشجار والزهور اليانعة المختلفة الألوان ، كما جاد عليها الفنانون بمجموعة

من التماثيل لبعض عظماء الرجال ، وهى متناثرة بين أرجاء هذه الحديقة وأهمها تمثال الفنان « فرانس شوبرت » المؤلف الموسيقى النابغة والذى ولد سنة ١٧٩٧ وكرس حياته للفن حتى توفى سنة ١٨٧٢ .

ومن هذه التماثيل المتناثرة فى الحديقة تمثال نصفى للموسيقى الشهير (أنطون بروكنر) وكان خليفة بتهوفن فى الموسيقى السيمفونية وكان أشهر عازف على الأرغن وهو معروف فى ألمانيا وانجلترا وفرنسا شهدت نفحاته الموسيقية فى بلادها .

أما تمثال يوهان شتراوس (ملك الفالس) وصاحب المقطوعة الموسيقية الشهيرة (الدانوب الأزرق) فيقف على نصب مكون من قطعة فنيه تشبه المسرح وهو يعزف على الكمان وقد وقفت أمامه دقائق مبهورة من عظمة الفنان التى تتمثل فى هذا التمثال وفى تاريخة الحافل .

ثم أخذت بعد ذلك أتجول فى هذه الروضة الغناء بل المتحف الفنى ، وكان الوقت قد أوشك على الغروب فجلست على حافة البحيرة الصغيرة وإذا بطفلة صغيرة جميلة لاتتجاوز العام الرابع تجرى نحوى وتحاول أن تختفى عن أنظار والدتها الشابة وأخيها الذى يكبرها بعامين ، ثم تعرفت على أسرة الطفلة وقضيت ساعة معها فى حديث معظمة بالإشارات ، ولم تلبث الشمس أن غربت دون أن أشعر ، وانبعثت الأنوار وانعكس الضوء على مياه البحيرة وعلى التماثيل . وعندما هممت بالانصراف بعد وداع أصدقاء المصادفة إذا بى أسمع أنغاماً جميلة شجية من الطرف الآخر للبحيرة حملتنى على البقاء رغما عنى وبعد الاستمتاع ببعض القطع الموسيقية رأيت أن فى هذا القدر كفاية ، وأنهيت زيارتى الممتعة لهذه الحديقة الحافلة بأنواع الفن وبجمال الطبيعة الأخاذ .

حديقة الملاهى براتا :

وقد استرعى نظرى تلك العجلة الكهربائية العالية التى يسمونها — (ريز نراده) ، ومعلق بتلك العجلة بواسطة أسلاك وقوائم هندسية عربات نصفها الأعلى من الزجاج ، ويبلغ عددها ١٥ وبها مقاعد ومناضد وتتسع كل عربة منها لاثنى عشر شخصاً بأجور قليلة لاتتعدى القروش وفى أثناء دوران هذه العجلة الكبيرة تظهر فينا الجميلة من كل نواحيها بحدائقها الغناء وغاباتها ومطاعمها العديدة بموسيقاها المرحة الخالدة . . . الخ .

إنه لا يكفى يوم أو يومان للاستمتاع بهذه الجنة بل يحتاج المرء إلى أيام وأيام ، أما الشارع الرئيسى هناك فتقوم على جانبيه الأشجار الكبيرة وقد تعانقت أغصانها فكونت مظلة طبيعية للمقاعد التى تناثرت على جانبى الطريق الجميل للاستراحة والاستجمام ، وهى تضم عدة ملاعب للكرة والجولف والتنس تقام فيها المباريات الرياضية .

وبعد أن جلست بعض الوقت على أحد هذه المقاعد فى حى الرياضة والجمال أخذت طريقى حسب الخريطة التى أحملها سيراً فى شارع عريض جميل (روتن بورم شتراسه) . وهو يعتبر من أفخم شوارع فينا التجارية ،

ولم أشعر بالمشى لأنى كنت أقف أمام واجهات المحال التجارية والمعروضات الجميلة ، فلم أشعر بالتعب أو الملل حتى وجدت نفسى فى ميدان (اسطفان) ، أما الكنيسة التى تتوسط الميدان وتحمل نفس الاسم الذى يحمله الميدان « القديس اسطفان » حامى فينا كما يسمونه هناك ، فقد وقفت أتأمل عظمة بنائها وجمال الأبراج والنقوش الدقيقة على المرمر المصقول ، ولم أشأ أن أمضى فى طريقى قبل أن أقف على بعض المعلومات عن هذه الكنيسة التى تعتبر من أشهر كنائس العالم ومن أفخمها فى فن البناء ، فعلمت أنها تأسست سنة ١١٤١ ويبلغ علو برجها

الكبير ٤٢٧ قدماً ، وقد أصيب صحن الكنيسة بقنبلة مباشرة فى الحرب الأخيرة ولحسن الحظ لم يمس برج الكنيسة سوء وقد تم إصلاحها وأعيدت لأصلها ، وخلف الكنيسة تمتد مقابر قديمة لبعض الملوك والأمراء والبابوات كما توجد بها الأفران التى كانت تستعمل فى إحراق الجثث .

واصلت المشى بعد استراحة لبضع دقائق عند الكنيسة العريقة ثم اتجهت يمينا عند منصة الإشارة ووقفت أمام نصب تذكارى هو عمود أقيم على على مدرجاته تمثال لقيصر ليوبولد الأول فى زيه الرسمى جاثياً شاكراً ،وقد وجدت فى الدليل السياحى الصغير الذى أحمله أن هذا النصب يسمى عمود الطاعون (Peste Soule) وقد شيده القيصر إثر إصابة العاصمة بمرض الطاعون الذى حل بها سنة ١٦٧٩ عندما استجاب الله لدعواته وأنقذ فينا من هذا الوباء وأقيم هذا التمثال رمزا للشكر والوفاء .

جريبنج :

ضاحية الفنانين والكروم الشاسعة التى اشتهرت بنبيذها ، ويربطها طريق جبلى صاعد بين المروج والأحراش والغابات الخضراء بمدينة Kopinzèl كوبنزل وهى على علو ٤٠٠ متر ،ومن القمة تشاهد المدينة الجميلة بقصورها الشامخة وأبراج كنائسها الجميلة القديمة ،حتى نهر الدانوب والقنوات تراها تنساب برشاقة وجمال بين المساحات الخضراء ، أما فى المساء فتظهر فينا كأنها ثريا تتلألأ .

اوبرا فينا :

قبل سنة ١٨٦٣ كانت الموسيقى معروفة فى فينا (النمسا) . ولكن الموسيقيين لا يجدون المكان الملائم لإبراز فنهم وعبقريتهم ،ولهذا فكر القيصر فى إقامة بناء ضخم يتسع لألفين وخمسمائة شخص وكانت المقصورات معدة لأربعة أشخاص من النظارة هذا عدا ٥٤٧ مقعداً فى أعلى المسرح ويطلق على هذا المبنى دار

الأوبرا ،وألحق به مطعم يتناسب مع روعة المبنى تقدم فيه المشروبات الروحية والسجق الدافئ (كورف) ،وغيرها وكانت هذه الأطعمة الشهية تشغل الجماهير عن الإصغاء إلى الموسيقى التى تشق أجواء الدار .

ولكن هذه الدار نكبت بخسارة فادحة نتيجة قيام الحرب الأخيرة ، إلا أن عزيمة أهل البلد وإرادتهم التى لا تعرف الهزيمة أعادت بناءها ، وتسابق كبار القوم وأصحاب المصانع ورجال المال من مختلف بلدان أوربا وأمريكا إلى حجز مقاعدهم فى حفلة الافتتاح ،وقد بلغ ثمن التذكرة لمقعد واحد أربعة آلاف شلن نمساوى لكى يشهدوا حفلة الافتتاح .

وأغلب الظن أن هؤلاء الأثرياء إنما حضروا الاحتفال لا ليشهدوا الحفل بل ليكونوا محط الأنظار .

ومما يذكر أن المهندس الذى قام ببنائها أول مرة كان هدفاً لهجوم الصحافة وانهال عليه النقد حتى انهارت أعصابه وأصيب باحتقان فى المخ مما كان سبباً فى إصابته بالشلل الكامل ، ثم لم يلبث أن توفى بعد بضعة أسابيع .

وفى سنة ١٩٤٨ لم يسلم المهندس الذى نال الجائزة الأولى لفن العمارة من النقد والهجوم والحملات السياحية ولكنه لم يبال بذلك .

وما زالت دار الأوبرا فى فينا محتفظة بمكانتها وعظمتها وروعة الفن الذى أفرغت عبقرية المهندسين فيه برغم ترميمها وتجديدها وقد بلغت نفقات التجديد والترميم ما لا يقل عن ٢٠٠ مليون كرون .

ولقد كنت فى أشد حالات البهجة والسرور عندما تلقيت الدعوة لحضور حفل افتتاح الدار لأول مرة عقب ترميمها وتجديدها ، إلا أن هذه البهجة تبددت واستحالت إلى أسف شديد لأن موعد حفل الافتتاح كان يوافق يوم مغادرتى فينا إلى ميناء نابولى للإقلاع منها على الباخرة إلى الإسكندرية والعودة إلى العمل :

ولكن لهفتي على رؤية هذه الدار حملتني على أن ألتمس من مدير السياحة هناك أن يمهد لى السبيل لمشاهدة هذه الدار قبل حفلة الافتتاح فمهد لى السبيل مع مدير الدار وصحبني إلى هناك .

وعند وصولى إلى هناك اعترتني الدهشة الممزوجة بالإعجاب عندما شاهدت مبلغ فخامة وروعة الفن فيها .

استقبلني مدير الدار وأطلعني على محتوياتها ورأيت فى تقسيمها وتنسيقها ونظامها ما يبعث على العجب والإعجاب معاً ، فهناك غرف خصصت للممثلين وأخرى للماكياج وثالثة لفرقة الباليه ، وهناك البهو الكبير الذى تتلألأ فيه الأضواء المنبعثة من الثريات الفخمة المصنوعة من أثمن أنواع الكريستال .

أما ساحة المسرح فهى تشبه القلعة المحصنة ذات الأبواب المتعددة والتى يخرج منها الأثاث الملائم لكل رواية بالطرق الحديثة السريعة ، أما الستائر والمناظر فتعد للمسرح بطريقة آلية ، ومما هو جدير بالذكر أن حارس الدار كان يرتدى زياً خاصاً فخماً وقد رصع صدره بالنياشين والأوسمة التى أنعم عليه بها من شتى البلاد ، وكان عملاقاً ضخماً يسير فى عظمة وأبهة ويمسك فى يده حلقة معدنية كبيرة بها عدد من المفاتيح لكل أبواب الدار مرقومة بأرقام معينة ولكل غرفة مفتاحها الخاص ، ولكنى لاحظت أنه يعرف مفتاح كل غرفة عن ظهر قلب .

وبعد جولتى التى استغرقت الساعتين فى قاعات ومقصورات هذه الدار العظيمة شكرت حارس الدار (حامل المفاتيح) ، وما أن انتهيت من الزيارة حتى كان موعد سفرى إلى ألمانيا قد حان .

ألمانيا

ألمانيا بلد صناعى بكل معنى الكلمة ، ويقدر عدد مؤسساتها الصناعية بحوالى ٩٤٢٠٠ مؤسسة ويقدر عدد العاملين بها بحوالى ٨ ملايين عامل ٣٠ ٪ منهم من النساء ، ويكفل الدستور المساواة بين الجنسين ، حتى إن ٢٢ ٪ من رؤساء المؤسسات من النساء . وهذا يدل على أن نصيب المرأة الألمانية فى الحياة العاملة عظيم جداً . ولكن تشغيل الأطفال الذين تقل سنهم عن ١٤ عاماً محظور .

وتحتل صناعة المواد الغذائية المرتبة الأولى من حيث عدد العمال الذين يعملون فيها .

وشعار الدعاية السياحية الألمانية هو (زوروا ألمانيا فى كل فصول السنة) ، ففى الشتاء يكسو الثلج الأراضى والجبال بقدر معقول ، والصيف حار غير مرهق والخريف جاف وهو موسم جنى الكروم وتقام له حفلات الحصاد .

أما المناظر الطبيعية فهى متنوعة وجميلة فى الغابات والجبال وهناك المدن الغنية بالمياه المعدنية والمصحات والمصايف ومراكز الرياضة الشتوية ، كل ذلك يجعل منها بلاداً سياحية من الدرجة الأولى ، كما أن هناك ٣٩ داراً للأوبرا وتحتل الحفلات الموسيقية الكلاسيكية مركزاً ممتازاً ، وأكبر أوركسترا هى الفلهرمونيكا (برلين) . وتقام مهرجانات موسيقية تجتذب عددا كبيرا من الزوار الأجانب .

وبجانب الثقافة الموسيقية هناك النشاط الأدبى ؛ فبعض دور الكتب الأهلية مثلا تضم ٢,٥ مليون كتاب ودار الكتب فى فرانكفورت يوجد بها الفهرس المركزى لجميع الكتب الموجودة فى ألمانيا ، وهى لذلك تعد من أمهات المكتبات فى ألمانيا .

كما يوجد عدد كبير من المكتبات الجامعية، وقد سألت أميناً لإحدى تلك المكتبات عن مدى إقبال الشعب على القراءة فأجاب بأن الشعب يقبل على القراءة بشغف شديد بدليل أن عدد المنتسبين إلى نوادى القراءة (وعددها ٢٦ نادياً) يبلغ أربعة ملايين منتسب ، وهم يستعيرون الكتب القيمة بأجر رمزى ، هذا فضلا عن الاستعارة من المكتبات العامة .

وتحتل ألمانيا المركز الرابع فى العالم من ناحية النشر ، فإن ما ينشر فيها من الكتب يبلغ ٢٢٥٢٤ مؤلفا فى السنة وكانت هذه الإحصاء عام ١٩٦٠ إلا أن روسيا واليابان وبريطانيا تتفوق عليها فى هذا المجال .

وفى ألمانيا نحو ١٠,٥٠٠ مكتبة تابعة للبلديات فضلا عن المكتبات التابعة للكنائس ، وجميعها تعمل على نشر الثقافة والحث على الاطلاع

حقائق عن ألمــانيا :

كان الألمان أول من عنى بوضع الصابون والمناشف فى أماكن الاغتسال فى قطارات السكك الحديدية ثم نقلتها عنها باقى دول أوربا ، وتحت ضغط الهزيمة فى الحرب العظمى وللاقتصاد فى النفقات ابتكروا زجاجات الصابون السائل والمناشف الورقية .

عبادة البطولة والنظــام :

من أجل النظام العام يضحى الفرد الألمانى بمصلحته الشخصية التى تأتى فى المرتبة الثانية بالنسبة إلى مصلحة الوطن العليا ، وقد تفوق الألمان على كل شعوب أوربا فى إنشاء المصانع وصناعة آلات مع الاقتصاد فى النفقات .

وتبدأ عبادة البطولة فى الأسرة ، فرب الأسرة هو الأب الذى يفرض على زوجته وأولاده حب النظام والطاعة ، ولكن دون استعمال الشدة والقسوة مما

يهيئ الطفل ويجعله مستعداً دائماً لإطاعة الأوامر وتنفيذها دون تردد، كما أن الأب يبث فى نفس الطفل روح الكفاح والمثابرة والجلد ومجابهة المصاعب والصدمات وألا يطأطئ رأسه للهزيمة ، وأكبر دليل على ذلك ماشهدناه إبان الحرب العالمية الثانية، فإن شباب ألمانيا كان يعتبر كلمة هتلر كأنها تنزيل من السماء .

خريطة المدينة على تذكرة الترام :

ومما هو جدير بالذكر بالنسبة للنظام فى ألمانيا هذه الخريطة المفصلة على تذكرة الترام وقد دونت عليها المحطات المهمة فى الخط حتى يستعين بها الراكب وخصوصاً إذا كان من الأجانب .

وقد لاحظت أن معظم مبانى المدينة من الزجاج وهذا يدل على اتجاه الشعب إلى السلام وعدم استعداده لخوض غمار حرب أخرى .

ثم بدأت الرحلة وسط ألمانيا وكانت الرفيقة التى تعرفت عليها فى أثناء السفر فتاة أمريكية تعمل مدرسة موسيقى وقضت فى فرنسا بضعة أشهر تدرس فى مدينة « فونتنبلو » فى بعثة صيفية، وكانت تقوم بهذه الرحلة قبل عودتها إلى أمريكا .

تناولنا الغداء سوياً فى مطعم صغير على إحدى بحيراتها، وقد لاحظت فى كل حى مررنا به آثار الحرب والدمار فى كثير من المبانى .

البروتوكول السياحى :

كان لكل راكب مزاجه الخاص ، فالسويدى يريد أن يفتح النافذة والأمريكية تختشى تيار الهواء والألمانية تريد أن تستمتع بالموسيقى والإنجليزية تؤثر مشاهدة المناظر الطبيعية فى هدوء، وكان على المضيفة أن تعمل على إرضاء جميع الأذواق ، فاستعانت باللباقة وحسن التصرف وقد أظهرت مهارة فى معالجة هذه الأمور :

سألنى أحد رفاق السيارة (وهو سويدى) عن السياحة فى مصر ولماذا لا يوجد مكتب سياحة لنا فى اسكنديناوة ، وذكر أنه ينبغى أن يكون لنا مكتب سياحى للدعاية والاستعلامات ، وليكن فى مدينة كوبنهاجن بالذات فدهشت وسألته : « ولماذا لا يكون فى استكهولم ؟ وهى بلدك ؟ » .

فأجاب : « ولو أنى سويدى إلا أنى أقرر لك أن مركز كوبنهاجن أقوى وأعظم إذ يؤمه الكثير من السياح خصوصاً الأمريكيين ، وأنهم يطلقون عليها « باريس الشمال » نظراً لما اشتهرت به من توافر وسائل التسلية والترفيه . »

وفى أثناء هذا الحديث لمحت مناظر خلابة ؛ فمن مراع خضراء زاهية إلى غابات يضرب لونها إلى السواد نظراً لشدة كثافتها ويطلق عليها بالألمانية Schwartz wald أى الغـابة السوداء وهى من المصايف الشهيرة ، وبهـا منطقة معسكرات .

شعرت أن السفر بالأتوبيس ممتع للغاية ، فالمسافر يرى ويستفيد أكثر من السفر بالقطار أو الطائرة ، هذا بجانب الفرص المتاحة للتعرف على عدد من الشخصيات من كل بلد مما يزيد من معلومات المسافر ، كما يهيئ له فى نفس الوقت الدعاية لبلده .

وصلنا مدينة بازل Besel بعد الظهر وهى فى ملتقى الحدود الفرنسية والألمانية وتعتبر ميناء هاماً لسويسرا لأنها مركز هام لتصدير الأدوية.

قمت برحلة فى نهر الرين من مانهيم إلى وورمز Worms استغرقت نحو ساعتين ، وهى ضاحية صغيرة اشتهرت بصناعة النبيذ وتجمع مساحات واسعة من أنواع العنب الممتاز ، وكان ، وقت عيد النبيذ السنوى وفيه تحتفل البلد بهذا العيد سنويا بإقامة الزينات فى المحال العامة والفرق الموسيقية التى تعزف فى الميادين وعلى النهر تقام الألعاب النارية فى المساء ، وقد قضينا فى حديقة الملاهى هناك ساعتين تمتعنا فيها مع أهل البلد بالألعاب المختلفة والمباريات الطريفة

التى تعتمد على الحظ فى إصابة الهدف .. الخ ، وعدنا بعد الظهر إلى مانهايم بلد المصانع ، وتعتبر من أهم المراكز الصناعية فى ألمانيا لأنها تحتوى على عدد ضخم من المصانع الكبيرة ، كما أن وجودها بين أكبر نهرين فى ألمانيا الرين والنكر دعم مركزها الاقتصادى والصناعى .

ومما لاحظته فى مانهايم تعدد جنسيات الطبقة العاملة إذ يعمل فى مصانعها ومؤسساتها عدد كبير من أبناء أسبانيا وإيطاليا والهند والعرب من لبنان وتونس وسوريا والأردن الخ . . .

وكان من أثر تعدد هذه الجنسيات فى المدينة بجانب وجود معسكرات الجيش الأمريكى أن تغيرت طبيعة وروح الشعب الألمانى هناك إذا أخذ عنهم بعض العادات والتقاليد متنازلا عن الكثير من عاداته القديمة . وبين مانهايم وهيدلبرج المدينة القديمة المشهورة بجامعتها نحو ٢٥ كيلومتراً وبربطها بها خط مترو سريع وأتوبيس منتظم .

ويسود المدينة القديمة جو من المرح والعمل معاً ، والطلبة والطالبات فى حركة مستمرة ويشعر الزائر كأنه فى مدينة جامعية تزخر بالشباب من كل بلاد العالم .

ثم قمت بزيارة عميد معهد الجيولوجيا فى هيدلبرج بناء على طلب زميل مصرى لى كان يدرس معه منذ سنوات فى ألمانيا ، وقد طلب منى أن أزوده ببعض مطبوعاتنا السياحية .

وعندما وصلت المعهد صباحاً كان الدكتور العميد يمر على الفصول وبعد بضع دقائق من الانتظار حضر وفوجئ بزيارتى وبوجود المطبوعات التى كان فى شدة الاحتياج إليها كما أخبرنى .

ثم بدأ سيل من الأسئلة عن أسعار الأتوبيسات عندنا وهل توجد منطقة معسكرات ؟ وكم يتكلف الطالب الزائر لمنطقة البحر الأحمر ؟ وكان لا يعطينى الفرصة للاستفهام منه عن هذه الرحلات :

وعندما وجد أستمع لأسئلته السريعة المتعددة وأنا أبتسم ولم أجب على أسئلته توقف (فرمل) ثم قال : « لا تؤاخذيني يا سيدتى فزيارتك لى اليوم كانت مفاجأة لى غير منتظرة جاءت فى الوقت المناسب الذى كنت أرقبه وأفكر فيه فى تنظيم رحلات تعليمية لطلبة المعهد ولا يوجد عندى أية معلومات ولا من يدلنى على أحسن وأرخص الأسعار لهذه الرحلات ، ومدى المساعدات أو التسهيلات التى يمكن أن تقدم للطلبة ؟

فقلت له : إن الجمهورية ترحب بكل الزوار سواء كانوا سائحين أو طلبة وتقدم لهم كل التسهيلات فى حدود إمكانياتهم .

فقاطعنى قائلا : لاتنسى ياسيدتى أن هذه الرحلات ستكون للبحث والدراسة فى منطقة البحر الأحمر الغنية بالمعادن على أن يقيموا فى معسكرات وأن لا يتعرضوا للبقشيش ! !

فرانكفورت : يونيه سنة ١٩٦٠ :

لقاء بعد خمس سنوات :

كنت أتناول العشاء فى مطعم صغير مع الدكتور د . س وقرينته وهناك تعرفنا على الوفد التجارى الليبى وكم كنت فى غاية السعادة عندما قال أحد أعضاء الوفد الليبى إن أهل ليبيا يقدرون الرئيس جمال عبد الناصر ويحبونه وقال إنه سوف يكتب إليه باعتباره زعيم العروبة راجياً أن يبعث إلى عواصم بلاد أوربا بالشباب الجامعى المثقف المتحمس للقومية العربية للقيام بالدعاية فيها فهى أمانه فى عنق كل عربى ، ثم قال إنه على الرغم من أن ليبيا بلد صغير بالقياس إلى الجمهورية العربية المتحدة فإنها تقوم بالدعاية فى حدود إمكانياتها وذكر أنه حدث فى أثناء الاعتداء الثلاثى على بورسعيد أن سألته سيدة عجوز فى ليبيا عما إذا كانت الحرب بين العرب والطليان قد انتهت بانتصار العرب

فقال لها « نعم لقد انتصر المصريون » , فما كان من السيدة الا أن أطلقت الزغاريد وهللت وكبرت وقدمت أحد الخراف هدية منها ابتهاجاً بانتصار العرب ، وقال عضو آخر إنه كان فى روما ووجد صور دعائية فى واجهة أحد مكاتب الطيران الإسرائيلى تدعو لزيارة إسرائيل التى كانت صحراء وأصبحت جنة بجهود أصحابها ، فلم يلبث أن حطم زجاج الواجهة بقبضة يده وما زال أثر الجرح ظاهراً فى يده . .

ثم ودعتهم أنا ومن معى وتركنا هذا الرجل المتحمس لعروبته وهو مازال يتحدث بحماسة عن العرب والقومية العربية والوحدة العربية .

* * *

كان الجو لطيفاً عندما قمنا برحلة إلى البحيرات خارج المدينة وكان مكانى فى بدء الرحلة بالأتوبيس بجانب سيدة من ألمانيا كانت من النوع الفضولى فسألتنى :

— من أى البلاد أنت ياسيدتى ؟

— أنا مصرية وقادمة من مصر .

فظهرت على أساريرها علامات العبوس والتجهم ولم تلبث أن قالت فى غضبة « وأنا من إسرائيل » فقابلت تجهمها بابتسامة السخرية وسرعان ما انتقلت من جانبى واتخذت لها مكاناً آخر طوال الرحلة .

وقد كانت المجموعة من مختلف البلاد ؛ باكستان والهند واليابان فتبادلنا البطاقات ما عدا هذه السيدة التى كانت تنأى بجانبها وتتحاشانى .

ثم تناولنا الغداء فى مطعم جميل وسط البحيرات والجبال الخضراء ، وتعد هذه المنطقة مركزاً رياضياً مشهوراً فى رياضة الانزلاق على الجليد وتقام فيها مباريات موسمية ، ثم استأنفنا الرحلة وقمنا بزيارة معالم هذه المنطقة وعدنا إلى ميونخ التى هى عاصمة (بافاريا) وبها الكثير من الجامعات والمعاهد العليا والمطاعم القديمة التى تضج وتصطخب بالموسيقى البافارية القديمة .

ومما هو جدير بالملاحظة أنى لمست فى أهل ميونخ ترحيبهم بالمصريين وشغفهم بالتعرف على كل ما له علاقة بهم وببلدهم .

اتصل بى بعد عودتى إلى الفندق أحد الطلبة المصريين النابهين هناك وهو يقوم بدراسة فن الإخراج ويتمتع بمركز مرموق هناك فحضر لزيارتى بالفندق وكان يصطحب معه أسرة مصرية اغتبطت كثيراً بالتعرف على أفرادها . ومن بينها الدكتور (عبد الرحمن صبرى) الذى يدرس علوم الذرة وحرمة السيدة يسرية صبرى وابنتهما الصغيرة التى لا تعرف غير الألمانية لأنها ولدت هناك .

أما السيدة ى . ص فهى تدرس فن الإخراج التلفزيونى ويطلق عليها هناك لقب نفرتيتى ، وكم كنت معجبة بهذة السيدة التى تكافح مع زوجها فى سبيل الحياة ، وقد قصت على طرفاً من حياتهما فى ألمانيا وما لاقياه من عنت ومشقة فى أثناء دراستهما .

يقولون فى الأمثال القديمة « وكل غريب للغريب قريب » فلما التأم شملنا ونحن من بلد واحد وجها إلى الدعوة لتناول العشاء وقضاء سهرة عيد رأس السنة ، فتقبلت دعوتهما وقضينا وقتاً ممتعاً جميلا ووجهت إليهما الشكر على كرم الضيافة .

زيارة نادى السيارات :

توجهت فور وصولى إلى مكتب شركة الطيران العربية لبعض الشئون ووجدت هنالك موظفاً ألمانيا نشيطاً يدعى هر بوبنزر (Bubenoer) وهو رجل نشيط فاستقبلنى بالبشاشة والترحيب وكأنى ضيف عزيز ، ولما قدمت إليه نفسى ازداد ترحيباً بى وقال على الفور « هل تسمحين لى ببضع دقائق من وقتك ياسيدتى ؟ لأنى أريد أن أتحدث إليك عن السياحة فى بلادكم التى أحبها وأعشقها وأقوم متطوعاً على خدمتها بعملى فى هذا المكتب المتواضع ، ولا تسأليني عما أقدم من دعاية لكم ولو أنها فى حدود ما أستطيع إلا أنى أجد سعادة كبرى فى القيام بها وأرجو أن أقوم بالعمل على تسفير الآلاف من مواطنى الألمـــان كل يوم لزيا ة بلادكم والتعرف على آثارها العريقة ونهضتها الحديثة » .

فأجبته : « إنى سعيدة بهذه اللفتة الطيبة منك وكلى آذان صاغية لأستمع إلى أية ملاحظة أو رأى وكن على ثقة بأنه سيكون موضع الاهتمام والتقدير »

قال : « هل تعلمين أن المصريين هناك فى بافاريا وهى المنطقة الجنوبية من ألمانيا موضع حب ورعاية وتكريم على الرغم من أن الدعاية تكاد تكون معدومة ؟ هذا مع أن بعض الصحف التى لا تزال تحت السيطرة الصهيونية تقوم بالتشنيع واختلاق الافتراءات والأكاذيب عن مصر فى حين أنها تجهل الكثير عن بلدكم ، فلو أنكم ركزتم الدعاية هنا وقمتم ببعض الجهود الدعائية لبلادكم لا نقلب الوضع فى صالحكم » . ولم يدع لى فرصة للكلام بل استطرد قائلا « يوجد فى هذه المنطقة رابطة اسمها رابطة محاربى أفريقيا لهـا مكانتها واعتبارها فهى تقوم بتنظيم رحلات سياحية لبلادكم وأخص بالذكر منها منطقة العلمين ، فضلا عن أن هذه الجمعية تهتم بكل ما يذاع عن نهضة بلادكم فضلا عن أن الجمعية الطبية والجامعات كلها فى أشد الحاجة لهذه الرحلات الثقافية للوقوف على مبلغ ماوصلت إليه بلادكم من نهضة شاملة فى عهد الثورة

وفى جميع المرافق والمنشآت وفروع الثقافة التى لهـا علاقة بما يريدون بحثه ودراسته، وكل ذلك يحتاج إلى إنشاء مركز سياحى مزود بالنشرات والمعلومات الثقافية ... الخ » .

ثم توقف عن حديثه واتجه إلى مكتبه وفتح أحد أدراجه وأخرج منه كتيباً أحمر فتح منه صفحة معنونة باسم مصر كعضو فى هذه الهيئة، ولكن مع شديد الأسف لا توجد بهذه الصفحة أية معلومات عن مصر . .

وقد تبين لى من الاطلاع على هذا الكتيب أنه عبارة عن دليل النادى للسويدى السياحى الذى يعتبر من أهم الهيئات السياحية فى العالم Skol Clul

ثم قال « إن عدم تجديد اشتراك الجمهورية العربية فى هذه الهيئة يضر كثيرا بالحركة السياحية وأنا أرجو أن تعملوا من جانبكم على تجديد هذا الاشتراك » ومن جانبى قمت فعلا بتقديم مذكرة فى هذا الشأن وعرضت الأمر على أعضاء مجلس الإدارة وفى ظنى أنه قد اتخذ ما يكفل رفع صوت بلدى فى هذه الهيئات العالمية .

وفى نهاية المقابلة قدمت الشكر إلى (هربوينزر) على كريم شعوره نحو بلادى واهتمامه بتنشيط السياحة ونشر الدعاية الطيبة لها ثم طلبت منه أن يتفضل بالاتصال بنادى السيارات فى ميونخ لتحديد موعد لى مع مديره العام. وعندما اتصل بالمدير تليفونياً وأنبأه بحضورى ورغبتى فى تحديد موعد لمقابلته أجاب على الفور أنه فى انتظارى لو سمحت لى ظروفى ، ومما يذكر أن هذا المدير يعادل منصب الوزير هناك . ولم ألبث أن أسرعت على الفور بصحبة الموظف الألمانى ومدير مكتب شركتنا إلى هناك فوجدت مبنى النادى صحياً منسقاً على الطراز الحديث يتوسط حديقة كبيرة ، وكان المدير العام فى انتظارنا ومعه مستر شلير رئيس القسم السياحى المختص بالشرق الأوسط وكان أمامها ملف ضخم ، وعلمت منهم أن المكتب اتصل بعدة شركات سياحية يطلب منها أسعار رحلات جماعية إلى منطقة العلمين بالذات. ولم يصلهم أى رد ، ثم

سألنى المدير عن منطقة البحر الأحمر فأخبرته بأنه توجد فى هذه المنطقة فنادق عظيمة فى العين السخنة والغردقة بجانب الشاليهات وحدثته عن جمال الطبيعة فى هذه المنطقة وكان لا يعلم عنها شيئاً من قبل ، وطلب منى إرسال صور لهذه المنشآت ومعلومات مفصلة عنها ، فقمت فعلا بالاتصال ببعض الشركات السياحية المختصة لتلبية رغبته ،وقد أكدت لمدير النادى ورجاله أن مصلحة السياحة من أحرص ما يكون على بذل كل التسهيلات والخدمات وإننى هنا فى مهمة خاصة لهذا الغرض .

وكان الاجتماع موفقاً وقد علمت أن عدد المشتركين فى هذا النادى يبلغ نحو ٤ ملايين ونشاطه فى الناحية السياحية عظيم وملموس .

حكاية الحموات فى اوربا :

وفى طريقى من استوكهولم إلى شواطئ فرنسا وإيطاليا مع مجموعة من السياح توقفنا لنتناول الغداء فى مطعم ريفى صغير يتوافر فيه النظام والنظافة ، وتقدم الأطعمة فيه على الطريقة الفرنسية ،ومن حسن المصادفات أن التقيت هناك بسيدة شابة فى العقد الرابع من عمرها مع ابنتها التى تبلغ ٢٢ سنة وكانت (عشرية) أليفة فهى لم تلبث بضع دقائق معى حتى آنست إلى وأخذت تقص على تاريخ حياتها ، قالت إنها من أسرة إنكليزية تقيم فى لندن وكانت والدتها تدير مكتباً سياحياً ناجحاً ولكنها توفيت منذ ثلاث سنوات وقد أوصت قبل وفاتها أن يحل محلها ابنها الأصغر فى إدارة المكتب « وكان أخى هذا طفلا مدللا منذ نشأته ، وقد طبعه هذا التدليل على أن يكون عنيدا صلب الرأى يملى إرادته على كل أفراد الأسرة فأمه وأبوه وأخواته السبع لايستطيعون أن يخالفوا له أمراً . وكان مصدر هذا التدليل والعطف هو إصابة هذا الأخ الأصغر بعاهة مستديمة فى إحدى يديه » .

فأبديت لها دهشتى من ذكر هذه الوقائع عن أسرتها دون أن تذكر لى شيئاً عن حياتها الخاصة ففاجأتنى قائلة : « ياسيدتى أنا ضحية الحماة ،

لقد كان زوجى وحيد أبويه، وبعد وفاة أبيه أصبح فى رعاية والدته التى كانت تقسو وتضيق عليه الخناق وكان يخشى بأسها وبطشها حتى بعد أن صار رجلا . وعندما قابلته وتعاهدنا على الزواج أبدى لى خشيته من أمه التى لن توافق على زواجنا ولن تباركه . فعمد إلى إخفاء ما اتفقنا عليه حتى لاتظهر فى الكنيسة عند عقد القران بمظهر قد يسىء إلى وإلى أسرتى فاضطررت أن أوضح الأمر لوالدى وأطلب منهما ألا يحضرا حتى تكون هناك مساواة بينى وبينه فى عدم حضور أحد من قبله أو من قبلى ولأنى كنت أوثر عقد القران فى جو هادئ دون ضجة أو إقامة ما تعارف عليه الناس من الزينات .

ومن العجيب أن أمه عندما علمت استعانت بأسلحة الدهاء وأظهرت الغبطه والارتياح والسعادة بهذه الزيجة ، فلم نستطع إلا أن نصدقها . ثم مالبثت أن قالت إنى أريد حفيدة فقط وهذا مايهمنى ، وكان الله معى فأنجبت الحفيدة . ومكثنا مع الحماة بعض الوقت وكانت تتظاهر بالعطف والحنان . ثم طلبت إلى أن أسافر مع ابنتى إلى أحد المصايف لتستفيد الحفيدة من هواء البحر على أن أكون بمفردى دون زوجى وتطوعت بدفع نفقات السفر والإقامة من مالها الخاص .

وفى المصيف وقعت حادثة مفاجئة لكريمتى ، فقد عقرتها قطة فاضطررت إلى العودة إلى بيتى وزوجى ، وعندما اطمأنت حماتى على حفيدتها ألحت على فى العودة لأننا لم نلبث فى المصيف الوقت الكافى ، وكانت فى ذلك الوقت تدبر مكيدة من مكائد الحموات بعد عودتى إلى المصيف ثانية . فاتفقت مع زوجى الذى كانت مازالت تسميه — حتى بعد أن أصبح أباً (بوى) — الولد على أن تكون الحفيدة فى حضانتها وأن يحل الرباط المقدس الذى كان بينى وبينه، ومما يبعث على دهشتى أنه قد مر على هذه المؤامرة الخبيثة مايزيد على ٢٢ سنة ولم أعلم ما دبرته هذه الحماة القاسية القلب المتحجرة العاطفة ، ونجحت فى إساءة التفاهم بينى وبين زوجى ولكنها فشلت فى النصف الآخر من مؤامراتها إذ لم تستطع الاحتفاظ بالبنت .

ويعلم الله يا صديقتى مبلغ ما قاسيت وما عانيت فى تربية ابنتى إذ لم يكن لى مورد أعتمد عليه للإنفاق على نفسى وعلى ابنتى فاتجهت إلى العمل لكى أستطيع تدبير شئونى ، فعملت كمربية للأطفال فى أسرة بدون أجر فى مقابل الاحتفاظ بابنتى ، ثم عملت فى مدرسة بوظيفة مشرفة لأضمن بقاء ابنتى معى وأظنك تعلمين أن مصاريف التعليم فى انجلترا مرتفعة لا سيما فى المدارس الخاصة ولم أفكر فى إلحاقها بمدرسة إلزامية بل ألحقتها بإحدى الكليات ، وكانت ابنة امبراطور الحبشة إحدى زميلات ابنتى وكم كانت ابنة الامبراطور سعيدة بهذه الزمالة ، وكم قاسيت من معاملة السيدات المتزوجات اللاتى اضطرتنى ظروفى للعمل فى بيوتهن . ولمست الغيرة الحمقاء من امرأة تكافح فى سبيل لقمة العيش ، وكانت ابنتى على درجة كبيرة من الذكاء والتهذيب ، وعندما تخرجت من الجامعة كنت أعمل فى منزل سفير أمريكا الذى نقل بعدئذ إلى أوسلو وعندما لاحظ أن ابنتى تجيد أربع لغات فضلا عن الاختزال ألحقها بعمل فى السفارة ووضعها فى مركز مرموق . وأخيراً نقل هذا السفير إلى أمريكا فاعتذرت عن السفر معه كما استقالت ابنتى من وظيفتها فى السفارة . ثم استقر رأينا على أن نقوم بهذه الرحلة فى بعض بلاد أوربا وبعدها ندبر أمورنا فى العمل الذى يوفر لنا الراحة والاستقرار فى أى مكان".

وكنا عندئذ قد وصلنا بالأتوبيس الاسكانديناوى إلى نيوى على شاطئ الريفييرا الفرنسية ، فزارتنى السيدة فى الفندق مع ابنتها وكنت قد طلبت منها أن تخبرنى عما استقر عليه رأيها فقالت إنها تبحث عن منزل فى مونت كارلو حيث تقيم هى وابنتها لأن العمل فى نيس محظور على الأجانب أما فى مونت كارلو فالعمل للأجانب مباح .

وقد ملأتنى هذه السيدة إعجاباً بكفاحها وقوة احتمالها لقسوة الحياة وقسوة الحياة معا .

جمعية الطهاة :

لم أكن أدرى حين طلبت نقلى إلى مصلحة السياحة أن آفاق العمل فى الدعاية لجمهوريتنا العزيزة يتسع إلى هذا الحد . وقد كنت أظن أن الأمر سيكون مقصوراً على الدعاية إلى ما فى بلادنا الجميلة من آثار ذاعت شهرتها فى العالم ومن جو فى الشتاء يصبو كل أجنبى للاستمتاع به، ولكن أفاقاً كثيرة تفتحت لى عندما مارست عملى بالفعل كمديرة لإحدى شركات السياحة العربية .

وقد كنت فى زيارة لألمانيا سنة ١٩٦٢ وتصادف أن تحدثت كثيرا إلى أحد الزملاء الألمان المعنيين بشئون السياحة فى بلادهم عن الوسائل التى يتبعونها فى الدعاية لألمانيا والتى أدت إلى مضاعفة عدد السياح لهذه البلاد إلى حد يحمل على التساؤل ماذا صنع هؤلاء ليجتذبوا هذا العدد الضخم إلى بلادهم ؟ وبينما نحن نتجاذب أطراف الحديث إذ جاء رجل بادى الأناقة فحيى صاحبى الذى قدمه إلى وقال إنه عضو فى جمعية الطهاة الألمانية ،وقد لفت هذا التعريف نظرى فسألت الرجل عن ماهية هذه الجمعية التى ينتمى إليها ؟ فأجاب : « إن جمعيتنا يا سيدتى تعتنى بطهو الطعام ، فليس الطهاة وحدهم هم المتخصصون فى فن الطهى وإنما هناك جماعة يحبون طهو الطعام بأنفسهم ويبلغون فى هذا الفن مالم يبلغه الطهاة المحترفون » . ثم استطرد قائلا : « إن لدينا جمعية فى ألمانيا أنا أحد أعضائها ، فضلا عن جمعيات مماثلة أخرى فى مختلف بلاد أوربا وأمريكا . ونحن نجتمع سنويا فى هيئة مؤتمر فيقوم كل عضو فى إحدى الجمعيات بأكبر دعاية لوطنه عن طريق إطعام الفم وقد ثبت أن هذا هو خير وسيلة للدعاية » ثم قال :

« إننى سمعت كثيراً عن أطباقكم الشهيرة التى يتحدث عنها من يزورون بلادكم وخاصة منهم الخبراء الذين يترددون على بلادكم كثيراً فى هذه الأيام والذين يتناولون أطباقكم الشهيرة فى بيوتكم وفى الريف المصرى .

إننى سمعت يا سيدتى عن طبق اسمه الكشك وآخر اسمه الملوخية وسمعت عن أطباق تطهى فى الأفران وخاصة فى الريف كما سمعت عن طريقتكم فى شواء الحمل ولا أنسى طبقاً أكلته عند أحد أصدقائى فى سفارتكم اسمه (الشركسية) » .

وسكت الرجل ، فقلت له لماذا سكت ؟ هل نسيت الكباب ؟ فاستدار إلى وقرب أذنه من فمى وسألنى أن أكرر الكلمة مرة أخرى ولم يلبث أن أخرج مفكرته من جيبه وكان يقرأ منها الأسماء ثم أخذ يتمتم بكلمة كباب حتى دونها فى مفكرته ثم أرانى ما كتب حتى يتأكد من سلامة نطقها .

ثم قال : « إن جمعية الطهاة يجتمع أعضاؤها سنوياً ويقدم أفراد كل شعب ما امتازت به بلادهم من أطباق . وأعضاء الجمعية هم هواة الطهو الذين لهم ذوق خاص فى أطباق معينة فى بلادهم » .

فقلت فى نفسى هاهى ذى آفاق جديدة تتفتح أمامى وهاهوذا مجال جديد للدعاية لجمهوريتنا رها هو ذا رجل من ألمانيا استهوته شهرة طعامنا فسجل أسماء بعض المأكولات وأخذ يحدثنى عن ذلك فى مكتب سياحى فى ألمانيا .

لهذا أرى أنه ينبغى أن نعنى بالدعاية لاطباقنا وأن تتكفل النشرات السياحية بالإعلان عنها ، وحبذا لو خصصت صفحة واحدة من مجلة مصلحة السياحة الشهرية التى توزع فى الخارج للحديث عن طبق من أطباقنا الشهية اللذيذة .

كما ينبغى أن ينشأ نادمحدود لهواة الطهى عندنا يطلق عليه نادى الطهاة حتى يتاح لافراده الانضمام إلى عضوية جمعية هواة الطهو العالمية وأنا على ثقة أن هذه الفكرة ستسهم بشكل ملحوظ فى اجتذاب السياح إلى بلادنا .

إنها فكرة فهل من سبيل إلى تبنيها ؟ عندنا مصلحة السياحة و شركة الفنادق بل عندنا الكثير من شركات السياحة العربية . فيا ترى من يتبناها ؟

أسواق ألمانيا المتنقلة المحددة المواعيد :

فى ساحة أو ميدان يتوسط البلدة تتجمع عربات نظيفة تحمل كل ما تحتاج إليه ربة البيت من لحوم وخضر و فاكهة وبقالة وزهور . . الخ .

وهذه العربات مغطاة ومجهزة بكل ما يوجد فى محال البقالة .تتجمع هذه العربات يومياً فى ساعة محددة و تظل فى موقفها حتى ساعة معينة لاتتجاوزها ، ثم تقوم الجهات المختصة بنظافة الساحة بعد انتهاء الموعد المحدد وتصبح الشوارع بعد ذلك نظيفة ، وهذا نظام يوفر على ربة البيت مشقة التنقل من مكان إلى مكان ومن محل إلى محل فضلا عن توفير الوقت والراحة .

وهذا النظام يتبع فى معظم الأحياء فى مدن ألمانيا .

ضاحية شفتسنجن : Schwensingen

كنت فى زيارة لولدى عندما كان يتلقى العلم فى ما نهايم فأشار على فى صباح يوم أحد أن نذهب إلى ضاحية على بعد ٣٠ كيلو متراً من مانهايم وهى (شفتسنجن) ، ركبنا الأتوبيس إلى هناك ، وصلنا الساعة الحادية عشرة صباحاً أمام باب قصر قديم شيده الملك تيودور تضمه حديقة تبلغ مساحتها حوالى ثلاثين فداناً ، وهى تشبه حدائق قصر فرساى فى فرنسا ولقد رأيت لأول مرة حماما منفصلا عن القصر فى ركن من الحديقة خاصاً بالملكة وبه غرفة للراحة وأخرى للشاى ومجموعة من عصافير جميلة والحمام مبنى جميل به نافورة وقد صنعت صنابيره على صورة ثعبان ضخم يصب فى حوض ينزل إليه بثلاث درجات وسقفه محلى بنقوش ذهبية كما توجد به بحيرة محاطة بمجموعة تماثيل ثم مسجد بناه الملك بمناسبة زيارة سلطان تركيا له ، وتصلى فيه الجالية الإسلامية فى الأعياد

ثم تناولنا الغداء فى مطعم متواضع بجانب المتحف الذى يعتبر مصدراً سياحيا هاماً للبلدة الصغيرة وعدنا إلى مانهايم مساء .

دعتنى أسرة المهندس (كورتز) Kurtz الذى أمضى فى مصر حوالى أسبوعين فى العالم الماضى، وكان يذكر بلدنا وكرم ضيافتها وترحيبها والذكريات التى تركت فى نفسه هو وعقيلته أحسن الأثر .

كانت (إيرين كورتس) فى انتظارى وقد حاولت أن تبرز كل ما ما يذكرنى ببلدى فاستقبلتنى فى غرفة بها بعض التذكارات المصرية ومجموعة صور وأفلام كنا قد التقطناها معا أثناء زيارتها . كان الطبق الأساسى على المائدة هو أرز معمر باللحمة وقد تعلمت السيدة طريقة طهيه فى مصر . وفى أثناء الحديث قالت لى إنها كانت تود أن تطهى لى الملوخية وقد أحضرت بعضها وسألتنى أن أقوم أنا بطهوها لأنها نسيت الطريقة ، فرجوتها أن تعدل عن ذلك ، ووصفت لها الطريقة على أن تقوم بطهوها فى فرصة أخرى .

ثم رافقتنى السيدة إيرين وزوجها بعد الظهر إلى برج التلفزيون فى فيلدبرج وكان الثلج يكسو المنطقة بطبقة خفيفة جعلت منظر الجبال والغابات من أجمل ما وقعت عليه العين .

هولندا بلد الطواحين الهوائية

شعب هولنده تجرى فى عروقه دماء التجارة ويعرف بالشعب قاهر البحر . وكلما تمرد البحر وركب رأسه وطفى على اليابسة ردوه إلى صوابه وأعادوه إلى رشده . وهو الشعب المولع بعشق الزهور حتى يكاد لا يخلو بيت منها . وهو الشعب المكافح المناضل فرجاله يمضون إلى أعمالهم فى المزارع والمتاجر ، أما نساؤه فهمهم الأول هو البيت الذى يعنين أشد العناية بنظافته ونظامه وترتيبه وتنسيقه ، والإشراف على كل كبيرة وصغيرة فيه إلى حد أن المرأة هناك تغالى أشد المغالاة فى هذا بل هى تعتبر المثل الأعلى لربات البيوت .

أما حب الشعب للموسيقى والفنون فهو شئ يلمسه ويحسه كل من يزور هذه البلاد .

ويزخر متحف أمستردام بأكبر مجموعة من اللوحات الفنية لرامبرانت وروبتى وهالى، وما زال بيت رامبرانت قائماً على حاله منذ وفاة هذا الفنان الكبير يحج إليه من شاء من عشاق الفن والجمال .

عرش النساء :

لا يزال التاج يلمع على هامات النساء ومازالت المرأة تتربع على عرش المملكة منذ قرن من الزمان ، فالملكات لا يلدن إلا ملكات .

والشعب الهولندى يحيط الأسرة المالكة بحبه وعطفه ويتفاعل بهذه الأسرة ، ومن أبلغ ما قاله الكتاب والمؤرخون :

«لقد كان جلوس النساء على عرش هولنده من أسباب التفاف الشعب الهولندى حول هذا العرش وتفانيهم فى الإخلاص له، لأنهم يرون فى الملكة شخصاً تقضى عليهم تقاليد الفروسية القديمة أن يسهروا على حمايته والدفاع عنه بكل قطرة من دمائهم» .

وإذا أتيح لك زيارة هولنده فلا شك أنك ستقوم برحلة فى قنوات المدنية المتعددة وسوف تصل إلى الميناء فى نهاية الرحلة ، وستعتريك الدهشة عندما تقف أمام القصر الملكى ، فهو غاية فى البساطة وتزداد دهشتك حين تعرف أن القصر الذى يرجع العهد به إلى ثلاثة قرون من الزمان قد شيد فوق ثلاثة عشر ألف وستمائة ثمانية وخمسين عموداً خشبياً . ويرجع السبب فى ذلك إلى أن أمستردام تنخفض عن سطح البحر ببضعة أمتار .

مدينة ليدن :

تقع هذه المدينة بين أمستردام ولاهاى وهى مشهورة بجامعتها وعلى مقربة منها توجد مطبعة بريل التى تقوم بطبع الكتب البارزة للمكفوفين بجميع لغات العالم ومنها العربية . ويقوم بجانبها معهد الدراسات الشرقية وقد ألحقت به مكتبة كبيرة ضخمة كان لى حظ زيارتها للاطلاع على المخطوطات الشرقية المحفوظة فيها ، وذلك ضمن خطتى التى تستهدف البحث عن المكتبات الشهيرة . وقد فوجئت بمتحف مصرى ملحق بالجامعة يضم قطعة من جدار كبير من أحد المعابد القديمة مغطاة بلوح كبير من الزجاج إمعاناً فى الحرص عليها ، هذا فضلا عن تماثيل ومومياء مصرية . وقد بادرنى مدير المتحف الذى كان يصحبنى بقوله « ما رأيك فى هذه السرقة ؟ » فأجبته بأننا قوم كرماء لا نضن ببعض آثارنا لتكون عنواناً على مجدنا وتراثنا الخالد .

ولا تعليق لى على ذلك فالجواب عند علماء الآثار والقائمين على شئونها والحفاظ عليها .

هولندة سنة ١٩٥١ :

ثم قمت بعد ذلك بزيارة جزيرة ماركن الواقعة فى شمال أمستردام فاجتزت الميناء بباخرة صغيرة Ferry وكان الطريق إليها معبداً وجميلا حتى وصلنا قرية فولندام ، ثم مررنا على قارب بخارى بطاحونة هواء عمرها ٣٠٠ سنة وبمناظر جميلة خلابة وبمزارع أنيقة واستغرقت هذه الرحلة نصف ساعة فى بحيرة بدءوا فى تجفيفها بالآلات الكبيرة ومقدرلها فى الخطة نحو

عشرين عاما ليتم تجفيفها تماماً، ولم تفتنى فرصة زيارة بعض القرى فدخلت أحد بيوت الفلاحين هناك فوجدته آية فى النظافة والأناقة ولا يخلو بيت منها من الصور والأطباق الملونة الجميلة . ومن تقاليد أهل جزيرة ماركن ألا تتزوج الفتاة إلا إذا قامت بعمل ستار الدانتلا من صنع يدها توضع فوق الأريكة المخصصة للضيوف والمثبتة فى جدار المنزل الصغير وهى شبيهة بأسرة البواخر . أما الفتى فعليه أن يقوم بصنع القبقاب الخشبى الذى يلبسه وعندئذ يصبح أهلا للزواج . والسن المحدد لزواج الشاب تتراوح عادة بين الخامسة والعشرين والسادسة والعشرين ،وتوجد بالبيت غرفة خاصة بالملابس القديمة للأسرة محفوظة فى صناديق وكل رداء معلق على حدة بطريقة تسمح بالعثور عليها فى أى وقت . وهذه الجزيرة لا يجاوز عدد سكانها ١٥٠٠ ولم يحدث فيها طلاق على الإطلاق منذ ١٩٦٠ حتى الآن، ويرجع ذلك إلى اختلاط الخطيبين قبل الزواج بسنين على الأقل،وهم حريصون جداً على عاداتهم وتقاليدهم القديمة فهم يعيشون على صناعة الصيد وتتميز ملابسهم بالألوان الصارخة ويرتدون الجونلات الطويلة صيفاً وشتاء لأنهم يعتقدون أن ما يقى من البرد يقى من الحر أيضاً . ولاتستطيع أن تميز إناث الأطفال من ذكورهم إلا بالقبعة وألوانها . وجميع الأطفال يحتفظون بشعورهم الطويلة الصفراء الفضية حتى سن السابعة،والمعروف إجمالا عن الهولنديين شدة تمسكهم بالروابط الأسرية فهى مقدسة لديهم إلى أبعد الحدود حتى إن أحد الأغراب هناك قال لى إنه لم يجد من يصادقه أو يجد محلا يقضى فيه وقتاً مع أحد من أهل البلد لأن كل أسرة منعزلة فى بيتها . وأفراد الشعب هناك تبدو عليهم مظاهر الصحة والقوة ، والشيوخ منهم يركبون الدراجات لمسافات طويلة وهم يستعملون القبقاب الخشبى المقفل (وهو الحذاء القومى) حتى لا تتسرب الرطوبة إلى أقدامهم .

وجزيرة ماركن هى الجزيرة الوحيدة المفضلة من جزائر هولنده ويمكن الاتصال بها أو زيارتها بعد عشرين عاماً،وهى المدة المقررة لخطة تجفيف الجزء الباقى منها ويقدر بحوالى ٤٥،٠٠٠ متر مربع والعمل فى هذا

السبيل بجرى على قدم وساق، وهى تقع فى الجزء الشمالى من أمستردام وعلى الضفة المقابلة للجزيرة يوجد فندق (ساندر) وقد كان ولا يزال ذا شهرة عظيمة كما أنه ملتقى الفنانين وكل فنان أو مثال يقيم بها فترة من الوقت يهدى إليها إنتاجه أثناء إقامته، ولهذا أصبحت الجزيرة تزخر بمجموعة قيمة من الصور والتماثيل الجميلة لأشهر الفنانين وأصبح هذا الفندق أشبه بمتحف يحج إليه كل الفنانين، أما العاملات اللاتى يقدمن الشاى أو القهوة فى الفندق فهن تحفة رائعة من الجمال والأناقة بملابسهن الوطنية الزاهية، وفى الفندق ثلاثة أطباق بصور الملكة جوليانه فى مدخل الفندق يعتز بها مدير الفندق لأنها صورة لملكتهم التى يقدسونها ولا يسمحون ببيع أى منها مهما بلغ الثمن .

الريف فى هولنده :

لا يكاد المرء يفرق بين المنزل فى الريف والمنزل فى المدينة إلا بموقع ذاك وسط المزارع الخضراء الشاسعة، فهو من الأناقة والنظافة بحيث لا يميزه عن مثيله فى المدينة إلا وجوده خارج المدينة . وعلى امتداد البصر بساط أخضر تزينه وتحيط به أشجار كبيرة وبعض البيوت الحمراء اللون الهرمية الشكل أو طاحونة هواء تؤنس الفلاح فى عمله، فهو يعتبرها صديقاً نافعاً منذ الماضى حتى الوقت الحاضر .

طواحين الهواء :

وهى نموذج للاقتصاد وقوام حياة الفلاح . وتعبير حى عن تاريخ بلاده وكفاحها ضد طغيان البحر .

ولقد كانت الطاحونة الهوائية بالنسبة للأمريكى مظهراً من مظاهر الزينة فى حين أنها بالنسبة للهولندى جزء من تاريخ بلاده منذ القرن الثالث عشر . وكانت تستعمل فى طحن الحبوب ثم استخدمت بنجاح فى القرن الخامس عشر لأول مرة فى مدينة «سكون هافن Scssn Haffen » فى عملية رفع المياه ونجحت، ثم استمرت عملية بناء الطواحين الهوائية فى هولنده على أشكال مختلفة واستعملت فى شتى المرافق ؛ للرى ومكافحة المياه والطحين والصناعة والزراعة . . . الخ .

وقد دمرت الحرب الثانية عدداً كبيراً من هذه الطواحين والموجود الآن منها ومقيد فى سجلات الحكومة لايتجاوز الألف طاحونة .

لم أر أروع من منظر هذه الطواحين فى الغروب ينعكس ظلها على المياه وهى تشير إلى أن العمل انتهى بانتهاء اليوم وبدأت فترة الراحة وجمع شمل العائلة التى يرتبط أفرادها بروابط الحب والمودة (صورة رقم ٢) .



(صورة رقم ٢)

وقد قالت لى سيدة زوجة أحد المهندسين الذين يعملون فى السدود " إنها تنظر إلى هذه السدود والطواحين نظرة عاطفية لا نظرة هندسية أو فنية ، فالسدود مثلا تستعمل طرقاً سياحية جميلة ، والطواحين تجمل المزارع والأراضى وتعتبر رفيقاً لطيفاً للفلاح الهولندى حتى وهى لا تعمل .

سوق الجبن فى الكمار :

لغير ما سبب تعطلت ساعتى ثلاثين دقيقة دون أن أعرف إن كان موعد الأتوبيس قد حان للقيام برحلة من مكتب كوك فى أمستردام الساعة التاسعة صباحا ، ولكنى وصلت إليه فى الساعة العاشرة صباحاً فأصابنى القلق والاضطراب نظراً لأهمية هذه الرحلة فضلا عما دفعته رسماً لها وعدم تهيؤ فرصة أخرى للقيام بهذه الرحلة فماذا أفعل ؟

ركبت القطار الذى كنت قد اعتدت أن أركبه فى ذهابى وعودتى كل يوم لليدن ولاهاى ، فوصلت فى الساعة الحادية عشر والنصف محطة الكمار ثم ركبت « تاكسى » أخذ يدور بى فى البلد حتى عثرت على الأتوبيس المنشود وكان به حوالى ٣٠ سائحاً من مختلف الأمم . وقد رافقنى الدليل وكان من النوع الجاهل الثرثار بعد أن استأذن من مجموعة السائحين لكى أشهد السوق وهو يقع فى ميدان واسع فى قلب المدينة وتوجد به ساعة كبيرة تعلن الوقت بأنغام موسيقية جميلة وفى كل دقة من دقاتها يخرج من البرج فى أعلاها فرسان على صهوات الخيل يظلون واقفين حتى تنتهى الدقات كما تعلن الساعة عن أسعار الجبن المعروض .

أما أنواع الجبن فهى موزعة على حوامل خشبية يحملها رجلان يرتديان الملابس البيضاء الناصعة الصنع مطرزة باللون الأحمر أو الأخضر ليتناسب كل لون مع نوع الجبن المعروض ويقام المزاد على كل مجموعة على حدة .

افيفونا Avifona :

فى أثناء انتظارى فى مطار أمستردام كنت أتحدث مع أحد موظفى المطار عن هولنده التى كنت أزورها لأول مرة وعينت له بعض الأماكن التى حضرت خصيصاً لزيارتها مثل جامعة ليدن ومدينة الكمار الشهيرة بمصانع الجبن التى تصدره بأنواعه إلى الخارج (والزبد رزى) وهو آخر السدود التى أقيمت فى هولنده ضمن مشروع تجفيف الأراضى لتحويلها إلى أراضى زراعية وهنا أظهر الموظف دهشته قائلا : «ألم تفكرى فى زيارة حديقة أفيفونا » فاعتذرت آسفة لأنه لم يحدث أن ذكر لى أحد شيئاً عن هذه الحديقة، فقال : كيف ؟! إنها من المعالم المشهورة فى أمستردام وعزمت أن أزورها قبل سفرى، وسرعان ماركبت الاتوبيس صباح اليوم التالى إلى خارج الميناء الجميل ووجدت الطريق ميسراً للوصول إلى هذه الحديقة الرائعة، ولم تكن حديقة واحدة كما فهمت لأنى ألفيت نفسى وسط حدائق زاهرة يانعة رائعة وبحيرة صناعية، كما رأيت مبنى صغيراً قيل لى إنه بيت الرجل الذى أنشأ هذه الحدائق، وكان رجلا رقيق الحال يعمل حداداً ثم واتته الظروف الطيبة والحظ الحسن فأثرى بعد إملاق، وكان هذا الحداد مشغوفاً بحب الطيور فجمع منها أندر أنواعها وابتكر أحدث الوسائل لعرضها .

وفى الجانب الأيمن من الحديقة الوسطى يجد السائح ممراً طويلا سقفه مزخرف وتعلوه الخضرة والزهور المتسلقة على جدران الممر . ويوجد فى الجدار عدد من النوافذ مربعة الشكل تضم مجموعات من العصافير الملونة وفى كل نافذة نوع خاص يختلف عن النوع الآخر، ومن العجيب أنك لاتسمع لهذه العصافير والطيور أصواتاً أو زقزقة، ولكن يوجد بجانب كل نافذة زر إذا ماضغط عليه الزائر سمع أصوات مجموعة منها، وإذا ضغط زراً آخر سمع من النافذة أصواتاً أخرى لمجموعة أخرى وهكذا، وهى طريقة فريدة فى نوعها لم أجد لها شبيهاً أو نظيراً فى كل البلاد التى زرتها .

فاجننجن :

تبعد هذه البلدة عن أمستردام بنحو ٨٠ كيلو متراً وهى مركز زراعى كبير فى هولنده تضم كليات الزراعة والمعاهد الزراعية والمعامل العظيمة وتكاد تكون الوحيدة فى نظامها ، وقد قال لى أحد أساتذة كلية الزراعة بالقاهرة إن الشعب الهولندى ينفق ببذخ وسخاء على التعليم الزراعى سواء فى الكليات أو المعاهد .

مشاهدات فى هولنده :

الشعب فى هولنده جاد يؤدى عمله فى نشاط ودقة وأمانة والحياة العائلية فيها تعتبر نموذجاً طيباً .

الطلبة فى هولنده :

ففى فاجننج وأمستردام استرعى انتباهى سلوك الطلبة الجامعيين فى الشوارع بملابسهم الغريبة ، وقد قالت لى إحدى قريباتى هناك وكانت فى بعثة دراسية مع زوجها إنه عند التحاق الطالب بالجامعة لابد أن يكون عضواً فى أحد النوادى الرياضية ، ومن شروط هذه النوادى أن يحلق الطالب شعره حتى يصبح (بول برينر) ويرتدى فوق صلعته قبعة سوداء تشبه قبعة نابليون وعليه أن يطيع الأوامر طاعة عمياء ، أما الطالبات فيضعن فوق رءوسهن قبعات كبيرة من القش يحيط بها شريط طويل أخضر يتدلى على ظهورهن ، ومهما كانت الأوامر التى تصدر شديدة صارمة فإن الجميع ينفذونها بكل دقة .

وفى رأيى أن هذا تقليد طيب لأن الطلبة والطالبات فى هذه السن يستولى عليهم الغرور الذى يؤدى فى أغلب الأحيان إلى الرسوب وما يلى الرسوب من إخفاق فى الحياة . وإذا لم ينفذ الطالب أو الطالبة هذه الأوامر فلا يحق له الالتحاق بأى نادٍ رياضى بل يعتبر من النوع الجبان وينظر إليه الكل نظرة التحقير والامتهان .

الريفييرا الهولندى : سفيفبنج Schivining

ركبت القطار السريع من أمستردام إلى لاهاى للمرة الثانية لتمضية بضع ساعات فى مصيفها المشهور، وكنت قد قرأت عنه وسمعت به من سفارتنا هناك . وعندما طلبت من سائق السيارة أن يصطحبنى إلى سفيفنج وجدت صعوبة فى تفهيمه الاسم فسألنى ماذا تقصدين القديمة أو الحديثة ؟ فقلت له القديمة ، لأنى كنت حريصة على التعرف على الأحياء القديمة فى هولنده أولا ، وفعلا قادنى إلى حى الصيادين فوجدت نفسى بين المبانى والبيوت الصغيرة التى زرتها فى جزيرة ماركن وفولندام ، رأيت السيدات يرتدين الجونلات السوداء الطويلة الفضفاضة والشيلان المشغولة باليد من الصوف الأسود على أكتافهن والغطاء الأبيض الناصع للرأس مثبت بالدبوس المذهب والأحذية السوداء الطويلة للوقاية من البرد ، والكل فى حركة سريعة سواء من كان يركب الدراجة أو من يصحب أولاده أو يحملهم ، والكل يبدو عليه معالم الصحة ؛ عيون زرقاء صافية براقة ، وخدود وردية على بشرة بيضاء تكاد تكون شفافة .

تركت حى الصيادين بعد أن اشتريت بعض التذكارات إلى الحى الحديث ويسمونه حى السياح .

وعلى ذكر السياحة فالموسم السياحى فى هولنده يمتد من شهر أبريل حتى شهر أكتوبر .

مررت على كورنيش جميل عليه مجموعة من الفنادق حديثة البناء ذات حدائق وحمال عامة غاية فى النظام والنظافة . وفى أول جزء بعد الحى القديم وجدت حديقة للملاهى أنيقة فيها كل الألعاب المسلية للأطفال ، وللكبار أنواع الصيد والرماية .

ثم وجدتنى فى احتياج إلى الراحة قليلا وكانت الشمس قد أوشكت على المغيب ووجدت مقاعد من القش ذات مساند تنتهى على شكل مظلة تقى

الجالس عليها من المطر والشمس ، وهى جميلة الشكل متقنة الصنع ، متناثرة على الرمل الأبيض الذى يشتهر به هذا المصيف الجميل فى هولنده ويعرف بالريفييرا الهولندى .

وبعد دقائق من الجلوس على هذا المقعد المريح وجدت طفلة لاتتجاوز الخامسة تجرى نحوى وتحتضننى وعلى فمها ابتسامة عريضة .

وأخذت تكلمنى بعينها وأيديها فأنست لها وأعطيتها قطعة من الحلوى كانت معى ، وكانت والدتها تبحث عنها حتى عثرت عليها بين ذراعى فحيتنى بلغة إنجليزية ركيكة ، وحاولت أن تعتذر عن اقتحام ابنتها خلوتى ولكنى كنت مسرورة بها جداً ، فقد فكرتنى بابنتى التى كانت فى سنها وتقيم فى القاهرة ، وكانت معى الكاميرا فأعطيتها للسيدة وأخذت صورة تذكارية مع الطفلة الهولندية التى آنست وحدتى بابتسامتها وتحيتها الصامتة اللطيفة .

ومما يبعث على البهجة جمال المرأة الهولندية ونظافتها ونضارة وجهها الذى ينبئ عن الصحة والعافية ، وهذا ولاشك يرجع إلى أسلوب المعيشة أولا والنظام ثانياً والتغذية الصحيحة ثالثاً ، وهذه أمور يهتم بها شعب هولنده عموماً سواء فى المدينة أو فى الريف . ومما لاحظته أن المصنوعات الهولندية والتذكارية أرخص منها بكثير فى البلاد الأخرى وخصوصاً العرائس الصغيرة ذات الملابس الوطنية والساعات الخشبية والحلى المصنوعة من الفضة . وتعرض هذه الهدايا فى كل مكان وبطريقة جذابة تغرى السائح بشرائها .

لقد لمست ارتفاع مستوى المطبوعات السياحية فى هولندا ولما بحثت عن السر فى ذلك وعلمت أنها تطبع تحت إشراف ورقابة شديدة من الدولة سواء فى الإنتاج أو التوزيع .

وفى كل عام تجرى مسابقة كبيرة بين جميع النشرات التى تصدرها اتحادات السياحة الفرعية لمعرفة أحسنها وأقدرها على اجتذاب السياح للبلاد وتؤلف لجنة من مدير السياحة رئيساً وبعض مندوبى شركات الطيران ومديرى مكاتب السياحة وإخصائى فى فن الطبع والتصوير أعضاء . وتختار هذه اللجنة النشرة الفائزة التى تمنح دبلوم شرف وجائزة رمزية ، وتتنافس اتحادات السياحة الفرعية لإنتاج أحسن النشرات للحصول على هذه الجائزة والفوز الأدبى .

وهناك نقطة أخرى على كثير من الأهمية بالنسبة لهذه النشرات فالمختصون لايعهدون بترجمتها إلى مواطنيهم الهولنديين مهما أتقنوا اللغات الأجنبية ورأيهم فى ذلك أن المواطنين يمكنهم كتابة لغة صحيحة ولكنهم يفتقدون روح اللغة الأجنبية وتعبيراتها ، ولهذا يلجئون إلى الأجانب المقيمين فى هولنده على شرط ألا يكونوا قد قضوا فترة طويلة بعيدين عن أوطانهم فيفقدون اتصالهم الوثيق بلغتهم نفسها ، وروحها وصفاتها المميزة وبذلك تكون النشرة قريبة من أذهان أهل البلد التى توزع فيها فتفهم وتهضم ، وذلك هو الهدف المطلوب منها .

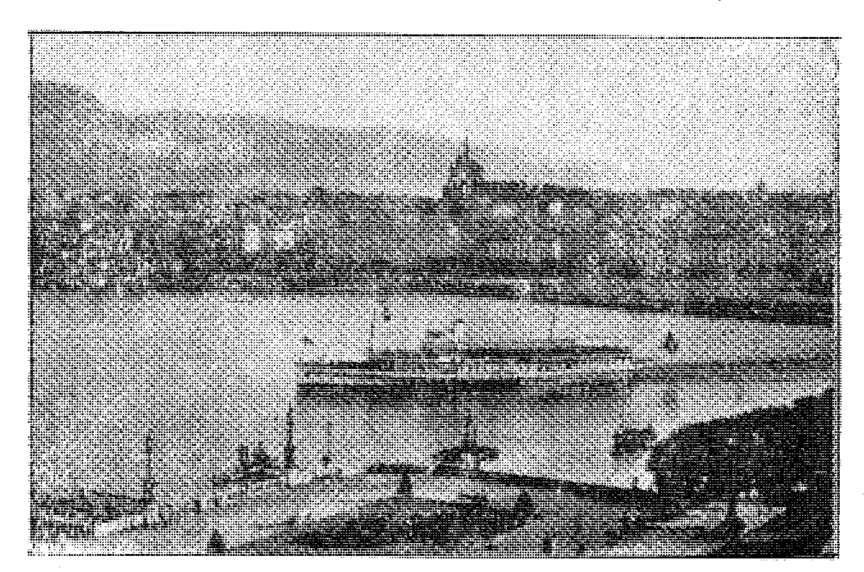
يبلغ عدد المكاتب السياحية الفرعية فى هولنده نحو ٥٠٠ مكتب يعتمد فى توزيعها على أهمية المكان من الناحية السياحية ومدى إقبال السياح الأجانب والوطنيين عليه .

ومما هو جدير بالذكر أن الوعى السياحى مرتفع جداً فى هولنده بين السكان الذين يضحون بالكثير فى سبيل تقديم الخدمات السياحية والترحيب بالسياح ، وتقديم المساعدات لهم إيماناً منهم وتقديراً لأهمية عنصر السياحة فى تنمية الدخل القومى ، هذا بجانب الهيئات والاتحادات التى تتكون فى البلاد من شخصيات بارزة وأصحاب مؤسسات وفنادق ... الخ ، يتكاتف أعضاؤها جميعاً فى الخدمات وسد نفقات هذه المكاتب .

ولايقتصر دور هذه المكاتب على خدمة الزوار الأجانب وإنما تقوم أيضاً على خدمة الهولنديين فى أثناء قيامهم بسياحة داخلية . وهى شائعة فى هولنده ومعظم الدول الأوربية حيث يفضل السكان قضاء أجازاتهم فى مناطق جبلية أو على شاطئ البحر أو فى أية منطقة داخلية أخرى ذات مزايا سياحية .

سـويسرا

ثم امتدت رحلتى بالأتوبيس الذى اخترته بالذات لأشهد وأدرس طرق الموصلات السياحية المختلفة إلى سويسرا رائدة صناعة السياحة فى العالم، فقصدت إلى برن ثم جنيف ، وللأولى طابعها الخاص القديم وهى مقر الحكومة الرسمى ، أما جنيف فإنها ذات جمال طبيعى رائع ، فهى تقع على بحيرة ليمان البديعة وتشرف عليها جبال مون بلان الشاهقة ، ومن طرائف مارأيت بها واجهة لشركة دعاية مشهورة كنت أنوى الذهاب لزيارتها Publicita وهى عبارة عن رسم لمغارة على باباً وتتلو العبارة المشهورة (افتح ياسمسم) فتنفتح المغارة ويظهر منها صور ورسوم للدعاية والسياحة . (صورة رقم ٣) .



(صورة رقم ٣)

وتعتبر جنيف من المدن السياحية التى لهـا المكانة الأولى فى سويسرا وتمتاز بحسن موقعها من البحيرة وكثرة مايفد إليها من السياح ، وكذلك تجد لوحاتها الدعائية البارزة وخصوصاً منظر أنوارها فى السماء .

وقد قمت بزيارة الجامعة هناك فوجدت بها مجموعة مخطوطات شرقية فى مكتبتها، منها العربى والتركى والفارسى وقد أهدتها للمكتبة إحدى الأميرات المصريات عندما كانت ابنتها تدرس فى الجامعة .

وفى الطريق من مدينة بازل إلى Bern برن وجدت المناظر مختلفة نوعاً ما عنها فى ألمانيا .

برن :

لشد ما أعجبت بالطابع الخاص بهذه المدينة القديمة والشوارع المتوازية بالبواكى التى تحاكى بواكى شارع القلعة عندنا وبها ممرات ضيقة . وعلى الأرصفة تحت تلك البواكى يأخذ بائعو الزهور والفاكهة مراكزهم . كما لفت نظرى الكبارى العالية والمساكن النظيفة والحدائق الغناء تحتها على جانبى النهر .

ثم قمنا فى الساعة السابعة صباحاً والجو جميل والمناظر الطبيعية تأخذ بالألباب، فاجتزنا بلاد الألب على ارتفاع ٣٠ ألف قدم، وكانت مظاهر الهلع تبدو على السيدات الأمريكيات من المنحنيات العديدة فى الطريق ويقطعها سائق الأوتوبيس بسرعة فائقة، وعلى الرغم من هذ الهلع فقد أبدين إعجابهن الشديد بكفاءة السائق ومهارته الفائقة .

وقد دفعنى الفضول إلى سؤال « اينسى » المضيفة اللطيفة عن سبب اختيارها لهذه الوظيفة بالذات فقالت إنها كانت تعمل فى أحد الفنادق وهى تجيد ثلاث لغات بجانب لغتها السويدية وعندما قامت برحلة فى أجازتها عشقت السفر وبدأت العمل كمضيفة منذ ذلك الوقت، ودرست الطرق والمدن التى تمر بها، ولما سألتها عما تتطلبه هذه الوظيفة أجابت أنه يجب أن تكون المضيفة باشة الوجه دائماً وأن تكون على علم بكيفية معاملة مختلف العقليات

من الركاب وأن تعمل على إرضاء رغبات كافة المسافرين مهما اختلفت طبائعهم وجنسياتهم فمنهم من هو سهل الخلق ومنهم الشرس والمشاكس ، ويتعذر فى كثير من الأحيان إرضاؤهم ، فمن واجبها فى هذه الحالة أن تجاريهم حتى آخر الرحلة دون اصطدام أو خلق متاعب . وتعتقد أن فى هذا العمل تجارب ودراسة للعادات المختلفة والعقليات المتفاوتة وقالت إنها تعودت فى عملها المثابرة وحسن التصرف ، وكنا قد وصلنا إلى مدينة (نيس) فصاحت المضيفة مهنئة الركاب بسلامة الوصول إلى المدينة التى اكتشفها الإنجليز منذ أكثر من مائة عام وكانت قرية صغيرة متواضعه .

وودعت المضيفة الركاب بكلمة رقيقة متمنية لهم إقامة طيبة ومؤملة أن تحظى بمرافقتهم لرحلات أخرى على نفس الخط .

فى مطار زيورخ :

وفى الطريق إلى براج هبطت الطائرة فى مطار زيورخ وكنت أظن أنها مجرد استراحة لبضع دقائق ، ولكن اتضح أن تغيير الطائرة يتطلب الانتظار لمدة ثلاث ساعات فى المطار ، ولم أكد أفكر فى كيفية قضاء هذا الوقت (وكان يبدو على الإعياء والإرهاق) حتى وجدت أمامى آنسة لطيفة من المضيفات بالمطار تقدم نفسها لى بلغة فرنسية سليمة وتعرض على الاستراحة فى مكان ما فى المطار فتبعتها إلى جناح نزلنا إليه ببضع درجات وهو مكون من ست غرف وصالون للحلاقة وصيدلية ثم قادتنى إلى إحدى الغرف فوجدت سريرا بداخل الغرفة وحماماً صغيراً وقالت لى المضيفة إنها سوف تخطرنى بميعاد الطائرة وتركتنى أستريح ، وعندما شعرت بالراحة بعد ساعة من الاستجمام خرجت لأقضى باقى المدة فى مشاهدة المطار الذى كان قد استرعت فخامته نظرى ، فشهدت النظام والنظافة وحسن المعاملة كما لاحظت كثرة عدد المضيفات ومظهرهن الأنيق وهن يعرضن خدماتهن على المسافرين ساعة ونصف ساعة بالطائرة بين زيورخ وبراج وقد وجدت فرقاً شاسعاً بين

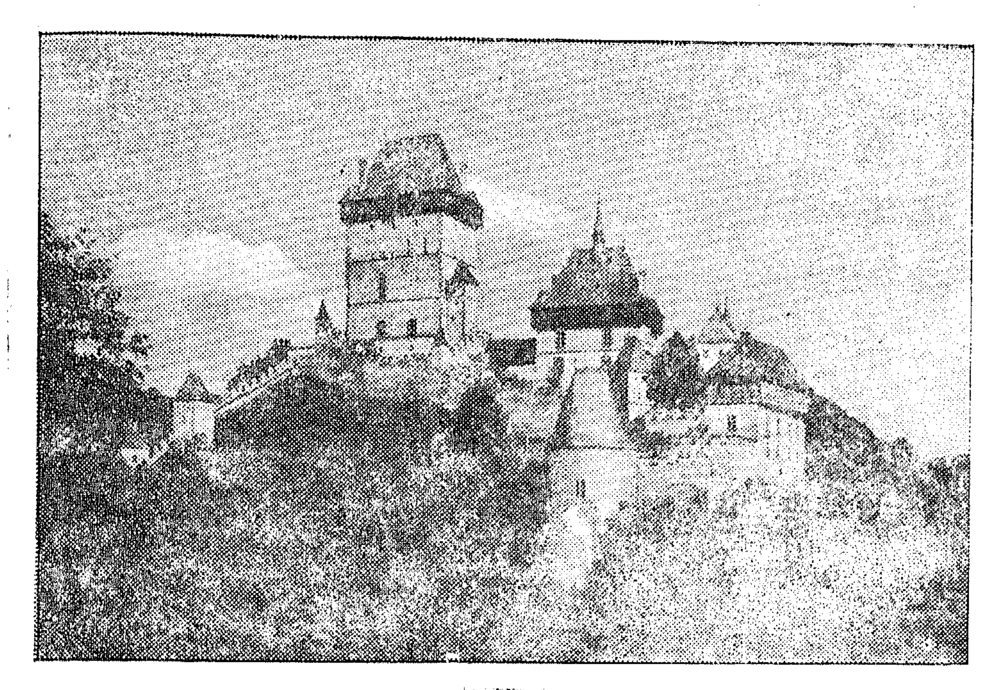
المطارين من حيث الفخامة والحركة والإضاءة وعدد الموظفين ، كما كنت أمر عبر (ترانسيت) براج بأتوبيس شركة الطيران إلى الفندق أنتر ناشيونال خارج المدينة وكان من حسن حظى أن وجدت غرفة بحمام وكانت الساعة حوالى الحادية عشرة مساء .

ثم قمت فى اليوم التالى لوصولى بزيارة شركة شيدوك للسياحة وهى تقع داخل مبنى كبير فى شارع رئيسى يتوسط براج ، وقد رحبت بى مساعدة المدير العام ومديرة العلاقات العامة التى يدخل فى اختصاصها البلاد العربية عندما قدمت لها نفسى ، وأهديت إليهما بعض مطبوعاتنا السياحية وبعض الهدايا التذكارية التى كان لها أجمل وقع لديهما .

ولما كان الوقت ضيقا وكانت أول زيارة لى لبراج قامت إحداهما بدعوتى إلى رحلة لزيارة المدينة والمتحف الأهلى الذى يضم مجموعة من الأحجار الكريمة والصخور الجميلة ، وعندما انتهت الرحلة القصيرة رجعت إلى مكتب شيدوك وكانت مفاجأة لى أن قابلت السيد ماهدال مندوب السياحة عندنا وقنصل عام تشيكوسلوفاكيا فى الجمهورية العربية المتحدة ، وكنت قد تعرفت به واتصلت به وأنا أدير شركة مينا للسياحة ، وقد أمضى نحو خمس سنوات بالجمهورية العربية ، وقد صمم مشكوراً على مد مدة إقامتى يومين للتعرف على معالم البلد خارج براج ولمناقشة بعض المواضيع السياحية فى شركة شيدوك .

قلعة بدون حمام :

قمت فى صباح اليوم التالى برحلة منظمة بواسطة شركة شيدوك إلى قلعة شارل الرابع (القرن الرابع عشر) وهى تبعد ٣٠ كيلو مترا من من براج وأهم معالمها الكنيسة ذات السقف الذهبى المرصع بالأحجار الكريمة ، ولكن مما يبعث على الدهشة أنه لا يوجد بها حمام واحد (صورة رقم ٤) .



(صورة رقم ٤)

ليديس Lidice :

زرنا الضاحية التي دمرها النازى سنة ١٩٤٢ وقد تسابق فى تكريمها كثير من البلاد الأجنبية بإرسال مختلف باقات الزهور وخصوصاً أنواع الورود ومعها شعار كل بلد وقد نسقت ببراعة فى حديقة الصداقة والسلام وقد أعيد بناء منازلها ومتاجرها من جديد وظهرت فى المتحف العام وفى الحديقة مخلفات الدمار .

ذهبنا بعد الظهر إلى براج وكان قد حان موعد زيارة سفارتنا ، فذهبت إليها وقابلت السيد السفير وكان حديثنا يدور حول السياحة وألفيته متحمساً لموضوع السياحة وأبدى إعجابه بما شهده من استعداد فى مختلف البلاد فى المجال السياحى وإن رأيه أنه من واجب مصلحة السياحة أن تقوم بتدريب بعض موظفيها ليكونوا مرشدين إخصائيين ذوى ثقافة سياحية مع إجادة اللغات الأجنبية .

ثم قص على قصة وزير السياحة النيوزيلندى الذى دعا موظفيه لرحلة إلى الخارج وأصدر تعليماته بأن يعاملوا عند العودة كزوار أجانب وأن تطبق عليهم الإجراءات المعمول بها فى بلدهم،وفعلا طبقت هذه الإجراءات عليهم بكل دقة ولكنهم احتجوا على هذه المعاملة الشاذة ورفعوا شكواهم إلى الوزير الذى طلب إليهم تعديل قوانين السياحة وتبسيط الإجراءات بما يقضى على ما لمسوه من مضايقات ومتاعب وتعقيدات ،وبما يكفل للسائحين الراحة ويحقق لبلادهم حسن السمعة فى الخارج وينشط الحركة السياحية ، ولم يلبثوا أن لبوا رغبات الوزير ولم يتركوا المكاتب إلا وكانوا قد قاموا بما كلفوا به .

بريطانيا

الانجليز فى بلادهم :

الإنجليز شعب يجرى فى عروقه دم النظام والحرص على التقاليد والعادات الموروثة ، ففى كل ناحية وفى كل مرفق من مرافقهم تجد النظام سائداً فى كل تصرفاتهم ، ومن المظاهر البارزة هذه الطوابير الطويلة كل ينتظر دوره دون مزاحمة حتى أمام بائعى الفاكهة والخضر الجائلين على عرباتهم يقف المشترون فى طابور دون ملل أو تبرم .

ولعل شغفهم بالألعاب الرياضية التى يمارسونها منذ أقدم العصور هو الذى غرس فيهم هذا التقليد الطيب .

أما الحرية والديمقراطية فحسبك أن تشهدها فى الأماكن العامة وبالأخص فى حديقة « هايد بارك » التى لا تحتاج إلى تعريف .

إن الإنجليز قوم يقدرون الحرية ويتعشقون الديمقراطية وإذا بدأ لك أن فى خلائقهم ترفعاً أو كبرياء أو صلفاً فهذا إنما يحسه الأجنبى ، أما فيما بينهم وبين أنفسهم فالعكس هو الصحيح . ومن بواعث الأسف أن هذه الصفات الطيبة والأخلاق الكريمة لا يمارسهما القوم إلا فى بلادهم فقط ولكنها فى رأيهم غير صالحة للتصدير ، فإذا خرج الفرد الإنجليزى من بلده إلى بلد آخر انقلبت هذه العادات والطبائع إلى عكسهما ، فالتعالى هو أسلوب حياته يمارسه مع الشعوب التى يستعمرها أو يحل بها ضيفا غير كريم سواء كان ذلك تحت عنوان الحماية أو الانتداب أو بعبارة أصح الاستعمار .

حديقة هايد بارك :

وفى مساء الأحد من كل أسبوع يبلغ النشاط والحماس ذروتهما فى هذه الحديقة إذ يتبارى الخطباء لاجتذاب أكبر عدد من الجمهور الذى يقبل على هذه التسلية التى لا تكلفه شيئاً . وإذا أدرك السامع الملل انصرف إلى البحيرة الجميلة .

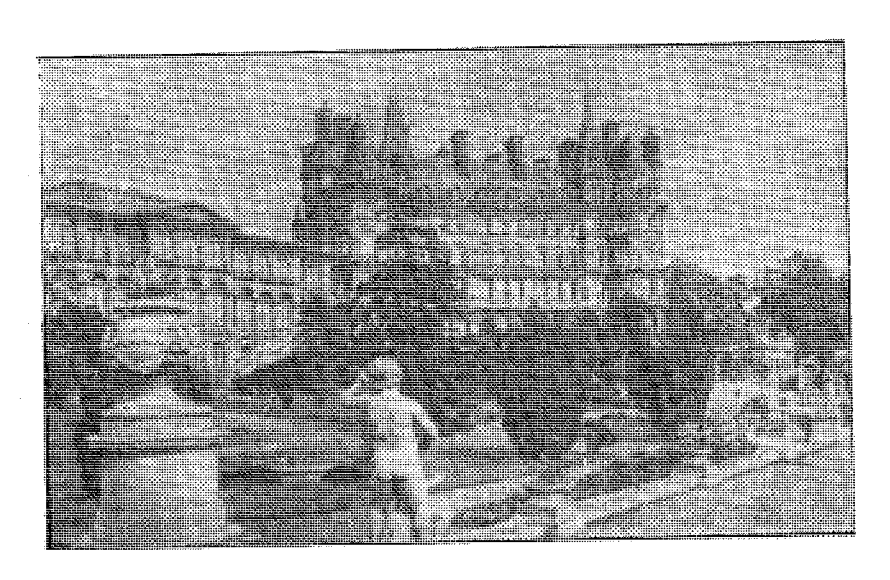
ويبلغ عدد المسارح فى لندن ٥٦ مسرحاً وبها ٤٥ داراً للسينما ويعرض فى هذه المسارح الروايات العالمية والأوبرات الإيطالية ورقص البالية والرقص على الجليد وقد يستمر عرض بعض المسرحيات شهوراً ، وهناك مسرح « وندميل » القريب من ميدان بيكاديلى ويعرض برامج من المنوعات عرضاً مستمرا من الصباح إلى المساء وتشمل هذه البرامج بعض التابلوهات الحية .

ومطاعم لندن متنوعة فمنها الشرقى والياباني والصينى والطليانى ويعتبر متحف الشمع من أبرز معالم لندن، ويطلق عليه متحف مدام توسو ويعتبر أكبر متحف من نوعه فى العالم . وهناك قلعة وندسور التى تطل على نهر التيمس وقد شيدها وليم الفاتح وقد ظلت مقرا للملك زهاء ٨٥٠ سنة ،أما كنيسة سان جورج فهى تقع أمام القلعة وقد أقيمت فى القرن الخامس عشر وتضم منصة نصبت عليها أعلام النصر ومجموعة أربطة الساق كما تضم عدداً من المقابر الملكية ، وقد أمضينا فيها يوما كاملا وتناولنا الغداء فى مطعم يجاور الجسر الخشبى القديم الذى يعتبر من معالم المدينة العريقة التى ما زالت تحتفظ بطابعها القديم .

رحلة :

ومن أجمل الرحلات التى قمت بها فى انجلترا سنة ١٩٥٥ تلك الرحلة النهرية فى التيمس إلى « هامبتون كورت » قصر الملك هنرى الثامن الذى يقع فى ضاحية جميلة ، وقد استغرقت هذه الرحلة يوماً كاملا ، وهناك سيارات

أوتوبيس مريحة منتظمة تسير بين لندن وهذه الضاحية،وهى بطبيعة الحال أسرع من الباخرة النهرية . وإلى جانب فخامة وضخامة القصر الملكى فإن هناك حدائق الملكة وهى تشبه « بيت جحا » بممراتها الخضراء الجميلة (صورة رقم ٥)



(صورة رقم ٥)

وتعتبر لندن من أكبر العواصم العالمية ، وهى غنية بمتاحفها وكنائسها القديمة وشوارعها ذات الشهرة الذائعة مثل أكسفورد ستريت وبوند ستريت وبيكاديلى سيركس Circus وماريل أرش وميدان (ترافلجار) Troffgar كما أنها تزخر بالمتاجر الكبرى التى يجد فيها المرء جميع أنواع السلع كما يجد بها المطاعم المختلفة .

ومن أشهر معالمها برج لندن المعروف وهو حصن قديم من آثارها الباقية على الزمن منذ العصور الوسطى ، وقد استخدم هذا البرج فى عصور مختلفة كقلعة وقصر ملكى وسجن من سجون الدولة وهو يضم الآن جواهر التاج البريطانى ويقوم على حراسته جنود يرتدون زيا تقليديا من أزياء العهود القديمة .

ومن أجمل حدائق لندن العديدة والتى تغنى بجمالها الشعراء حدائق كير التى تشغل مساحة كبيرة لا تقل عن ٣٥ فداناً وتضم مجموعة نادرة من النباتات .

وهناك حديقة منبر الشعب والحرية (هايد بارك) التى لا يمكن أن تنسى ما تراه فيها وتشهده من العجائب والغرائب والمفارقات والخطباء يعتلون المنصات ويجتمع حولهم الناس ويستمعون لما يقولون ولا معارض لأقوالهم وأفكارهم ومبادئهم .

وفى إحدى جولاتى لزيارة معالم لندن فى أثناء انعقاد مؤتمر المكتبات العالمية فى مقر جمعية المكتبات كنت أجلس بجانب سيدة إنجليزية أتناول الشاى فى مكان قريب فسألتنى السيدة . «من أى البلاد أنت وما هو عملك؟» فأجبتها بأنى مصرية وأعمل أمينة مكتبة كما أننى عضو مجلس إدارة جمعية المكتبات فسرت الدهشة على وجهها وقالت « هل تسمحين لى بسؤال بسيط ؟ » فقلت تفضلى . قالت « هل يوجد فى بلادكم مكتبات . وإذا كان الأمر كذلك فلماذا ؟ » .

فلم أستطع كتمان غضبى وانفجرت قائلة كيف تسمحين لنفسك بتوجيه هذا السؤال والمفروض أنك أمينة مكتبة ؟ ألم تقرئى أو تطلعى لتعرفى أن بمصر أقدم جامعة فى العالم وهى جامعة الأزهر وأن عندنا جامعات تقف على قدم المساواة مع أرقى جامعات العالم . فما كان من السيدة إلا أن قدمت اعتذارها وأبدت عذرها لعدم وجود مكاتب سياحية أو مراكز إعلام يمكنها الاتصال بها والاطلاع على ما فيها ، ووعدت بدراسة تاريخ مصر القديم والحديث حتى لا تقع فى مأزق بعد ذلك . وتقبلت عذرها واعتذارها وتصافحنا . والكلمة الآن للقائمين على شئون الإعلام والدعاية .

مكتبة اليونسكو :

هذه المكتبة العالمية ليس لمصر فيها من يمثلنا ولو بأمين أو أمينة مكتبة كما لا يوجد بها كتب عربية أو دائرة معارف مصرية فى حين أن القائمين على شئون الإعلام عندنا حريصون أشد الحرص على نشر الدعاية لجمهوريتنا فى كل ركن من أركان المعمورة، فما بالنا وهذه المكتبة من أهم ما ينبغى أن نكون على اتصال به بأية صورة من صور الدعاية .

وإيفاد مندوب كأمين مكتبة يمثلنا فى هذه المكتبة فيه الخير كل الخير لبلدنا . فهو إلى جانب اعتباره وسيلة لنشر الدعاية عن طريق الكتب والنشرات والملصقات يضع تحت أنظار رواد هذه المكتبة صورة مشرفة لنهضتنا العلمية والثقافية والاجتماعية ويفند المفتريات والاكاذيب التى يبثها أعدؤنا فى كل ميدن ومجال . ولعل فيما ذكرته هنا أكبر دليل على ذلك ، فقد سألتنى إحدى أعضاء المؤتمر هناك . هل توجد لديكم مكتبات وإذا كانت فمن ذا الذى يطلع على ما فيها ؟ .

ومن بواعث الأسف أنه حدث فى الاجتماع الذى عقد بهذه المكتبة أن طلب إلى كل مندوب أو مندوبة أن يؤدى أغنية أو نشيد بلغة بلده . فقام بالغناء أو الإنشاد كل مندوب أو مندوبة سواء من الصين أو إيطاليا أو ألمانيا أو غيرها من الدول، ولما جاء دورنا لم يستطع أحد أن يقدم شيئا من أغانى وأناشيد بلدنا وكان (دشا بارداً) ولا أقول فضيحة أو كارثة .

مستشفى برمنجهام للأسنان :

شكا أحد الزملاء فى البعثة الصينية من ألم فى أحد أضراسه فقامت هيئة المدرسة على الفور بالاتصال بالمستشفى الذى رحب بالمريض وأحيل على الطبيب المختص وحجزت له غرفة آية فى النظافة والنظام . وقد أمضى فترة علاج قصيرة تحوطه الرعاية والعناية ولم يقف العلاج دون اتصاله بالبعثة وتلقى المحاضرات ، وكان موضع الرعاية الصحية والعلمية فى هذه الفترة .

زيارة بيت شكسبير :

شهدت مسرحية يوليوس قيصر على مسرح شكسبير فى ستراتفو أن آفن مسقط رأسه، وهو مسرح ضخم فخم تمثل فيه جميع مسرحيات الرجل الخالد كل عام فى أثناء الاحتفال بعيد ميلاده فى الموسم السياحى .

أما بيت الرجل العظيم فهو غاية فى البساطة والتواضع وقد احتفظ به وبكل ما فيه منذ وفاة صاحبه وقد أصبح متحفاً يضم جميع مخلفاته حتى الطاحونة وحظيرة المواشى وحظيرة الدواجن . وجميع أهل القرية يحفظون تاريخ هذا الشاعر الفذ كما لا ينسون فضله حتى بعد وفاته فى إحالة قريتهم إلى مركز سياحى هام يؤمه معظم من يزورون بريطانيا . كما أنهم يقابلون كل من يفد إلى بلدهم بأجمل مظاهر الحفاوة والترحيب .

زيارة قصيرة لأدنبرة :

أدنبره بلد جميل لطيف يعاوه جبل تقوم فوقه قلعة أثرية تقام فيها الحفلات فى الموسم السياحى كما تقام المهرجانات الموسيقية فى أنحاء البلد .

وكان فى برنامجى أن أزور هذه البلدة لمدة يومين اثنين لمقابلة أحد أقاربى فيها ولكنى إزاء هذه المهرجانات التى شدتنى إليها الدعاية الضخمة التى تعلن عنها والتى قرأت عنها فى أثناء وجودى فى لندن، حرصت على مشاهدة هذه الحفلات التقليدية فى قاعة الجبل وكان الحصول على تذكرة لمشاهدتها من أصعب الأمور وقد وفقت فى الحصول عليها .

وأقيمت الحفلة فى المساء فى ضوء الأنوار الكاشفة القوية، وكان منظراً رائعا ذلك الاستعراض العسكرى الذى قدم فى داخل القلعة ، فهو يضم جنوداً فى زى فرسان القرون الوسطى يرتدون الملابس التقليدية ويمتطون صهوات الجياد التى دربت على الرقص الإيقاعى وموسيقى الفرق المعروفة تصدح بأنغامها الجميلة ويرتدى أفرادها الزى التقليدى المشهور .

وكانت لحظات سعيدة تعمت بها ولم آسف على قضاء بضعة أيام أخرى فى هذه المدينة الجميلة والتى لم تدخل ضمن برنامجى المحدد لزيارتها .

ولم يفتنى أن أقوم بزيارة المكتبة الأهلية لهذه المدينة التى كنت قد سمعت عنها كثيراً فتوجهت إليها ووجدت فيها جناحاً خاصاً يحتوى على تاريخ هذه المدينة من الناحية الجغرافية والاقتصادية والسياسية فى كتب ومخطوطات وصحف نشرت موجزاً عن المدينة منذ إنشائها .

كما خصص جناح آخر للمؤلفات الموسيقية العالمية وقد سرنى حسن التنسيق وجودة النظام وعلى الخصوص قسم الإعارة وما ابتكر فيه من نظام حديث وما خصصه من كتب ونشرات خاصة لربات البيوت بجانب القسم الخاص بالإعارة ومنطقة البحيرات . هذه المنطقة ساحرة تأخذ بالألباب فطرقاتها صاعدة هابطة يخيل للمرء إذا مر بها أنه سيتعرض للخطر ، ولكن مهارة سائقى السيارات تبعث الاطمئنان ، ولاسيما أن الطرق معبدة ممهدة ليس بها فجوات ولا مطبات .

كما توجد بالمنطقة فنادق صغيرة تناسب هذه المنطقة الجبلية وبحيراتها الجميلة ، وقد زرت فى أثناء رحلتى استراحة مقامة خصيصا للأسرة المالكة التى تقضى بها بعض الوقت للاستجمام (ريست هاوس) .

أسـبانيا

كانت زيارتى لمدريد خاطفة نظراً لاتساع أرجائها وما تحويه من متاحف وآثار وقصور قديمة تجعل الزائر يعيش فى جو مدينتها الخالدة العريقة ويشعر بأنه ينزل فى القلاع ويعيش فى الاديرة التى حولتها الحكومة الاسبانية إلى فنادق .

ولقد شيدت الحكومة إلى جانب تلك الفنادق فنادق أخرى عصرية مخصصة لراحة السائحين على الطراز الحديث .

ومدريد مدينة ضاحكة فهى ذات شوارع واسعة مستقيمة حديثة، أما الأحياء القديمة فشوارعها ضيقة متعرجة ويغلب على أبنيتها الطراز العربى بشرفاته الارابيسك المعروفة، وفيها بعض المتاحف الفخمة والسوق المعروف باسم (الراسترو) وهى أشبه بسوق الكانتو فى مصر ، والتجار هناك يعرضون بضائعهم على عربات وبعضهم يعرضها على جوانب الطريق ، وتسمع عند الاقتراب من السوق أصوات الباعة وهم ينادون على بضائعهم ويتغنون بجمالها وجودتها لاجتذاب الزبائن، مثلهم فى ذلك مثل بعض البائعين عندنا الذين يتغنون بأصناف السلع التى يبيعونها، والاسعار فى هذه السوق أقل بكثير من الأسعار فى المحال الكبيرة .

ويشتهر أهل مدريد بحب الرقص على أنغام القيثارة والصاجات (الكاستانيت) كما اشتهر نساؤها باللون الخمرى والملابس ذات الألوان الزاهية والشيلان الدانتلا ووضع الورود الحمراء فى شعورهن السوداء الفاحمة .

ويقال إن سبب اختيار مدريد لتكون العاصمة يرجع إلى نزوات رجلين من حكام أسبانيا هما : الملك شارل الخامس الذى وجد فى هوائها الجاف علاجاً لمرض النقرس (روماتزم المفاصل) الذى كان يشكو منه ووالده فيليب الثانى الذى لم يجد مكاناً هادئاً أصلح من السهل المنبسط الذى يقع خارج المدينة فشيد فيه قصره المسمى (اسكوريال) تخليداً لذكرى انتصاراته على فرنسا سنة ١٧٥٧ وقد بناه على طراز الأديرة التى تتميز بالمظهر الكئيب الحزين ٠

الاسكوريال : القصر الحزين :

قرأت عن شهرة هذا القصر ومكتبته الضخمة التى تضم أكثر من خمسين ألف مجلد وآلاف المخطوطات ومنها عشرة آلاف مخطوط عربى ، وقد أسسها الملك فيليب ونقل إليها مكتبة سلطان مراكش كما جلب إليها مجلدات من مختلف البلدان .

بعد كل ما سمعت وقرأت عن ذلك القصر كنت حريصة على زيارته . ركبت القطار من مدريد فى الساعة السابعة صباحا إلى ضاحية الاسكوريال وتقع على بعد ٥٠ كيلومتراً شمال غربى مدريد ، وعلى بعد بضع خطوات من المحطة وجدت البناء الضخم الذى سميت الضاحية باسمه وأضفى عليها شهرة جعل منها قبلة كل سائح وباحث ومؤرخ .

يحتوى هذا البناء على كنيسة ودير ومقبرة ملكية تضم رفات ملوك أسبانيا منذ فيليب الثانى بجانب المكتبة القيمة والمعهد الدينى . أما المتحف فيضم مجموعات من الملابس الكهنوتية الموشاة بالذهب والفضة والسجاد الفاخر الثمين المصنوع باليد والقلانس الدقيقة المصنوعة من ريش العصافير التى لم أر لها شبيهاً فى أى متحف آخر .

وتعتبر مكتبة الاسكوريال ثانى مكتبات العالم بعد مكتبة الفاتيكان من حيث المقتنيات النادرة وقد استرعى انتباهى فى أثناء زيارتى لها — وكنت أعد

بحثاً عن المكتبات العالمية حين أوفدتني وزارة المعارف وقتئذ فى عهد وزيرها الدكتور طه حسين فى بعثة لزيارة المكتبات والوقوف على نظمها — طريقتها الخاصة التى تنفرد بها وهى وضع المجلدات بطريقة علمية على الأرفف المغطاة بالسلك للتهوية ، وأرقام المجلدات مكتوبة على نفس المجلد لا على الغلاف .

قضيت يوماً كاملا فى زيارة هذا المركز التاريخى الزاخر بفنه وتحفه وآثاره وذكرياته ، وقد بلغ من حرص القائمين على مكتبة الاسكوريال أنهم لا يسمحون حتى بمجرد الاطلاع على المخطوطات العربية واللاتينية إلا لذوى الشخصيات المعروفة فى دوائر العلم والأدب أو بترخيص خاص من الجهات المسئولة ، وقد سمح لى بالاطلاع عليها نظراً للمهمة التى أوفدت من أجلها فضلا عن بطاقتى الصحفية التى كنت أحملها كمندوبة عن إحدى الصحف المصرية الكبرى .

ولقد دهشت عندما اطلعت فى الصحف المصرية التى تصل إلى سفارتنا فى مدريد عقب زيارتى لهذه المكتبة على خبر مؤداه أن بعض جامعاتنا قد طلبت أن ينقل إليها مافى قصرى القبة وعابدين من كتب ومجلدات ، وأغلب الظن أنها من أثمن وأعظم ما أنتجته القرائح والعقول وعلى الأخص المخطوطات. وإننى أخشى أن تنقل هذه النفائس من أماكنها فتعرض للعبث . وفى رأيى أن تبقى فى أماكنها ، وإذا كان لابد من نقلها إلى الجامعات فيجب أن يفرد لها مكان خاص ولا يباح الاطلاع عليها إلا لمن يقدر قيمة هذه النفائس من ذوى العلم والخبرة والمعرفة ، كما هو الحال فى جامعة كمبريدج ، إذ أفردوا للمكتبة الملكية بهذه الجامعة مكاناً خاصاً لا يباح الاطلاع على شىء مما فيه إلا لطائفة الباحثين والعلماء وفى نفس الجامعة بإذن خاص .

مصارعة الثيران :

عند وصولى إلى مدريد عاصمة أسبانيا وجدت أحد أعضاء سفارتنا فى صدد حجز تذاكر لحضور حفلة مصارعة الثيران مع بعض أعضاء أسرته

فتضل بدعوتى ، كنت مترددة طبعا نظراً لما سمعته من بشاعة عملية قتل الثيران التى لم أود أن أحضرها ، ولكن أمام إلحاح الأصدقاء وشئ من حب الاستطلاع السياحى وافقت ، وفى الساعة الثالثة مساء ذهبنا إلى « بلا تزا دى تورو » الملعب الكبير الذى يؤمه آلاف من المشاهدين الأجانب ومن الاسبان المعجبين بهذه الرياضة الشعبية التى يعتبرونها نوعاً من الرياضة ، بل أفضل رياضة عندهم ويجدون فيها لذة كبرى .

وجدت أن أهم ما فى هذه الحفلات المثيرة هو الجو الذى تدور فيه هذه المصارعة وعندما ظهر الثور وبدأ الصراع بينه وبين المصارع شعرت بدوار وانقباض وتبدد من أمامى جو الحفلات والمرح ولم أشعر إلا بآلام هذا الحيوان المسكين الذى يطارده « البيكادور » ويغرس فى عنقه السيف التريادور فتنزف دماؤه ويخر صريعاً بين تهليل وتصفيق المتفرجين ، ولشدة دهشتى أن النساء الأسبانيات كن أشد ميلا وحماساً لمشاهدة هذه المعركة الدموية التى يسمونها رياضة .

ولم أستطع الاستمرار فى مشاهدة أكثر من جولتين وانتابنى الصداع والألم فتركت الملعب واعتذرت للأصدقاء وعدت إلى الفندق ، والمفروض أن كل حفلة يتم فيها إعداد ستة ثيران فى ستة جولات متتالية ويمكن مشاهدة هذه الرياضة فى جميع مدن أسبانيا المشهورة مثل اشبيلية وغرناطة وسان سبستيان خلال أشهر الصيف .

وأروع الحفلات الأسبانية هى الحفلات ذات الصبغة الدينية وترى الملابس الوطنية الأسبانية والرقص الأسبانى الذى يمتاز بالقوة والحركات العنيفة التى تبرز الشخصية الاسبانية ، وكثيراً ما تضرب الراقصة بقدمها فى غضب كأنها تعبر عما يخالج نفسها من ثورة ضد القيود والتقاليد التى تمنعها من العبث كما تعبث نساء أوروبا أو كما يعبث الرجال فى أسبانيا

وتقام أكبر هذه الحفلات قبل أعياد الميلاد والفصح ، ولدى الشعب الأسبانى عقيدة دينية راسخة ولا سيما المرأة التى مازالت تحافظ على الكثير من العادات الشرقية والحشمة واحترام التقاليد .

الثورة فى أسبانيا تخلق المرأة الجديدة :

اشتركت فى بعثة إدارة النشاط الاجتماعى لزيارة أسبانيا فى سنة ١٩٥٣ . وإن زيارة واحدة لمؤسسات « حزب الفلانج » النسائى تجعل كل من يزور أسبانيا يشعر بمدى الخطوة الواسعة التى خطتها المرأة الاسبانية منذ الثورة التى قام بها الجنرال فرانكو وبعض الضباط الأحرار فى مراكش الأسبانية وكان من نتيجتها إعلان الجمهورية .

وقد كان أول ما زرناه من المؤسسات التابعة للحزب النسائى بيت الشابات الاجنبيات فى برشلونة التى تعتبر من أكبر مدن أسبانيا إذ أنها المركز الصناعى والتجارى للدولة .

وفى هذا البيت المعد لاستقبال الشابات الأجنبيات بأجر زهيد جداً تتوافر فيه كل أسباب الراحة ويقضى النظام أن تقوم كل طالبة أو موظفة من الزائرات بخدمة نفسها إذ لايوجد خدم بهذه المنازل . وعلى كل طالبة أن تنقل حقائبها إلى الطابق الثانى ، وكان درساً قاسياً للمصرية المدللة إذ قامت بنفسها بنقل حقائبها الثقيلة دون الاعتماد على الحمالين .

أقيمت الحفلة المسائية الشهرية التى يقدمها البيت للتعارف يوم وصولنا بطريق المصادفة ، وقد قدمت الفتيات بعض رقصات شعبية لمختلف الأقاليم وبعض الأغانى الأسبانية وكانت حفلة ناجحة فيها شئ من المجاملة والترفيه عن الأجانب مع الدعاية الطيبة للبلد .

كما زرنا فى صباح اليوم التالى مركز التدريب الذى يقع فى سراى ملكية أهداها فرانكو للحزب النسائى ،وقد حولت إلى مدرسة كاملة بمعداتها وملابسها الرياضية كما حولت حديقتها الواسعة إلى ملاعب رياضية .

وكان من العجيب أن نسمع فى أثناء هذه الزيارة طرفا من تاريخ المرأة الأسبانية وكيف ضحت وناضلت حتى استطاعت أن تخرج من الجمود والعادات القديمة لتقف إلى جانب الرجل فى بناء الجيل الجديد بعد أن كانت قابعة فى عقر دارها أشبه بقطعة من المتاع .

وقد علمت فى أثناء وجودى هناك أن الجنرال فرانكو يحرص كل الحرص على حضور حفلات الحزب النسائى الأسبانى ويشجعه ، كما أن عقيلته ترأس الكثير من مؤسساته وتساهم فى أهم قسم فيه وهو الدعاية وتوزيع النشرات وإذاعة أخبار الحزب وإقامة المعارض وحضور المؤتمرات فى الخارج .

وقد خرجت من هذه الرحلة القصيرة وأنا شديدة الإيمان بأن فى استطاعة المرأة أن تقوم بأعمال متواضعة ، إلا أن لها وزنها فى كافة ميادين الحياة بجانب الرجل لقيامها فى نفس الوقت بواجبها الأول كربة بيت وأم وزوجة .

وكم تمنيت أن تكون لمؤسساتنا وهيئاتنا النسائية فى مصر مثل هذا النشاط والنظام الملحوظ فى الميدان الاجتماعى مع الصبغة الدينية التى تلعب من غير شك دوراً هاما فى نجاح هذا الحزب الذى انتشرت فروع مؤسساته فى أنحاء أسبانيا كلها وأصبحت بها مدارس وملاجئ وجمعيات تعاونية ... الخ . وهى لا تقل فى نظامها عن مصلحة حكومية دقيقة فى أعمالها وإدارتها .

مدينة الملاهى على جبل :

قضينا يوماً مثيراً فى برشلونة فى مدينة الملاهى على جبل (تيبيدابو) Tibidabo الذى تسلقناه بواسطة قطار معلق (فينكلير) وعند وصولنا إلى القمة وجدنا برجاً شاهقاً بمقاعد تعلو وتهبط بجهاز كهربائى وتشرف على « بانوراما » للبلد من أروع ما تقع عليه العين . وقد لهونا بمختلف الألعاب وركبنا قطار المفاجآت الذى يخترق الجبل مجهزا بصور حية مضاءة بالأنوار تبرز جمال أسبانيا والمناطق السياحية الشهيرة ومختلف المحلات التجارية الكبرى بحيث

لا تصدق أن كل هذه المنطقة أقيمت على جبل . وقد فكرت فى جبل المقطم عندنا واستغلاله بنفس الطريقة فى إقامة مدينة الملاهى .

أسبانيا ذات الطابع الشرقى :

انتهيت من زيارة المتحف الكبير (برادو) الذى يضم مجموعة من روائع لوحات أساطين الفن من هولنديين وفلامنكيين وإيطاليين ومجموعة لا نظير لها من أعمال جويا والجريكو والفنانين الخالدين الآخرين

وعند مغادرة المتحف ظهراً لاحظت أن المحلات معظمها مغلق وعلمت أن مدريد تميل إلى القيلولة بعد الظهر فى أيام الصيف نحو ساعتين أو ثلاث ساعات كما نفعل نحن فى مصر ، فنجد الطرقات تكاد تخلو من المارة والحوانيت والمحلات مغلقة حتى الساعة الخامسة مساء وليس هذا من باب الكسل أو الرفاهية ولكنها ضرورة من ضرورات الجو الحار كما هو الحال عندنا فى مصر .

أما فى الليل فيظهر سحرها حيث تدب الحياة فى مدريد وتمتلئ المقاهى والمطاعم بزوارها ولا تبدأ الحركة فيها إلا بعد العاشرة مساء ، ولبعض هذه المطاعم فروع فى الهواء الطاق تعمل فى فصل الصيف ويستمر العمل والطعام والشراب والرقص فيها إلى الساعات الأولى من الصباح

ومن أوجه الشبه بمصر أيضاً منظر الأباريق المملوءة بالمياه التى توضع فى الميادين والشوارع حتى يشرب منها من يشاء من المارة كما ترى فى أحياء القاهرة الوطنية .

أما بائع البطيخ فى السوق التى تشبه سوق الكانتو عندنا فنجده ينادى بأعلى صوته على بطيخة والسكين فى يده ولا يبيعها إلا بعد أن يشقها ليثبت للمشترى جودة الصنف وأنه لم يكن كاذباً فى ندائه .

وأحسن ما يشترى من أسواق أسبانيا المصنوعات الجلدية والمصنوعات الزجاجية أو الدنتلا الدقيقة الصنع .

الاتحاد السوفيتى

موسكو لأول مرة :

وصلت الطائرة إلى مطار موسكو فى التاسعة مساء وكنت أحمل تأشيرة ترانسيت وكان ضمن برنامجى زيارة موسكو بهذه التأشيرة حيث كنت فى طريقى إلى الصين الشعبية بدعوة من الاتحاد النسائى هناك لحضور حفلات العيد القومى فى بكين، ثم القيام بجولة دعائية مع شخصيات مدعوة من بعض البلاد الصديقة للصين .

وطلب منى مكتب الاستعلامات بمطار موسكو أن أذهب إلى فندق خاص بالمسافرين الترانسيت وهو قريب جداً من المطار ومن المدهش أنى لم أجد موظفاً واحداً بهذا الفندق يتكلم الإنجليزية أو الفرنسية أو أية لغة أخرى غير الروسية ، وكانت صدمة لى حين لم أجد فى الفندق أية وسيلة من وسائل التفاهم . وكانت الغرفة تحتوى على أربعة أسرة ولكنى كنت مصممة على زيارة موسكو مهما كلفنى الأمر خلال هذه الفترة القصيرة فعدت فوراً إلى المطار ، وكان المفروض أن أتناول العشاء فيه ببطاقة خاصة (فوتشر) وقابلت هناك مستر كوينشب الهندى وهو من الشخصيات المعروفة وكان فى مأزق لأنه لا يحمل تأشيرة دخول فتعارفنا ولم يلبث أن اتصل بإحدى الشخصيات البارزة فى موسكو ليجد حلا لمشكلته وطلب منى أن أنتظر معه هذه الشخصية السوفيتية ليعالج مشكلتى أيضاً ،وفعلا حضر الرجل وصحبنى معه إلى فندق (سوفيت سكاى) وكانت الساعة قد جاوزت الحادية عشرة مساء وكان هذا الفندق من أكبر فنادق موسكو وبه قاعة كبرى للمحاضرات وقاعه استقبالات كبيرة خصصت للاجتماعات الرسمية وقدمنى الزميل الهندى لموظفة الاستقبال كمندوبة لمصلحة السياحة المصرية فهيأت لى غرفة فاخرة فى الطابق الأول ،ومما لاحظته أن كل طابق قائم بذاته

وله موظف استقبال خاص ، كما يوجد بالفندق مكتب استعلامات وخدمات فى الطابق الأرضى للفندق،وقد طلبت من هذا المكتب فى صباح اليوم التالى أن يتفضل بالاتصال بسفارتنا فى موسكو وطلبت منه أيضاً بياناً عن بعض المعالم السياحية التى اعتزمت زيارتها ، وكذلك الاتصال بمكتب هيئة (الانتورست) السياحة السوفيتية ، ثم ذهبت لزيارة سفارتنا فى موسكو ومنها اتصلت تليفونيا بواسطة السكرتيرة الخاصة الروسية للتفاهم مع الشخصية السوفيتية التى قدمت لى هذه الخدمة ، وكان فى نيتى أن أقدم له ولابنه الطالب بجامعة موسكو والذى كان يصحبه حين قدم إلى المطار هدية رمزية ، لكنه اعتذر بلباقة مؤكداً أن ما قام به إنما هو من صميم واجبه نحو أى زائر خصوصاً إذا كان من مصر الصديقة وتمنى لى إقامة طيبة فى الاتحاد السوفيتى .

ثم رافقتنى الآنسة الموظفة بالسفارة المصرية فى زيارة المتحف الزراعى الدائم وهو يعتبر من أقوى الأدلة على تقدم روسيا ونشاطها فى المجال الزراعى والصناعى ، وقد بهرنى جمال النافورات والتماثيل الزاهية القائمة وسط المبانى فى حديقة واسعة تتميز بطابعها الخاص وكل جمهورية من جمهوريات الاتحاد السوفيتى أقامت ما يرمز إليها من منتجات وصناعات . . . الخ .

رعاية المرأة فى روسيا :

وبرغم ما تراه من تقدم المرأة ومساواتها بالرجل حتى فى الأعمال الشاقة سواء فى الزراعة أو الصناعة أو فى المعمل أو فى الحقل ، لم تغفل الدولة أنوثة حواء ، إذ خصصت للمتقدمات فى السن والحوامل عدداً من المقاعد الأمامية فى الأوتوبيسات ، كما منحتهن امتيازات أخرى فى الصعود والنزول من الباب الامامى على حين يقضى العرف السائد هناك الصعود من الباب الخلفى والنزول من الباب الأمامى .

وفى اليوم التالى قبل مغادرة موسكو قمت بزيارة مكتب (الانتورست) فقابلنى نائب المدير ومدير القسم الخارجى ، [illegible] الهما بعض مطبوعاتنا

السياحية . وقال لى المدير إن المنظمة حديثة العهد إذ أنشئت منذ سنة ١٩٥٣ ولكنها تشعبت · كل أنحاء الاتحاد السوفيتى ، ولما استفسرت منه عن اختصاصاتها أجاب بأنها تشرف على شئون السكك الحديدية وشركات الطيران وبعض الفنادق الخاصة ، وقال إن المنظمة ترحب بتبادل السياح بين البلدين ثم دعانى إلى القيام برحلة فى الاتحاد السوفيتى ولكنى اعتذرت آسفة لارتباطى بزيارة الصين الشعبية :

ثم صحبتنى المرافقة اللطيفة إلى المطار وكنت أحمل معى عشرين كيلو من حلوى المولد النبوى الشريف لبعض الاصدقاء والأقارب فى بكين ، ولم يطلب منى دفع رسوم عن زيادة الوزن لهذه المناسبة الكريمة — وهكذا تعنى الدولة بتكريم السياح — وكان وداعا حاراً بين الآنسة وبينى كانت تكرر لى اسمها لأنه يشبه الأسماء العربية .

العودة الى الاتحاد السوفيتى : موسكو للمرة الثانية

لبيت دعوة هيئة الانتورست السوفيتية بصفتى مديرة شركة مينا المصرية للسياحة لقضاء بضعة أسابيع هناك .

وكان الفندق الذى حجزت لى به غرفة يطل على الميدان الأحمر فندق (انترناسيونال) وفى صباح اليوم التالى لوصولى استيقظت على شروق الشمس وهى تملأ الغرفة .

عندما خرجت لشراء بعض البطاقات لإرسالها للأصدقاء والأهل وجدت مدخلا على ناصية بجانب الفندق ودرجات عددها حوالى عشرين ، فوجدت نفسى أنزل ظنا أنها توصل إلى محل تجارى وإذا بى أجد نفسى فى بهو واسع محلى بالتابلوهات على الحوائط ومقاعد وثريات آية فى الجمال وكأنه صالون فى قصر وكانت محطة من المحطات الكبيرة للمترو تحت أرض موسكو .

والحقيقة أني بهرت وكدت لا أصدق أني فى محطة مترو ،وكنت مضطرة للعودة للفندق لأنتظر زيارة السيد السفير ، وقد اصطحبني والسيدة قرينته فور وصولى إلى جولة خارج موسكو فى منطقة غابات جميلة وقمنا بزيارة قصر الملكة كاترين الذى لم يتم بناؤه، ثم زرنا حوض السباحة المستدير الذى يعتبر فريداً فى نوعه من حيث البناء والهندسة والتقسيم، ومما يدهش الزائر أن هذا الحوض فى العراء إلا أنه يحتوى على أجهزة لتدفئة المياه وإطلاق أبخرة تغطى سطحه .

وبعد انتهاء الزيارة السريعة لهذا الحمام الفريد كان قد حان موعد تناول الغذاء على مائدة السفير المصرى الذى أبى كرم أخلاقه إلا أن يشرفنا بجولة ووليمة قبل قيامه بإجازته الصيفية فى مساء نفس اليوم .

وبعد انتهاء الغذاء عدت إلى الفندق بعد أن تمنيت للسيد السفير الدكتور مراد غالب وحرمه التمتع بإجازة طيبة .

وعندما عدت إلى الفندق وجدت بانتظارى دعوة لأعضاء السفارة ولى من مدير (هيئة الانتورست) رداً على دعوة السفارة التى أقامتها لنا .

بدأ الحفل بحديث المدير الذى حيانا واحتفى بنا وأعرب عن سعادته بالمناسبة اللطيفة التى جمعت الوفد السياحى وأعضاء السفارة وشرب نخب توطيد العلاقات بين البلدين وتبادل السياح .

اجتماعات هيئة الانتورست :

وكان الهدف من دعوتى لقضاء بضعة أسابيع فى الاتحاد السوفيتى هو الاجتماع بأعضاء هيئة الانتورست لمناقشة بعض الشئون السياحية وكنت أستقبل فى مصر مجموعات من السائحين السوفييت وأقوم بحجز أماكن لهم فى الفنادق وأقوم بتنظيم الرحلات للأقصر وأسوان بمقتضى اتفاق بين الشركة التى أديرها وشركة الانتورست . وكانت هذه المجموعات تصل على البواخر الروسية درجنسكى وليتفيا .

وقد قمنا بمناقشة هذه الموضوعات فى أكثر من اجتماع مع المسئولين فى جو من التفاهم واتفقنا على الأسعار وحسن اختيار التراجمة والأدلاء ونظام الرحلات بما يتفق وأمزجة السائحين، ثم انتهى آخر اجتماع مع مدير السياحة مستر انكودينوف Ankodinof بتنظيم رحلتى السياحية فى الاتحاد السوفيتى .

بدأت رحلتى بركوب القطار الخاص إلى لننجراد بعد الظهر فوجدته مريحاً والخدمة به ممتازة وعربات النوم مكيفة وكانت ترافقنى السيدة دنيزوفا الموظفة بهيئة الانتورست وهى تجيد اللغة الإنجليزية .

وصلنا لينينجراد حوالى الساعة الثامنة صباحاً وكان الجو ممطراً ووجدنا فى انتظارنا مندوب السياحة الخاص بمكتب لينينجراد وذهبنا إلى فندق استوريا الذى يقع على الميدان الكبير فى وسط المدينة وهو فندق تنم مبانيه عن حضارة قديمة ومجد عريق .

ثم قمنا بجولة سريعة فى المدينة وقضينا حوالى ساعة فى المتحف العظيم الذى ذكرنى بقصر فرساى فى فرنسا وقد اقتصرت الزيارة على بعض أقسامه نظراً لضيق الوقت، ثم زرنا مصنع نسيج اتضح أنه يصدر لنا آلات النسيج والتريكو، وقد زارنا مديره عام ١٩٥٧ ومازال يذكر حسن الضيافة التى لقيها وأثنى على سير العمل فى مصانعنا الحديثة فى المحلة وكفر الدوار والنهضة الصناعية الحديثة التى كانت ضمن أهداف زيارته ويود لو أتيحت له فرصة أخرى لزيارة الجمهورية العربية المتحدة، وشكرته بعد زيارتنا للمصنع على حسن استقباله وحفاوته ثم عدت إلى الفندق .

مدينة لينينجراد :

ويسرنى أن أقدم بعض الطرائف عن تلك المدينة الخالدة التاريخية الجميلة التى تقع على الضفة الجرانيتية من نهر النيفا والتى كافحت ببسالة فى أثناء الحرب العالمية الثانية وضرب عليها الحصار زهاء ٩٠٠ يوم .

وهى تعتبر من أكبر موانى الاتحاد السوفيتى وتضم ١٠١ جزيرة، ومنذ نحو ٣٠٠ عام تبارى مهندسون عالميون فى إقامة مبانيها الفاخرة المنسجمة وتخطيط شوارعها المستقيمة وميادينها الواسعة والكبارى التى أضفت عليها طابعاً هندسياً رائعاً مما جعلها تقف فى مصاف أكبر مدن العالم .

وعندما وصلت إلى ميدان بطرس الأكبر وقفت مشدوهة أمام تمثال الفارس البرونزى كما يطلقون عليه هناك، وهو يمثل القيصر بطرس الاكبر ممتطياً صهوة جواده بالحجم الطبيعى على حين يقف الجواد على قدميه الخلفيتين فقط وقد ارتفعت قدماه الأماميتان فى الهواء وهو يعتبر بحق تحفة فنية رائعة .

والمدينة الخالدة كما ذكرت تزدهر ميادينها بالحدائق الواسعة والتماثيل الفنية الضخمة . ولما كان الطبع غلاباً فقد استفسرت من الدليل فى أثناء تجوالى أجنحة القصر الشتوى — قصر القياصرة والقريب من متحف الارميتاج الذى يضم مجموعة نادرة من القطع الفنية — عن المكتبات فى هذه المدينة العظيمة، فنظر إلى الدليل وهو طالب جامعى واستغرق فى لحظة تفكير كأن يستجمع ذكريات قديمة ثم قال : لا تندهشى ياسيدتى إذا قلت لك إن المدينة تضم ٢٦٠٠ مكتبة بها ما يزيد عن ٥ ملايين مجلد وتعتبر المكتبة الأهلية من أقدم المكتبات فى العالم، وزيارتها تحتاج إلى تحديد موعد سابق ولكن الوقت كان ضيقا فأرجأناها إلى زيارة أخرى .

وفى المساء شهدت حفلة فى المسرح القديم هناك، وقد عرض ثلاث رقصات من فرقة إيطالية وكانت القطعة الاخيرة هى البوليرو المشهورة، ثم عدت إلى الفندق .

مدينة كييف : عاصمة أوكرانيا

[انطلقت بنا الطائرة المحلية الساعة ٧,٣٠ صباحاً من مطار لينينجراد فوصلنا كييف الساعة ٢,٣٠ بعد الظهر ويبعد المطار عن المدينة نحو ٢٥ كيلومتراً وقد بنيت على هضبات عالية خضراء تحيط بها غابات

كثيفة وتقع هذه المدينة على نهر الدنيبر الذى يشتهر بالكبارى الخمسة والشاطئ الذى كان يزخر بجموع عشاق السياحة والاستجمام .

وهذه المدينة الجبلية القديمة تتميز مبانيها بطابع هندسى خاص بالنسبة للحدائق المنشأة أمام كل مبنى مما جعلها ذات طراز متميز ، وهى إلى جانب ذلك بلد صناعى متخصص فى صناعة المراكب الشراعية والدراجات والسيارات . . الخ .

ومعظم الآثار فى هذه المدينة يرجع إلى أيام الحرب العالمية الثانية ، فقد أقيمت كتذكار لكفاح المدينة وبسالتها وبطولة أهلها الذين استماتوا فى الدفاع أمام العدو

أما كاتدرائية سانت صوفيا فيرجع تاريخها إلى القرن الحادى عشر

وأما النصب التذكارى للجندى المجهول فيقع على ضفة نهر الدنيبر وبجانبه مقبرة ضحايا الحرب الأبطال الذين تصدوا للزحف النازى ويوجد بها خط مترو تحت الأرض يصل قلب المدينة بشاطئ نهر الدنيبر . وهى المدينة الثالثة فى أهميتها فى الاتحاد السوفيتى .

وعندما وصلنا إلى الفندق الكبير فوجئت بوجود اثنين من الضباط المصريين كانا فى بعثة ثقافية لبضعة أشهر ، وخرجنا سويا إلى نفق محطة المترو وهذه المحطة وإن كانت على جانب كبير من الفخامة إلا أنها ليست فى فخامة محطات موسكو ، واقترح أحد الضباط أن نزور الجزيرة الغربية التى أقيم فيها معسكر الشباب ، وركبنا باخرة صغيرة فوصلنا الجزيرة الجميلة بعد نصف ساعة وبعد زيارة قصيرة وقفنا خلالها على أحدث النظم الرياضية كان قد حان موعد إقلاع الباخرة الصغيرة فعدنا إليها وكنا خلال سيرنا نتجاذب أطراف الحديث عما شاهدناه .

كييف :

وباعتبارى عضو مجلس إدارة جمعية بيوت الشباب المصرية كنت حريصة فى رحلاتى على زيارة بيوت الشباب فى مختلف البلاد للوقوف على مدى نشاطها وما استحدث فيها . . الخ .

وعندما سألت فى كييف السيدة المرافقة عن أحد هذه البيوت بادرت بالاتصال بالمسئولين لزيارة أحد هذه البيوت . فنظمت لنا زيارة خارج المدينة لمعسكر تابع للجمعية معسكر (القيادات Pioneer Camp) يضم عدداً من الطلبة المختارين من الجيش، ومدة الإقامة فى المعسكر ثلاثة شهور وقد استقبلنا النزلاء بالترحيب والغناء وعرضوا علينا نشاطهم الموسيقى والرياضى وعلمت أن الدولة تسهم بما يوازى ٥٥ ٪ من نفقات هذه البيوت خلال هذه الفترة، وينقسم المعسكر إلى مجموعات كل مجموعة تضم ٣٠ تلميذاً والمدرسون متطوعون وكذلك المشرفون وقضينا وقتاً ممتعاً بين النظام والرياضة التى لهـا الفضل الأول فى تأهيل الشباب صحياً وعقلياً .

زيارة مصنع الشمبانيا :

كان ضمن البرنامج زيارة مصنع الشمبانيا الحديث الذى يبعد عن كييف بحوالى نصف ساعة بالسيارة فى طريق بعضه جبلى، ووصلنا إلى بوابة كبيرة اجتزناها بالسيارة وسط حديقة تحتوى على عدد من المبانى الحديثة، وقفت بنا السيارة أمام أكبرها حجماً فاستقبلنا مدير المصنع وأحد الموظفين، وقد قمنا بجولة بين الأجهزة الحديثة الخاصة بالتقطير والتعبئة والتجهيز فى مراحل عديدة والآلات التى تسجل الحرارة والسرعة وحالة التخمير . . الخ .

وكنا نلبس جميعاً معاطف بيضاء معقمة فى أثناء الزيارة ، ويرجع تاريخ هذا المصنع إلى سنة ١٩٥٠ ، وقبل ذلك كان مصنعاً لإنتاج الفودكا وينتج ٣ مليون زجاجة سنوياً قابلة للزيادة للحد من استهلاك الفودكا . ثم عدنا

إلى بهو الاستقبال وهو المكان المخصص لاجتماع اللجنة العليا الفنية لتجربة أنواع الشامبانيا وتذوقها ثم اطلعنا على استمارات مقسمة إلى بنود منها التاريخ والنوع والكثافة والطعم واللون . . . الخ .

عدنا إلى الفندق بعد انهاء الزياره وشكر القائمين على شئون المصنع والمرافقين لنا بعد أن قدمنا بعض الهدايا لهم على سبيل الدعاية والتذكار .

كنت أسمع فى شوارع موسكو والمحال العامة لغات مختلفة من الألمانية إلى الإنجليزية إلى الإيطالية .. الخ . فسألت زميلاً عاش هناك منذ سنوات فقال : لو أنك حضرت إلى موسكو منذ سنوات لما سمعت هذه اللغات المختلفة ولكن الدولة أرادت أن يكون للسياحة شأن فيها ، فقامت بالدعاية لبلادها فى جميع أنحاء العالم حتى حج إليها مختلف الوفود من جميع أقطار الارض ، ولذا فإنك تسمعين الآن مختلف اللغات وهذا يدل دلالة قاطعة على انتعاش حركة السياحة فى الاتحاد السوفيتى .

فقلت له : « إن الاتحاد السوفيتى فى الحقيقة بلاد عظيمة لها تاريخها ومناطقها السياحية التى تستحق الزيارة » . وكنت ألاحظ شعور الكثير من السائحين بالسعادة والغبطة فى أثناء زيارتى للبلاد .

وبينما كنت فى انتظار الطائرة التى سأركبها من كييف إلى سوتشى وجدت (البوتيك) وآنسة لطيفة تبيع بعض المذكارات فيها والحلوى ، تعلو شفتيها ابتسامة مرحة ، وبعد دقائق وجدت سائحاً أمريكيا كان يشترى منها شكولاته وسمعته ينهرها ويوجه إليها ألفاظاً مهينة ويتهمها بالمغالطة فى الثمن ، ثم اتضح أنه هو الذى لا يعرف العملة الروسية ويبدو أن الشعور السائد بين الكتلتين طغى عليه برغم أنه فى رحلة سياحية وبرغم أنه يخاطب آنسة لطيفة لم تقصد مغالطته كما يدعى .

وبالرغم من موقف هذا السائح الأمريكى فإن البائعة السوفيتية ظلت محتفظة بابتسامتها وبصوتها الهادئ الذى كانت نبراته تنم عن الاعتذار .

الدجاجة المشوية :

دعانى بعض أعضاء سفارتنا فى موسكو إلى حفلة فى إحدى المسارح وكانت تمثل فيه رواية (فاوست)، والحقيقة أنها كانت رائعة من ناحية التمثيل والإخراج والمناظر وسرعة تغييرها، وبعد انتهاء الحفلة ذهبنا إلى مطعم من المطاعم المحلية وكان مشهوراً بتقديم الدجاج المشوى وتقدم الدجاجة كاملة ومعها المشهيات والسلطات والثوم المخلل الذى رأيته لأول مرة، وحجم الفص منه كحجم اللوزة الكبيرة ويقدم كالخيار عندنا، ولأول مرة أيضاً أرى الفودكا على المائدة وبجانب كل كأس منها زجاجة شربات قيل لى إنها شراب فراولة يقدم مع الفودكا — المشروب الوطنى — ولأنه شديد التأثير فالشربات تحد من غضاضته، ولكل بلد عاداته فى أثناء الطعام. وكان الجو عموماً غريباً على ولكنه كان مرحاً ولطيفاً .

زيارة الكرملين :

وكان فى برنامجى زيارة الكرملين فقمت بزيارته التى تركت فى نفسى أثراً لا يمكن وصفه بعد عودتى من الرحلة .

يقف الكرملين شامخا فى الميدان الأحمر فى موسكو رمزاً لعظمه الاتحاد السوفيتى بأبراجه الشاهقة وآثاره التاريخية العريقة من قصور وكنائس ومتاحف شيدت داخل أسوار من الصخر القوى المتين لحماية قياصرة روسيا من غضب رعاياهم وبطش منافسيهم من الأمراء فى ذلك الوقت، وليست الأسوار التى نراها اليوم هى التى شيدت فى بادئ الأمر، فقد أعيد بناء أجزاء كبيرة منها فيما بين عامى ١٤٨٥ — ١٤٩٥، كما أزيل بعضها واستبدلت به أجزاء حديثة فى القرن الثامن عشر وشقت الطرق الفسيحة وزرعت الحدائق الغناء، ولكن فى القرن السابع عشر فقد الكرملين بعض أهميته كقلعة وأضيفت إلى الأبراج تلك القمم التى شيدت على هيئة الخيام والأبصال، وفى ذلك العهد انتقل بطاركة الكنيسة من الكرملين حينما انتقلت العاصمة من موسكو إلى بطرسبرج (لينجراد)

وقد أصاب الكرملين الدمار والخراب فى القرنين الثامن عشر وأوائل التاسع عشر، ولكن سرعان ما عاد إليه رونقه وبهاؤه بما شيد فى داخله من الكنائس والقصور . ولما نشبت الثورة الشيوعية عام ١٩١٧ وجه فريق من الثوار نيران مدافعهم الضخمة إليه فأصيبت بعض مبانيه بتلف جسيم . وقد أنقذ ماكسيم جوركى الكاتب الروسى الكبير ثروة الكرملين العريقة الضخمة من أيدى الثوار فى ١٩١٧ عندما وقف يخطب فيهم قائلاً : «إخوانى المواطنين لا تلمسوا حجراً واحداً من هذه الثروة، إنها تاريخكم، إنها فخركم إنها رمز لقوتكم الروحية وتضحيات آبائكم وأجدادكم فحافظوا عليها ولا تمسوها بسوء» وقد لبى الثوار دعوة كاتبهم الكبير وانسحبوا، وهكذا أنقذ لينين وجوركى تراث روسيا واحتفظا بكل النفائس والتحف التى تزين اليوم المتاحف وهى لا تقدر بثمن .

ويشبه تخطيط الكرملين مثلثاً متساوى الساقين وتعلو أسواره الأبراج المنيعة وتخترقها خمسة أبواب، أهمها باب الخلاص وقد بنى سنة ١٤٩١، واليوم هو الباب الرئيسى للكرملين ويؤدى إلى الميدان الأحمر .

وقبيل اندلاع الثورة كان على كل من يعبر هذا الباب أن يخلع قبعته تحيه للصور التى تمثل السيد المسيح والتى تقع بالقرب من هذا الباب، وفى داخل الكرملين عدة مبان تتصل كلها بتاريخ روسيا السياسى والدينى والثقافى. وهناك أربع كاتدرائيات ونحو اثنتى عشرة كنيسة أهمها كتدرائية أوبيتسكى، وهناك برج إيڤان الهائل الذى يضم أهم النفائس الروسية ففيه عدة عروش للقياصرة وعربات مرصعة بالأحجار الكريمة ومجموعة من التيجان أهمها تاج قازان المصنوع من الذهب المحرم المرصع بعشرات الأحجار الكريمة كالفيروز واللؤلؤ والتوباز ، وقد صنع سنة ١٥٥٣ فى ذكرى الاستيلاء على خانات قازان من أصحابها التتار .

ومما استلفت نظرى فى هذه الزيارة أن المتحف مفروش بالسجاد الفاخر ويلبس الزائرون له الخف.

ويجتمع أعضاء مجلس السوفييت فى أحد أقسام القصر الكبير ،أما مجلس السوفييت الأعلى فيجتمع أعضاوءه فى صالة العرش الكبرى وهى التى تعرف بقاعة القديس اندرو .

وتشغل إدارات الحزب الشيوعى بعض المبانى التى شيدت فى أعقاب الثورة، وهناك دار القضاء القديمة وثكنات ومخابئ منيعة وداران للسينما ويحيط بهذه المبانى الحدائق الفاتنة الواسعة .

ويطل الكرملين على الميدان الأحمر الكبير الذى تقام فيه معظم الاحتفالات الوطنية وقد حضرت استقبال رائدى الفضاء بوبوفتش ونيقولا يف فى هذا المكان التاريخى . وقد سعدت بحضور هذا الاحتفال الشعبى الكبير الذى اشتركت فيه جميع الهيئات الرسمية والشعبية لتكريم رائدى الفضاء .

سوتشى :

قمنا من مطار كييف الذى يبعد عن سوتشى بنحو٢٥ كيلو متراً وكانت المواعيد قد تغيرت بسبب تغير موعد إحدى الطائرات المحلية الخاصة بالركاب السوفييت وهم فى طريقهم للمصيف فوصلنا الساعة ١٢ مطار دويتشك .

تناولنا غداء خفيفاً سريعا وقمنا إلى سوتشى فوصلنا مدينة أدلر Adlr التى يقع فيها المطار الساعة ٣ مساء ، أما سوتشى وهى المصيف الجبلى النهرى فتبعد عن المطا بنحو ٤٥ كيلو متراً وكنت أظن أن مطار أدلر هوسوتشى ولكنى فوجئت بمندوبة الانتورست ترحب بنا قائلة: « لعلها كانت رحلة طيبة وموفقة لم تعانوا فيها إرهاقاً فنحن على أهبة رحلة أخرى إلى سوتشى »فأبديت دهشتى وسألتها: « أين نحن إذن ؟ » فقالت: «نحن فى أقرب مطار لمصيف سوتشى لأن طبيعة البلد وجمالها ووجودها بين مجموعة من الجبال الخضراء وحدائق النباتات وبعضها قريب من الشواطئ الرملية الجميلة كل هذا حال دون إنشاء مطار فيها » .

وبدأنا الرحلة فى طرق جبلية ساحرة بعضها على حافة الجبل والبعض فى الداخل بين أشجار كثيفة خضراء موازية لساحل البحر الأسود ، والطريق يعلو ويهبط ، ثم جتزنا منطقة غابات وبعدنا عن الساحل لبضعة كيلومترات ثم خرجنا إلى الساحل وعندما وصلنا سوتشى وتجولنا فيها تبين لى أنه ليس من المناسب إطلاقاً إنشاء مطار فيها ، بل من الواجب الإبقاء على هذه الجنة الخضراء الوارفة الغنية بأجمل وأندر أنواع الزهور وبالأحراج الكثيفة وأشجار السيدر المعمرة التى يبلغ عمر بعضها ٥٠٠ ، ٦٠٠عام ، وحتى الشوارع فيها منسقة ومرصوفة مزدانة بأشجار السرو والنخيل والماجنوليا ، ثم مررنا على البحيرة (ريتا) التى تعلو ٩٥٠ متراً عن سطح البحر ، وهى بحيرة ساحرة بمناظرها وخاصة بالحديقة التى تحيط بها تحت الجبال الصفراء .

وبعد هذه الجولة السريعة وصلنا فندق الانتورست الكبير ومررنا خلال الحديقة إلى المبنى الحديث الفخم وبه شرفة كبيرة مكونة من طابقين تطل على البحر الأسود .

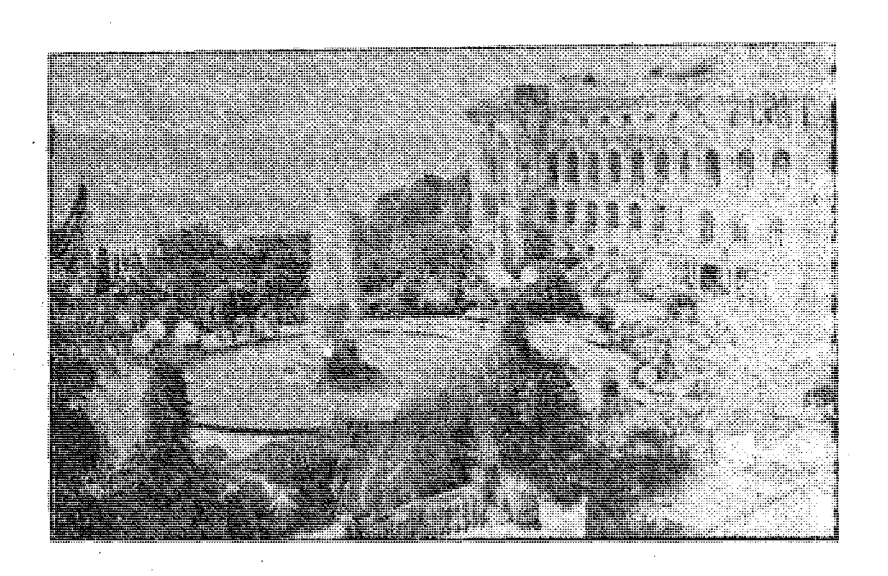
قمنا فى الصباح الباكر بزيارة للشاطئ الخاص بالفندق فوجدت مجموعة من الكبائن الملونة المنتشرة على الطرق الحديثة الواسعة وتقع على الساحل مباشرة ، وبعضها فى حضن الجبل والطرق معبدة جميلة تربط الجبل وكبائنه والشاطئ والفندق وشرفته الكبيرة .

وعند ما كلمتنا السيدة المرافقة عن بعض المصحات وزيارة إحداها فى اليوم التالى ، رحبت بهذه الفرصة لأنى كنت قد اطلعت على نشرة بها معلومات عن البلد وما فيه من مصحات وحدائق وشواطئ ، والواقع أنه بلد المصايف والحدائق والاستشفاء كما يسمونه .

مصحة فوروشيلوف : (اسم الرئيس السابق للاتحاد السوفيتى)

كان من أول المعالم الموضوعة فى برنامج زيارتنا لسوتشى هذه المصحة الكبيرة (صورة رقم ٦) والملحق بها مصيف خاص

أيضاً للمرضى . ومما استرعى نظرى فخامة المبنى المشيد على نمط القصور التى تتوسط حدائقها نافورات ، ثم الدرجات الرخامية الكبيرة المتفرعة إلى اليمين واليسار والشرفات الواسعة التى تطل على البحر الأسود ثم الصالونات المخصصة لانتظار المرضى وما تزدان به من تحف ولوحات لكبار الفنانين ، والصالات المخصصة للبلياردو (صورة رقم ٦) .



(صورة رقم ٦)

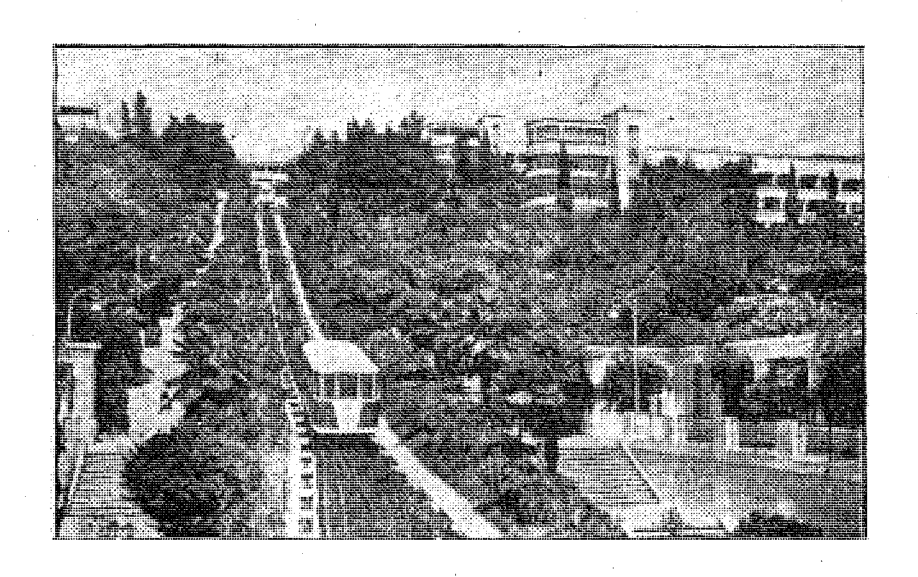
وقد يأخذك العجب حين تعلم أنه بالرغم من هذه الفخامة يوجد قسم مجانى للمواطنين وقسم للأجانب بتكاليف معتدلة ودرجتان أولى وثانية .

وتتمتع هذه المنطقة بينابيع كبريتية ومعدنية ومدة العلاج بها قد تمتد إلى ٢٦ يوماً بين حمامات كبريتية وعلاج بالتدليك والكهرباء بأحدث الأجهزة لأمراض الروماتزم والربو والأمراض الجلدية والأعصاب تحت إشراف أطباء متخصصين فى هذه الأمراض .

ويوجد قطار جبلى « (فينوكولير) يخترق الجبل من حديقة المصحة إلى الشاطئ المخصص للمرضى وفيه مكان للترفيه والعلاج (صورة رقم ٧) .

غادرت المصحة بعد قضاء بضع ساعات فى العلاج الطبيعى إلى ميدان محطة السكك الحديدية بمبناها الضخم وصالة الانتظار الكبيرة كأنها صالون فى قصر كبير ثم عدد من النوافذ فى الجهة اليمنى من المدخل لحجز تذاكر الفنادق والمصحات حتى توفر الراحة للمصطافين والمرضى على السواء، وتعتبر هذه المحطة من أهم معالم المدينة .

أما ميناء سوتشى البحرى فهو تحفة فنية سواء فى البناء أو الزخرفة المعمارية فكل جدران صالون البهو الرئيسى مغطاة بالصينى الملون (القيشانى) أما السقف فيمثل السماء الصافية ويطلق فيه الحمام الأبيض رمزاً للسلام، ثم قطع من المرايا الكبيرة فى إطارات من الخشب الثمين . أما الجدار الأمامى فى البهو فقد نقشت فيه خريطة بارزة تبين الاتصالات مع قارتى آسيا وأفريقيا والخطوط المنتشرة فيها وهى آية فى الفن والجمال ، وفى المساء تضاء بالأنوار الخلابة .



(صورة رقم ٧)

وفى طريقنا من المحطة البحرية إلى الفندق الذى نزل فيه مررنا على حديقة الخالدين وهى تضم طائفة جميلة من الزهور والأشجار التى غرس بعضها الزعماء والأدباء السوفييت عند زيارتهم لهذه الحديقة الجميلة تاركين فيها أثراً طيباً . وقد ازدانت الحديقة بأكشاك صغيرة من البامبو وتماثيل بعض العظماء بحيث يستطيع الزائر أن يدرس من خلال جوله فيها تاريخ هذه المدينة ومن أنجبتهم من زعماء وأقطاب استحقوا وفاءها مدى الدهر .

وقد شهدت بنفسى أسراً كثيرة كانت تتنزه فى هذه الحديقة وكان الآباء يهتمون بتوجيه أنظار أبنائهم إلىماتضمه هذه الحديقة من تراث تاريخى وقومى يتمثل فى الأشجار التى تحمل كل منها بطاقة شخصية للأدباء والعظماء الذين لعبوا دوراً فى التاريخ أو فى الأدب حتى يغرسوا فى أولادهم الوطنية الصادقة وليعلموا أن الوطن لاينسى أبناءه الأبرار .

عزبة على مائدة القمار :

قمنا بالسيارة من سوتشى مجتازين نفس الطريق المؤدى إلى أدلر التى يقع فيها المطار والطريق مواز للشاطئ ويخترق جبال القوقاز الخضراء .

توقفنا عند قرية صغيرة لزيارة إحدى العزب التى تشتهر بذلك (البيت الأخضر الطبيعى) الذى كان يملكه محافظ مدينة لينينجراد وكان قد فاز بها على مائدة القمار وسماها (سلوخاينوى) Slokhaynoy وتبلغ مساحتها ٣٠٠ هكتار وجمع فيها المحافظ مئات من أنواع الزهور والفواكه واستخدم فيها إخصائيين فى فلاحة البساتين والزراعة إلى أن قامت الثورة واستولت عليها الدولة وأدخلت عليها التحسينات واستغلتها لصالح الشعب وهى الآن تضم نحو ألف نوع من النباتات والأشجار المتنوعة من مختلف بلاد العالم وتقوم العزبة بتصدير الزهور إلى جميع البلاد السوفيتية عنطريق مطار أدلر .

أما قسم تفريخ الدجاج من النوع الممتاز فى العزبة فيمتاز بكمية البيض الهائلة التى يربو عددها على ١٦ مليون بيضة سنوياً يصدر معظمها إلى المصحات

وبعد انتهاء زيارتنا للعزبة توجهنا إلى فندق جاجرا فى الساعة الثانية بعد الظهر وهو يقع فى قلب الجبل وسمى باسم البلد القديم (جاجرا) الذى يرجع تاريخه إلى القرن الرابع عشر ومعظم أهل هذه المنطقة من الفنانين من مختلف الجنسيات وعدد المسلمين هنا كبير، لذلك يوجد كثير من الالفاظ العربية فى لغتهم .

والطعام فى الفندق قريب الشبه جداً من الأطعمة الشرقية .

وبعد تناول الغداء قمنا بجولة قصيرة على الشاطئ بين الكبائن ذات الألوان المختلفة والملاعب الرياضية التى تقع أمام الفندق ثم عدنا إلى سوتشى ومنها إلى موسكو بطريق الجو .

وفى موسكو تبين لى أن المبلغ المحول إلى لم يصل بعد، وبمرورى على بعض المحال الكبيرة القريبة من الميدان الأحمر وجدت أن أحذية السيدات مرتفعة السعر وكان معى لحسن الحظ حذاء جديد من النوع الفاخر فكان بمثابة نجدة للحصول على مبلغ لابأس به .

الصين الشعبية

انطلقت بى الطائرة من مطار موسكو ظهراً فى اتجاه منغوليا فوصلت ميناءها الجوى وهو مبنى صغير متواضع فى استعداداته، وكان علينا نحن المسافرين أن نقضى ليلتنا فى هذا المطار ، ولكن نظراً لفارق الوقت بين روسيا ومنغوليا فوجئت بالصباح وقد لاح بعد ساعة من وصولنا وهكذا وفرت الشركة بفضل خطوط (ءير كادور) قيمة أجر مبيتنا ليلة، وتقدم منا أحد ضباط المطار واصطحبنا إلى الطائرة الصينية، وكانت صغيرة الحجم، وتناولنا عليها وجبتى الإفطار والغداء، ووصلنا مطار بكين حوالى الساعة الرابعة مساء فوجدت فى انتظارى وكيلة الاتحاد النسائى وسكرتيرتها وبعض أعضاء سفارتنا وبعضهم من أقاربى، وقد سبق أن اتصلت بهم تليفونياً من موسكو .

فندق شينشاو :

خصص جناح من هذا الفندق الكبير لعضوات الاتحاد النسائى والوفود المدعوة من مختلف البلاد وكان الاستعداد رائعاً وبرنامج الزيارات مكتوب بمختلف اللغات الإنجليزية والفرنسية والروسية كما أن المرافقات يتكلمن هذه اللغات . وكان الفندق يبدو كأنه خلية نحل تعمل فى سكون وانسجام . ووجدت فى غرفتى بعض الزهور الجميلة و« ترموس » به ماء ساخن ولفافات الشاى الياسمينى لإعداد كوب من الشاى، وطريقة إعداد الشاى هى إفراغ اللفافة الصغيرة فى كوب مخصصة له بغطاء من الزجاج ، ويصب الماء المغلى من الترموس على الشاى بالكوب وبعد خمس دقائق نتناول كوباً من الشاى ذى الرائحة الجميلة .

وقد لاحظت أن هذه الطريقة متبعة فى كل مكان أثناء جولاتى فى ربوع الصين .

أما فى زيارة المصانع فيقدم الشاى جاهزاً من الترموس الكبير للزائرين . وفى الدرجة الأولى فى القطارات كانت الأكواب وأكياس الشاى على المنضدة الصغيرة بين المقعدين ، وتمر إحدى الآنسات بإبريق ماء ساخن كبير فى أوقات معينة .

سألتنى إحدى المرافقات عند وصولى للفندق عما إذا كنت أود تناول الطعام فى المطعم الصينى أو الأوربى ، وكان الفندق يضم الاثنين معاً ، والمدعوون أحرار فى اختيار أحدهما وفضلت مبدئياً المطعم الصينى مجاملة ، ولكن بعد ذلك كنت أتناول الطعام الصينى يومياً إذ وجدته طيباً وصحيا وخفيفاً ، وأقول ذلك دون مغالاة أو مجاملة .

وبجانب البرنامج الموضوع للزيارات كانت المرافقات تسأل كل مدعوة عن الأمكنة التى يهمها زيارتها ، فمثلاً الرياضية تود زيارة بعض المعاهد الرياضية والصحفية بعض دور الصحافة والمدرسة بعض المدارس ، وأنا شخصياً كنت أود زيارة المكاتب السياحية فى كل بلد . فكانت هذه لفتة رقيقة حتى لاتشعر الضيوف بأنهن مقيدات بزيارة أماكن مفروضة عليهن .

وقد عجبت من عدم قبول أى موظف فى الفندق (للبقشيش) ، ولما سألت مدير مكتب السياحة قال إن هذا ممنوع منعاً باتاً ولأن الموظفين يمنحون مرتبات كافية ويعتقد أن قبولهم البقشيش يحط من كرامتهم مهما كانو موظفين صغاراً وقد حاولنا إعطاء بقشيش للفراشين فى الغرف ،فكانو يعتذرون بأدب حتى حلاق الفندق رفض أخذ أكثر من السعر المحدد .

دعوة مدير السياحة ببكين :

عندما ظهرت رغبتى فى زيارة مصلحة السياحة حدد لى موعد مع المدير فذهبت مع إحدى المرافقات « مسز تشن » وبعد تبادل التحية سألنى السيد المدير عن رأيى فى السياحة فى هانشو وتشانجهاى وتينشن .

وكنت أول من زار الصين من دنيا السياحة فى مصر، وكنت صريحة فى ملاحظاتى فى مجال العمل المحدود فى هذه المكاتب، فهم ينتظرون حضور الوفود المدعوة من قبل الحكومة لتلبية ما يرغبون من زيارات ورحلات داخلية، فقلت له: ينبغى أن يتناول العمل فى هذه المكاتب السياحة المحلية — والخارجية خصوصا أنه لاتوجد شركات سياحية أجنبية أو أهلية، فلو توسعت هذه المكاتب فى مجال العمل وقامت بالدعاية فى الخارج لازدهرت السياحة وعلى الأخص فى وقت التعمير والإنشاء والتقدم الصناعى العظيم الذى تنهض به البلاد الآن .

فأجابنى المدير بشئ من المرارة بأن الأمريكان يقومون بدعاية سيئة ضد الصين إذ يزعمون أنها تقع وراء ستار حديدى وأنها بلاد فقيرة متخلفة بائسة ... الخ .

فقلت: « إذاً من واجب مصلحة السياحة ومكاتبها أن تنفى هذه الأكاذيب والمهاترات بالدعاية المضادة القوية لجلب السائحين ليقفوا بأنفسهم على مدى النهضة فى البلاد، وهذا هو العنصر الأساسى للسياحة، ونحن الدول العربية نعانى أيضاً من نفس هذه الأكاذيب والمفتريات من أعدائنا، ولهذا أنشأنا مكاتب فى الخارج لهذا الغرض، ثم قال مدير السياحة إن شركة الطيران الصينية خفضت ٤٠٪ والسكك الحديدية ٥٠٪ من الأجر للوفود السياحية داخل الصين لتنشيط السياحة، وهذا جهد وإن كان قليلا فإنه بمرور الوقت سيكون أقوى من ذلك .

ثم شكرنى على هذه الزيارة وعلى الملاحظات التى وعد بأن تكون موضع بحث واهتمام .

ربات البيوت يشرفن على دار الحضانة فى تينس : Tienain

تضم الدار حوالى ٣٠٠ طفل من سن ٢ — ٧ سنوات كل ثلاثين طفلاً فى رعاية مدرسة وممرضة، وتعمل المدرسة نصف يوم تبرعاً وأطفال الدار من أبناء الموظفات والمدرسات والناظرات والمحاميات والعاملات على وجه العموم .

ولفت نظرى طريقة تنسيق الدار ، ونظام الرعاية فيها فلكل طفل مشجب خاص عليه فوطة ومريلة وقد ازدانت برسم طير أو حيوان بدل اسم الطفل حتى يعرفها ، وقد رأيت أمارات الصحة والسعادة تبدو على وجوه الأطفال .

تينسن بلدة صناعية حرة : Tientsin

تحررت هذه البلدة سنة ١٩٤٩ وبها أكثر من ١٣٤٠ مصنعاً وعدد سكانها ٣ ملايين نسمه وقبل التحرير كان عددهم ٦٠٠٠ وقد سبقت بلاداً أخرى فى فن الصناعة الحديثة وكثرة أنواعها وطريقتها الكيماوية الدقيقة ، وهى على اتصال تجارى مع حوالى خمسين دولة منها العراق والجمهورية العربية المتحدة وأهم منتجاتها الدراجات والزهور والفوانيس المصنوعة من الورق للزينة .

وفى اليوم الثالث زرنا قبل سفرنا إلى شنجهاى معرض المنتجات للتصدير وهو مكون من ١٧ صالة للعرض تضم المنسوجات القطنية ذات الرائحة الذكية والأنسجة برائحة تطرد الذباب وأثاثات خفيفة يمكن طيها وفردها وأدوات طبية ومراوح كهربائية ينبعث منها روائح زكية ، وقد رأينا لأول مرة نموذجا لبيت متحرك يصلح لعائلة صغيرة وهو مصنوع من الخشب ، ويصدر هذا المصنع المنتجات من شمال الصين وشرقها وهو محاط بحديقة كبيرة بها عدة بحيرات صناعية وتسمى (الحديقة العائمة فوق الماء) .

كانت زيارة هذا المعرض آخر زيارتنا فى ميناء تينسن .

وقد أقام لنا الاتحاد حفلة شاى فى دار الحزب دعا إليها بعض سيدات المجتمع هناك من مختلف الهيئات من فنانات ومدرسات . وبعض العاملات فى الشئون الاجتماعية وألقت الرئيسة كلمة ترحيب ثم قدمت تلميذات معهد الموسيقى بعض القطع الموسيقية والغنائية . ثم اشتركت العضوات الأجنبيات فى إحياء الحفل بتقديم الأناشيد الوطنية لبلاد هن واشتركنا نحن فى ذلك .

ثم انتهت الحفلة بالغناء والتصفيق والوداع الحار . فذهبنا مباشرة إلى المحطة — وكانت الساعة قد بلغت السابعة مساء — لنأخذ القطار إلى شانجهاى وهى المحطة الغربية ، وتوجد محطتان أخريان فى الشمال والشرق فى هذه البلدة الصناعية .

كان الجو بارداً فى عربة النوم وكانت بصحبتى الصحفية البولونية والسيدة النرويجية وهى عضو بارز فى جمعية السلام العالمية ويظهر أن البرد لم يمنعهما من النوم . وقضينا اليوم فى القطار بين المناظر الخلابة ، من مراع خضراء إلى تلال قليلة والطريق عموما يشبه الريف عندنا ، وفى إحدى المحطات وجدت عربة أكل تشبه عربات الكشرى والفول المدمس عندنا ونزل عدد من المسافرين لشراء الفطور ، وقد تبينت أن العربة تحتوى على الأرز والبطة البيكينى وفى علب ورق صغيرة تشبه علب جروبى وزنها (نصف كيلو) مليئة بالأرز وقطعة من البطة حسب الطلب (والتشوب ستكى) أى الأعواد التى تقوم مقام الشوكة والملعقة فى تناول الطعام وأصابع الموز الممتاز ، أما فى القطار فكان الحساء يقدم إلى جانب صحن الأرز .

وصلنا محطة شانجهاى الساعة السابعة مساء فوجدنا وكيلة الاتحاد فى انتظارنا مع بعض العضوات فى أتوبيس سياحة أنيق فوصلنا للفندق وكان معظمنا يبحث عن محل الكوافير كان ملحقا بالفندق ، ومجاملة للزائرات استمر فى العمل حتى الساعة العاشرة مساء واعتذر عن البقشيش بمنتهى الأدب والإصرار . وكانت غرفتى فى الفندق دافئة ومريحة بعد ماعانيت من مشقة السفر وبرد القطار ، وكان العشاء الصينى من ألذ ما يمكن ولاسيما البطة وهى الأكلة الشهيرة هناك (بطة بكين) ، وتطهى بطريقة خاصة فى فرن خاص ، وقد حضرت طريقة طهو بطة بكين فى أشهر مطعم مختص هناك فى هذه الاكلة من زمن طويل .

شانجهاى : جنة المغامرات :

هى مدينة كبيرة عدد سكانها ٨ ملايين وتاريخ حرب الأفيون هناك من ١٨٤٠ إلى ١٨٤٢ لاينسى ، وكذلك تاريخها الحافل بالكفاح ومازالت آثار الاستعمار باقية حتى اليوم ويوجد بها معرض دائم يصور مراحل هذا الكفاح ، . والمدينة صناعية هامة بها ٦٧٠٧ من المصانع وتنتج ٢٥ ٪ من منتجات الصين .

وعلمت فى إحدى الندوات أنه يوجد إلى جانب التقدم الصناعى والزراعى نهضة ثقافية فقزت إلى الأمام فعدد الطلبة فى ٢٢ معهداً عالياً فى شانجهاى نحو ٤٧,٠٠٠ منه ٢٧ ٪ من الطالبات وعدد المدارس المتوسطة ٣٢٦ تضم ٣٥٩,٠٠٠ من الطلبة ٣٨ ٪ منهم من الطالبات أما المدارس الابتدائية فيوجد منها ٢٧٨٣ مدرسة بها مليون و ١٨٢ تلميذاً ٤٧ ٪ منهم من البنات كما توجد مدارس لوقت الفراغ ، وملحق بكل مصنع مدرسة للتدريب وفى هذه المدراس نحو المليون ومنهم موظفون وعدد النساء بها يصل إلى ٧٠ ٪ — تقريبا .

كانت هذه المعلومات ضمن محاضرة ألقتها إحدى أعضاء الاتحاد النسائى ووكيلة وزارة الشئون الاجتماعية فى الدور الحادى عشر فى فندق شينج كيانج Ching Kiang الجميل وكانت تتكلم عن المدينة بمنتهى الحماسة والوطنية .

قمنا بجولة فى المدينة والميناء ثم بزيارة حرم الزعيم (صان ياتسن) فى منزلها الذى كان قد تهدم عند غزو اليابان وسرقت منه المكتبة الخاصة بالزعيم المكافح وبعض مذكراته الوطنية،وفى سنة ١٩٤٥ أعيد ترميم الدار بعد التحرير وعادت إلى حالتها الأولى وتشغل السيدة جناحاً منها،أما باقى الدار فقد أصبح متحفاً يضم ملابس الزعيم الراحل وأدواته الطبية ومكتبته وقد قدمه الشعب هدية لشريكة حياته التى مازالت تقيم فيه .

وكان استقبالها لنا حاراً وأخذت تتبادل معنا المجاملات الشرقية وترحب بنا كوفد مصرى من بلاد تربطها بها حضارة وصداقة قديمة ثم تبادلنا الهدايا الرمزية بعد تناول المرطبات الصينية معها وودعتنا بنفس الحرارة التى استقبلتنا بها .

مركز التسلية والترفيه :

المركز يتألف من مبنى كبير، جزء منه يقع فى الهواء الطلق وبه سينما ومسرح يعرض فيه أوبرات محلية وغرفة بها المرايا المضحكة ومسرح آخر تعرض فيه برامج مختلفة من تمثيليات وتابلوهات حية ... الخ، والمركز يجمع بين الثقافة والرياضة والملاهى والاشتراك فيه زهيد .

ولقد أطلقوا على هذا المركز اسم (العالم العظيم) لأنه يجمع بجانب الثقافة والتسلية الفنون الجميلة بأنواعها، إذ أنه يعطى الفرصة لكل مشترك لإشباع هوايته من رياضة أو فن مع التسلية والمرح .

وقد لاحظت حفاوة الشعب الصينى بالزوار الأجانب فمن الباب الخارجى للمسرح يرحب بهم القائمون على العمل فيه ويرشدونهم إلى الطريق فى هذا (العالم العظيم)، وعندما وصلنا إلى المسرح وكان فى بدء عرض التمثيلية، كانت الصالة غاصة بالنظارة وليس بها مكان خال، ولكن سرعان ماقدمت إلينا المقاعد ووضعت لنا أمام الصف الأول وكم كان جميلا من الممثلين أن يظهروا على المسرح فى أثناء الاستراحة لتحيتنا .

قصر الطلائع :

بدأنا فى اليوم الثانى من زيارتنا لشانجهاى بزيارة هذا القصر الفاخر الذى يقع فى أرقى أحياء المدينة، وتحيط به حديقة غناء، وقد كان منذ ثلاثين سنة ملكاً لتاجر إنجليزى، ووجدنا فى استقبالنا عدداً من الطلبة والطالبات، لاتتجاوز أعمارهم السادسة عشرة يرتدون زياً خاصاً فالبنات بجونلات وبلوزات

موحدة من لونين والأولاد يرتدون بنطلونات طويلة وجاكتات قصيرة بأزرار مذهبة وفوق صدورهم شارة ترمز إلى التفوق أو المادة التى امتازوا فيها، وكانت طريقة استقبالهم لنا وترحيبهم بنا رائعة جميلة .

وقد رافقنا هؤلاء الطلبة والطالبات مع بعض القائمين على شئون المعهد فى جولة لمشاهدة مختلف أقسام المعهد ؛ وقد علمنا أن حوالى ٢٠٠٠ تلميذ يحضرون يومياً للتمرين والدراسة فى مختلف الفروع كل على حسب مؤهلاته وميوله سواء كانت رياضية أو فنية أو عمليه . . الخ ويقوم بإلقاء المحاضرات على التلاميذ نخبة من الأساتذة الممتازين والعائدين من الخارج لتزويدهم بآخر ما وصلت إليه الدول من تقدم أو نهضة فى مختلف الميادين .

وفى البهو الكبير الذى يتوسط القصر وجدنا حوالى ٦٠٠ تلميذ يستمعون فى هدوء واهتمام لمحاضرة أحد العمال الذى اخترع نوعا من الفاز (الزهريات)

وبعد انتهاء مدة الدراسة المحددة يعود التلاميذ إلى مدارسهم كرواد أو مندوبين لباقى زملائهم. وقد دهشت وسررت من ذكاء التلميذ الذى رافقنى وزودنى بهذه المعلومات فى جولتى ، وقد انتهت زيارتنا بنفس الحفاوة التى قوبلنا بها .

١٩٥٨/١٠/١٩ :

وعندما علمت مرافقتى بأنى مسلمة ذهبت معى وصلينا الجمعة مع بعض الزميلات فى مسجد شوفينان واستقبلنا إمام الجامع السيد محمد خضر الذى علمت منه أنه يوجد فى شانجهاى نحو ٣٣,٩٠٠ مسلم وعدد السكان ٧ ملايين نسمة .

وقد أهديت الإمام نسخة من القرآن الكريم، فسر بها جداً .

كيف تخلصت الصين من الرواسب الاجتماعية :

كان من ضمن برنامج الرحلة زيارة قرية Tso yung وهى قرية نموذجية أنشئت سنة١٩٥١بعد التحرير (سنة ١٩٥٠) وانتقل إليها السكان الذين يربو عددهم على ٣٠,٠٠٠ نسمة وسوف تستوعب بعد الانتهاء من بعض المبانى حوالى٩٠,٠٠٠نسمة وقد روعى فى الإسكان أولوية الحاجة، إذ أن عدداً كبيراً منهم كان يعيش فى العراء وفى قوارب خشبية ، وعهد إلى لجان خاصة مكونة من بعض السكان فى تقرير الحاجة لكل طالب سكن كما روعى فى تخطيط هذه القرية النموذجية إنشاء خمس مدارس إعدادية وخمس دور للحضانة وأربعة أسواق للخضر وعيادات خارجية للعلاج ومكتب بريد وبنك وناد للرياضة ودار كتب وحديقة عامة ومستشفى كامل المعدات وسبعة مكاتب للتليفونات العمومية وحمامات ومحطات لبيع الماء المغلى للشرب . ومما يبعث على العجب أن الأمية قد انمحت فى هذه القرية بفضل دقة هذا التخطيط ، وأصبح كل السكان يعرفون القراءة والكتابة اللهم إلاعددا قليلا منهم لايزيد على ١٨٠٠ نسمة وهم طائفة العجزة والمرضى من الطاعنين فى السن .

كما تكونت لجان من السكان للإشراف على الصيانة والنظافة . وقد أنشئ مطعم للمأكولات الجاهزة لمن لا يستطيع طهو الطعام فى منزله من أسر العمال وبعضهم يأكل طول الأسبوع عدا يوم الأحد فإنهم يتناولون الطعام مع أسرهم فى المنزل .

ثم ذهبنا إلى قاعة الاستقبال (على حسب خطة البرنامج) لتناول المرطبات بعد جولتنا فى القرية النموذجية وكانت تصحبنا السيدة تسو مديرة إدارة المدينة بدار بلدية شانج هاى وقد شاء خلقها الكريم أن تزودنا بمعلومات عن البيئة الصينية قبل وبعدالاحتلال ،وتركت الأرقام تتكلم — وما أعظم لغةالأرقام — قالت السيدة تسو : «كانت شانج هاى محتلة لوقت طويل مما خلف لها مشكلات اجتماعية خطيرة كالسرقة والقمار والبغاء وإدمان الأفيون ... الخ حتى لقد خصصت

بيوت للبغاء الرسمى بلغ عددها ٨٠٠ تضم نحو ٤٠٠٠ من النساء المرخصات وكان اللصوص موزعين على الأحياء فبعضهم متخصص فى سرقة الموانى وبعضهم للمحال العامة وآخرون فى محطات القطارات وكل رئيس فى هذه الأحياء يتبع المدير العام الذى يقوم بتوزيع المسروقات والغنائم .

أما عدد محترفات البغاء فقد كان ثلاثين ألفا غير مرخصات وكان ذلك فى أوائل عهد التحرير حسب الإحصاءات الرسمية .

أما عدد اللصوص والبلطجية فكان ١٣٠,٠٠٠ .

تنبهت حكومة التحرير الصينية إلىهذه الرواسب الاجتماعية فقامت بثورة على هذه الأوضاع العفنة الفاسدة التى خلفها الاحتلالالبريطانى والفرنسى وأخذت سبيلها إلى العلاج الفورى فأغلقت دور البغاء بالضرب على أيدى المجرمين العابثين، ثم أقامتالمصانع والملاجئ والمستشفيات وشكلت لجاناً متخصصة لبحث ودرس حالة كل فئة وتوجيهها للعمل فى المكان الذى تصلح له التماساً للكسب الشريف ، أما المرضى منهم فكانوا يلقون العناية التامة بالمستشفيات ثم يدربون علىالعمل الذى يتناسب مع حالة كل فرد منهم صحياً وعقلياً .

وهكذا استطاعت الصين الحديثة التخلص من تلك الوصمات الاجتماعية بفضل نشر الوعى بين السكان .

وكانت محدثتى عن هذه الثورة الاجتماعية هى إحدى رائدات هذه الحركة .

زيارة مدير مكتب السياحة فى شانجهاى :

مصلحة السياحة يضمها مبنى فخم كبير ولكنه قديم ويوجد المدخل الكبير بضع نوافذ لحجز التذاكر والاستعلامات والطرود وجدرانه مزينة ببعض الملصقات والمطبوعات السياحية لمختلف بلاد الصين، وكان المدير

فى انتظارى مع المرافقة فتبادلنا التحية وعبارات المجاملة ثم تحدثنا عن تاريخ الصين القديم والحديث ثم قال إن فى مصر من الجمال والآثار مايترك أحسن الأثر فى نفس السائح ، وقال إنه مع نمو العلاقات والصداقة سوف يعمل المكتب على تنظيم رحلات سياحية لمصر مع تبادل السياح .

أما عن تنشيط السياحة الداخلية فى الصين فقد ذكر أن أول خطوة قامت بها مصلحة الطيران والسكك الحديدية هى تخفيض ٤٠٪ من الأجور داخل البلاد الصينية وعندئذ سألته : «هل هذا يرجع إلى جهود مصلحة السياحة وحدها» ، فقال : « لا إن الفضل فى ذلك يعود إلى التعاون بين جميع الهيئات المعنية بالسياحة » .

وهذا نموذج لما ينبغى أن تقوم به الهيئات المعنية بالسياحة عندنا ، ثم قال إن الصين الشعبية ترحب بالزائرين وتعمل على كل ما يحفزهم إلى زيارة الصين ثم أهدى إلى شارة المصلحة وهى موشاة بالميناء وأظهر اغتباطه بزيارتى له التى لم يكن يتوقعها .

ولست أغالى إذا قلت إننى كنت أول زائرة لهذا المكتب كمندوبة سياحة خارجية ، فقدمت إليه بدورى بعض الصور السياحية والمطبوعات التى تحمل اسم مصلحتنا ، ثم اصطحبنى بعد ذلك لزيارة المتحف الأهلى القريب من المكتب فوجدت به بعض الأوانى من الصينى والفخار وهى قريبة الشبه بالأوانى المصنوعة فى مصر .

ثم ذهبنا إلى قسم الورق المقصوص على شكل أزهار وشخصيات ، ويعتبر هذا الفن من الفنون الدقيقة هناك ، فشكرته وعدت إلى الفندق لأسجل انطباعاتى .

مديرة مصنع الأقلام (البطل) :

تكلمت السيدة مديرة المصنع عن تاريخ المصنع وازدهاره ومراعاته للوفرة والجودة وزيادة الإنتاج وكيف أن العمال أقسموا على أن يصلوا بالقلم

الصينى إلى مستوى الباركر فى خلال ٢٤ يوماً وكانت هى لا تصدق، ولكن الحقائق أثبتت أن القلم الصينى قد زاحم القلم الباركر فعلا ولمست المنافسة الشديدة بين البطل الصينى والباركر الأمريكى .

ودعنا البطل ومصنعه وذهبنا لزيارة مصنع الجاد، فى القاعة الرئيسية على المائدة الكبيرة وجدنا مجموعة من الجاد والمرجان فى تماثيل بديعة من سن الفيل والجاد بألوانه المختلفة من الأخضر إلى الوردى، وفى فناء المبنى توجد كميات من الأحجار الخام بالألوان الطبيعية من أخضر داكن إلى أزرق زاه ... الخ وتمر هذه الأحجار على مراحل فى المصنع حتى تتطور وتأخذ أشكالا متعددة فتصنع منها اللعب الصغيرة والتماثيل والزهريات ... الخ، والعمال يؤدون عملهم فى منتهى الدقة والكفاءة ويعملون بالساعات وهم ذوو خبرة فى هذا الفن، وقد صنع فى معبد تمثال بوذا بالحجم الطبيعى من حجر الجاد يصوره جالساً وآخر نائماً وكانت رائحة البخور الزكية تنطلق من مبخرة أمام التمثال .

هانشو جنة الأرض فى الصين :

كانت هانشو تتزعم قائمة الزيارات فى البرنامج الذى وضع للمجموعة لأنها فى اعتبار أهل الصين من أجمل المدن السياحية وهى تحمل اسم الجنة منذ آلاف السنين وعندما وصلنا بالقطار بعد أربع ساعات من شانجهاى إلى محطة هانشو لم نتبين جمال الطبيعة حيث كان الوقت مساء فركبنا الأتوبيس إلى الفندق الذى حجز لنا فيه الاتحاد النسائى غرفاً لإقامتنا . وبرغم ظلام الليل فقد بهرنا موقع الفندق المطل على البحيرة مباشرة والأنوار تنعكس على صفحة الماء، هذا إلى هدوء المكان وسكونه .

وقالت السيدة المرافقة : «إن هانشو تشتهر بهذه البحيرة التى تبلغ مساحتها نحو ثلاثة كيلو مترات من الشمال إلى الجنوب ونحو كيلومترين ونصف من الشرق إلى الغرب ومحيطها خمسة عشر كيلو متراً وطريق سومباى يقسم البحيرة

إلى ثلاثة أجزاء، الخارجية والداخلية والخلفية وأجملها فى نظرى هو البحيرة الخارجية ففيها البرج الذى يعكس نور القمر على البحيرة وتحكى عنها معظم الاساطير القديمة .

كان الجو جميلا معتدلا فخرجت إلى شرفة الفندق الكبيرة المطلة على البحيرة ولولا متاعب السفر وطول مشقته لما فكرت فى النوم، وقد فوجئت بدخول السيدة المرافقة إلى الشرفة واستفسرت منى عن سبب استيقاظى إلى هذه اللحظةفأجبتها بأنى أشهدجمال الطبيعةفقالت: «وأنا كذلك»، ثم طلبت منى أن أرافقها إلى خارج الفندق لتحدثنى عن هذه المشاهد الرائعة . — واستطردت فى الحديث قائلة : « إن الذى شق هذا الطريق الذى يقسم البحيرة الخالدة والذىجددها وزينها بالأشجار وجعل الشعراء والفنانين يتغنون بمناظرها هو مستر باى شوى الشاعر القديم الذى كان الحاكم الإقليمى لها نشو .» ثم قادتنى إلى حديقة الدكتور صان ياتسن San Yat Sen وهى تقع على مقربة من أول الطريق الشاعرى الذى يقع فيه الفندق .

وعلى مسافة قريبة من الحديقة تناثرت الاكواخ الصغيرة ثم بقايا قصر قديم كان يستخدمه أباطرة أسرة شنج كاستراحةفىأثناء أسفارهم ونزهاتهم وقد أصبح بعد ثورة سنة ١٩١١ أطلالا عفى عليها الدهر، وبجانب القصر نصب تذكارى يرمز لانتصار جيش نانكين فى نفس السنة .

وفى أثناء تجوالنا نظرنا إلى الساعة فرأينا أن الوقت قد تأخر فعدنا إلى الفندق . وفى صباح اليوم التالى لزيارة هانشو خرجت مجموعتنا من الفندق إلى نزهة بالزوارق الصغيرة التى تسير فى البحيرة وهى تختلف فى حجمها وهيكلها عن الجندول فى فينسيا . وكانت هذه الزوارق مجهزة بأربعة مقاعد تتوسطها منضدة صغيرة عليها ترموس شاى كبير مع الأكواب بالأغطية التقليدية، ثم قصدنا إلى الابراج الثلاثة التى تتوسط البحيرة وهى تشبهزجاجات (الفياسكو) وهى تعكس ضوء القمر على سطح البحيرة وتقع فى أعمق مكان منها .

ثم سرنا فى طريقى سوكوزواى وباى كوزواى وتتجلى شاعرية وخيال أهل هانشو فى إطلاق التشبيه الآتى على كل ما هو جميل رائع فيقولون مثلا : « إن هذا الشئ يشبه فى روعته و جماله فجر الربيع على طريق سوكوزواى أو ضوء قمر الخريف على طريق باى كوزواى » .

جبل اكسير الحياة :

فى غرب الحديقة الكبيرة وعلى سفح الجبل تقع المصحة الخاصة باتحاد البحرية التجارية الصينية وقيل إنه حدث فى القرن الرابع أن كان الكيمائى (كى هونج) يقوم بتجارب كيمائية على أنواع الأدوية للبحث وراء إكسير الحياة فسمى الجبل بعد ذلك باسمه ، وهناك معبد البطولة والإخلاص نسبة إلى (البطل هيوفاى) من أسرة سنج ١١٠٣ — ١١٤١ وهو الرجل الذى دافع عن الصين وقهر الأعداء فى عدة مواقع إلى أن دبرت مؤامرة لاغتياله من بعض الخونة ودفن فى حديقة المعبد مع ابنه ، وأمام المقبرة أقيم تمثالان من البرونز يرمزان إلى الخائنين الذين اغتالاه ، وهذا هو أول عمل من نوعه رأيته فى بلاد الصين أو أى بلاد أخرى لأنه يعطى الشعب فكرة عن عظمة البطولة وخسة ودناءة الخيانة .

ثم تابعت رحلتى مع زميلاتى واثنتين من المرافقات إلى نافورة هانشوه وهى نبع طبيعى يقع وسط (باجورا) صغيرة وتسبح فيه أسماك ملونة وعلى مقربة من المدخل لافتة كتب عليها (مملكة السمك السعيد) ، وبالقرب من البحيرة الصغيرة وأسماكها السعيدة أقيم معبد صغير خلفه نبع طبيعى أطلق عليه اسم (نافورة اللؤلؤ) وسمى بذلك إشارة إلى الطريقة الغريبة التى يخرج منها الماء على شكل فقاقيع تشبه حبات اللؤلؤ فى صفائها .

وكم كنا نود البقاء لمشاهدة جمال الأسماك والنافورات ، ولكن كان أمامنا الكثير من المناظر كالمغارات ، والكهوف القائمة وسط الجبال الخضراء الجميلة والتى لا تمل العين رؤيتها .

وقفت عند كهف يعرف باسم (الطريق الموصل للسماء) وعندما دخلنا هذا الكهف الممتد داخل الجبل وجدنا فتحة صغيرة فى سقفه ينفذ منها شعاع رفيع من النور ولهذا سمى الكهف بهذا الاسم .

وبعد هذا صعدنا إلى الجبل نفسه لمشاهدة (بافيليون) أى جوسق أقيم كتذكار لإحياء ذكرى نفس البطل (هيوفاى) فى منتصف المسافة بين قمة الجبل وسفحه .

ثم أمضينا يوماً كاملا فى الصعود إلى الجبال وزيارة المعابد القديمة ، والنافورات وينابيع المياه المعدنية ومن أهمها عين (نبع النمر) ويقال إنه حدث فى الماضى السحيق أن أحد النمور عطش عطشاً شديداً دفعه إلى حفر حفرة فى أحد الكهوف لعله يصل إلى الماء الذى يروى ظمأه فتفجرت منه هذه العين التى روت ظمأه فأطلق عليها من ذلك الحين (عين النمر) .

وهذه العين غنية بالمعادن التى اختلطت بها المياه فجعلتها صافية رقراقة وأكثر رواد هانشو يفضلون صنع الشاى من مياه هذه العين . وبجانب هذه العين معبد وباجودا تضم قبر الراهب (شى كونج) ولا يوجد بلد أغنى من هانشو فى جمال الطبيعة ولا فى مجموعة الباجودا والمعابد الفريدة الرائعة فى بطون الجبال .

الباجودا ذات سبعة الألحان :

تقع الباجودا فوق جبل يخيل إليك وأنت تنظر إليها من الخارج أنها تضم ١٣ طابقا ، ولكن السلالم الحلزونية من الداخل توصل إلى ٧ أدوار فقط . والألحان السبعة ترمز إلى قوانين البوذية وهى : الجسم — والكلام — والفكر والاقراء — العقيدة — الغنى — التحكم فى الرغبات .

وفى الدور العلوى ونحن نستمع إلى تاريخ المعبد كانت البحيرة بأجزائها على مرمى البصر فسبحان الخلاق العظيم ! ! وعلى رأى زميلاتنا السوريات . « يالطيف على الجمال ! » .

وكنت أود أن أسجل انطباعاتى على كل ما وقعت عليه العين ، ولكن الوقت كان ضيقاً ومحدوداً لم يسعفنى فى تحقيق هذه الأمنية .

وعندما هبطنا من الجبل مررنا بمزارع الشاى بجانب (بئر التنين) وهناك كان منظر المياه وهى تنحدر من كل مكان فى الجبل وأحراج البامبو التى تحتضن طريقا طوله نحو كيلو متر وأشجار البامبو على الجانبين تحجب عنه أشعة الشمس ، ومن العجيب أنه حتى فى هذه المنطقة أقيم معبدان أثريان وتخيل إلى أنى تائهة بين هذا التراث الخالد والمناظر الخلابة .

وفى نهاية هذا اليوم الحافل بالزيارات عدنا إلى الفندق وألسنتنا تسبح بذكر الله وصنعه الذى أتقن كل شىء والذى يسر لى القيام بهذه الرحلات الممتعة الحافلة بالعجائب والطرائف من حضارات قديمة وعادات وتقاليد غريبة .

زيارة مصنع الحرير الطبيعى والقطيفة :

كانت مديرة المصنع هى إحدى العاملات فيه وقد بدأ بآلة غزل يدوى واحدة وبعد فترة من الزمن لا تتجاوز ٣٦ سنة أصبح عدد المغازل ٣٥ عدا الماكينات ، وبلغ عدد العمال ١٨٠٠ عامل ، وينقسم المصنع أقساماً أحدها للتصوير وآخر للرسم وآخر للتكبير ثم نقل الرسم بالتخريم على القماش ثم التحضير وأخيراً النسيج ، ومن منتجات المصنع الحديث حقائب اليد للسيدات والمناديل والإيشاربات والكرفتات . . . الخ .

وكانت المجموعة المعروضة فى مكتب المديرة نماذج لإنتاج المصنع وهى آية فى الدقة والجمال الفنى خصوصاً المناظر الطبيعية والألوان الزاهية المنقوشة على المفارش المتعددة الأحجام .

وقد ألحق بالمصنع مستشفى ومكتب للإدارة ونادرياضى .

وأهم مالفت نظرنا أن هذا المصنع يمنح العاملة أجازة وضع لمدة شهرين بمرتب كامل مع مراعاة نوع العمل فى أثناء الحمل .

مصحة العلاج الطبيعى فى الجنة :

يقع المبنى الناصع البياض ذو الطابقين والشرفة العريضة و الحديقة المدرجة الجميلة على ربوة متوسطة الارتفاع تطل على الجنة

كانت فى استقبالنا مديرة المصحة وهى سيدة مهذبة تشرف على الدار من الناحية الإدارية ومعها مشرفات اجتماعيات إلى جانب عدد من الأطباء الاكفاء فى الأمراض الباطنية كضغط الدم الالتهاب الرئوى والروماتزم .. الخ ، وعلمنا منها أن طريقة العلاج فى المستشفى تختلف عنها فى المستشفيات فهى تقوم بالعلاج بواسطة الكهرباء وأشعة إكس ، ويوجد قسم للأمراض النفسية ويعتمد العلاج فيها على الطب الطبيعى كالرياضة البدنية والعقلية التسلية . . الخ .

وينظم المستشفى رحلات أسبوعية فى الخارج كما تقام حفلات موسيقية يجمع كل النزلاء ، ومدة العلاج شهر قابلة للتجديد ويدفع المريض ٢٠٪ من المصروفات فقط وتدفع الباقى نقابة العمال . أما الأدوية فعلى حساب المصانع وقد حرصنا على زيارة كل أقسام الدار ثم جلسنا فى الشرفة نستمع إلى موسيقى خفيفة وأمامنا بانوراما رائعة ، وما أجمل وماأبدع منظر غروب الشمس على البحيرة الغنية بالحدائق والأشكال المختلفة .

عدت إلى الفندق عند غروب الشمس وكان مدير مكتب السياحة انتظارى وقد علمت منه أن المكتب ينظم رحلات لزوار هانشو الذين يحضرون عادة للراحة والاستجمام ، وقال إنه يوجد إلى جانب هذه الرحلات السياحية زوار يفدون إلى هانشو للمعاملات التجارية والاطلاع على ماتنتجه المصانع ، كما توجد فى هانشو معاهد زراعية ومصانع للحرير الطبيعى والقطيفة وهذه الأماكن تحمل الرواد على زيارة هانشو ، كما أخبرنى أنه يوجد بها ست جامعات ومعاهد للمعلمين والمعلمات ، وقال إن المكتب يتبع بكين فى الإدارة وهى التى يتصل بها السائح عند وصوله لأرض الصين ثم يتصل مكتب بكين بالجهات التى سوف يقصدها الزائر لتتولى إرشاده .

سألته عن طريقة الدعاية عندهم فأجاب بأن أهمها المطبوعات لمعرفة البلد ومنها الخاص بكل منطقة على حدة . ويوجد قسم للترجمة ملحق بالمكتب فيه من يجيد الإنجليزية والفرنسية، وعندما سألته عن اللغة العربية أجاب بأنهم فى صدد تدريب بعض الموظفين على تعلمها وأنهم عند الحاجة يستعينون بطلبة الجامعات لمرافقة الزوار ، ثم أهدانى صوراً جميلة للفندق من الداخل والخارج وبعض المطبوعات عن هانشو فشكرته، وانتهت المقابلة على أن نعمل على توطيد العلاقات وتبادل الزيارات بين البلدين وقد أشاد فى حديثه ببورسعيد الباسلة .

اذاعة القطـار :

عندما تحرك القطار من هانشو فى طريقنا إلى بكين سمعت كلمات التحية والترحاب بالركاب ، وأخذت أتساءل وأنظر يميناً ويساراً لعلى أجد راديو ترانزيستور أو أى شئ من هذا القبيل ، فلم أجد شيئاً ، ثم توقف الصوت الرقيق الذى كان يتحدث وتاه فى مناقشاتنا وتعليقاتنا عن وداع أعضاء الاتحاد النسائى الحار لنا وحفاوتهن وتكريمهن لنا . وبعد فترة قصيرة سمعت الصوت من جديد يصف المنطقة التى يمر بها القطار والمحطة التى كان على وشك الوصول إليها .

سألت (مس لى) المرافقة للوفد عن مصدر هذا الحديث . . فقالت : « إنها مذيعة تتحدث من محطة إذاعة فى القطار الذى نستقله ، هل تريدين أن تزورى هذه المحطة ؟ » . . فرحبت بذلك طبعاً .

قمنا بالمرور على عربة بعد عربة حتى وصلنا فى النهاية إلى غرفة أو ديوان صغير به جهاز كبير هو راديو وجهاز إرسال ومكبر صوت وجرامافون لإذاعة الأسطوانات الموسيقية ، كما يوجد به سرير مرتفع تحته مقعد تجلس عليه آنسة فى ربيع العمر ، وعندما سألتها بعد التحية عن عملها قالت : « أنا تخرجت من مدرسة السكة الحديدية المتوسطة وهى خاصة بأولاد موظفى المصلحة

وأعمل فى محطة الإذاعة المتنقلة منذ سنوات »، ثم قالت « أنا أعمل ثلاثة أيام فى القطار وثلاثة أيام فى بلدى هاتشو وفى هذه الأيام الثلاثة أستجمع معلومات وأعمل فى الحقل مع أولاد بلدى يوماً ، ويوماً آخر فى المصنع حتى أكون على علم بكل ما يجرى فى هذه المناطق ، ثم إنك لاشك تعلمين طول المسافة بين بكين وهانشو فأنا أعمل على تقصيرها بالنسبة للركاب المواطنين ثم أقوم بشرح معالم البلاد للأجانب لتعريفهم بالمناطق الهامة ومنتجاتها وما تشتهر به حتى يجد كل زائر ما يريد معرفته عن كل بلد ، فالزارع مثلا يرغب فى زيارة مزرعة نموذجية وآخر ينشد زيارة المصنع وهكذا » . . فقلت لها : « وكيف تقومين بتسلية أهل البلد ؟ » . قالت : « أذيع بعض القطع الموسيقية ومن خلالها أوجه نظر الركاب إلى المحافظة على نظافة القطار وخصوصاً (دورة المياه) ،ثم أذيع عليهم نشرة الأخبار المحلية وبعض الأخبار ذات الأهمية من الخارج ثم بعض الفكاهات والفوازير والقصص القصيرة ثم أنبه الركاب إلى اقتراب المحطة التى سينزلون بها فربما كان من المسافرين المواطنين ولكنه يسافر لأول مرة ... وأنا أعشق عملى هذا إلى أقصى حد » . ومن عجب أنى رأيت المذيعة تتكلم بحماس وثقة فشكرتها وعدت إلى الصالون وأنا أذكر بهذه المناسبة حادثاً معيناً فى قطار أسوان ، فقطار الليل يقوم من القاهرة فى الساعة الثامنة مساء ويصل الأقصر فى الساعة السابعة صباحا ثم يستأنف السفر إلى أسوان فوجدت بعض السياح يتساءلون عن اسم المحطة التى وقف عليها القطار — وكانت محطة الأقصر — الذى كان على وشك القيام وكان هدفهم محطة الأقصر طبعا ! !

بكين :

بعد ذلك قمنا بزيارة قصور الإمبراطور وغرفها تعد بالآلاف وقد قام بتنفيذ بنائها أحد عشر مهندساً واستغرق البناء ثلاث سنوات وعمل فيه أكثر من ٢٠٠,٠٠٠ عامل ثم زرنا معبد السماء وحديقة السلام ، والواقع أن مدينة بكين غنية بالمتاحف والقصور والحدائق .

مرصد بكين :

وقد لفت نظرى مبنى دائرى كبير شبيه بمسرح البالون فى القاهرة يقع فى أحد ميادين المدينة العظيمة . ولم يكن ضمن برنامج الزيارات الذى وضع لنا ، وكنت فى فترة الفراغ أو حرية الانتقال فرجوت السيدة المرافقة أن نقضى به بعض الوقت فذهبنا إليه ووجدنا صالة عرض كبيرة تحتوى على مجموعة أجهزة فلكية وتليسكوب وآلات دقيقة وساعات زمنية . وفى أثناء مشاهداتى لهذه المعروضات تركتنى الآنسة المرافقة وذهبت تسأل أحد القائمين على شئون العمل هناك عن شئ وعندما عادت وجدتها تبتسم وتقول : «يظهر أنك راغبة حقا فى مشاهدة هذا المرصد » ، فقلت لها : « طبعا لماذا ؟ » . . قالت « هناك فترة الشرح الثانية بعد عشر دقائق ويوجد أماكن إذا أردت » فسررت بذلك وأخذنا أماكننا فى البهو المستدير وأول ما استرعى نظرى التابلوهات المعروضة على الحوائط المستديرة والتى تصور مدينة بكين بمبانيها الكبيرة وأشهر معالمها ،أما طريقة الإضاءة فهى فى غاية الدقة والمهارة .

ثم بدأ الشرح ابتداء من شروق الشمس إلى غروبها وقضينا نحو الساعة بين الكواكب والأبراج والسماء بنجومها وكأننا نعيش فعلا فى هذه الجولة بين الشمس والقمر والكسوف والخسوف وكانت محاضرة شائقة فى عالم الفلك مبسطة يستطيع أن يهضمها المرء حتى لو كان محدود الثقافة . .

وينتهى العرض بتحية لطيفة من المذيعة . وقد علمت أن هذا المرصد يقوم بهذا العرض ثلاث مرات يوميا حتى يعطى الفرصة لكل الزوار سواء من الأجانب أو المواطنين للاستمتاع وتنمية المعلومات ولم نسمع حتى الهمس فى أثناء هذا العرض القيم العظيم .

زيارة مكتبة بكين العامة :

استقبلنى مدير المكتبة فى صالون أنيق ورحب بى باسم المكتبة وموظفيها كزميلة وأمينة سابقة لإحدى المكتبات وبدأ يقص على تاريخ المكتبة قبل أن

أسأل قائلا : « تأسست هذه المكتبة بواسطة وزارة التربية فى عهد أسرة تشن سنة ١٩٠٢ ، وعندما تحررت البلاد سنة١٩٣١ اتسع المبنى وبدأ بمليون كتاب ومائة موظف أما الآن فتضم المكتبة ٥ ملايين مجلد ومائة ألف ونحو ٤٠٠ موظف ولها فروع فى كل بلاد الصين وبها مجموعات خاصة من مختلف الهيئات ومن البلاد الأخرى بطريقة التبادل ، ويوجد هنا مجموعة خرائط قديمة وقيمة . وبعد زيارة أقسام المكتبة والاطلاع على المخطوطات القديمة علمت أن المبنى كان اسطبلا لخيول الإمبراطور .

وقد وجدت بعض الكتب العربية منها : تقرير رقم ١ عن مرض الملاريا من سنة ١٩١٩ إلى ١٩٣٠ وقصة رد قلبى ليوسف السباعى ، والذئاب الجائعة لمحمود البدوى — قاموس المنجد — مفتاح العلوم . . الخ وكتب فى الفلسفة ونسخة من القرآن الكريم والتفسير .

ولما سألت أحد الأمناء عن السر فى عدم وجود كتب عربية إلا هذا النزر اليسير منها فى هذه المكتبة الكبيرة قال : « إنه يرجع إلى عدم وجود من يعرف اللغة العربية ، ولكن يوجد الآن عدد لابأس به من الطلبة يدرسون العربية فى الجامعة وقد اتصلت مكتبة الجامعة بالسفارة المصرية فى بكين وتبادلت بعض المطبوعات مع دار الكتب بالقاهرة »

وإننى أرجو بهذه المناسبة أن تتسع حركة التبادل الثقافى بيننا وبين الصين .

وقد وجدت فى أثناء مرورى فى قسم المخطوطات القديمة كتباً هى لفافات من نوع يشبه ورق البردى عثر عليها فى المقابر ولم تتأثر بمرور الزمن كما شهدت بعض الكتابة القديمة على ظهور سلحفاة ، وهى موضوعة فى خزانات صغيرة ، وهناك دائرة معارف تحوى تفسيراً لبعض المقطوعات من الشعر الصينى القديم .

ويوجد قسم لتجديد الكتب القديمة بطريقة كيماوية بواسطة مساحيق وتستغرق هذه العملية وقتاً طويلا ولكنها فى النهاية ناجحة .

وفى المعرض الصناعى :

قضيت فى هذا المعرض ساعتين مع إحدى أعضاء الاتحاد وهو يقع فى مبنى حديث يطلق عليه المبنى السوفيتى ، وهو فى غاية الفخامة ومقسم إلى أبهاء كبيرة فى كل منها خريطة مفصلة توضح مدى اتساع الصناعات المعروفة فى كل بلد من بلاد الصين ،ويحوى عدداً من نماذج المصانع . وقد استرعى نظرى كثرة عدد الطلبة والطالبات الذين يشرفون على هذه النماذج التى يتولون شرحها ولا يزيد أعمارهم عن الثامنة عشرة ،ثم وقفنا أمام قسم الصناعات الطبية وسألت الطالب الذى كان يشرح لأحد الزائرين جهازاً حديثاً لعلاج مرض السل عن كيفية استعماله ،سألته (الآنسه تاى) : « كم سنك وهل أنت طالب ؟ »

أجاب : « نعم أنا طالب أذهب إلى المدرسة صباحاً وعمرى ١٣ سنة وأنا أعمل هنا متطوعاً بعد الظهر وهذا لا يتعارض مع فترة الدراسة » .

قلت « إنك تقوم بشرح هذا الجهاز الطبى فهل ستدرس الطب مثلا ؟

أجاب المرشد الصغير : « لا أعلم بعد ولكنى أحصل على معلومات عامة لأخدم بلادى مستغلا وقت فراغى » .

وفى صالة أخرى وجدت طالبة عمرها ١٥ سنة كانت تضع على صدرها شارة الطلائع تقف بجانب نموذج لمنجم كبير خارج بكين . وكانت تدير جهازا كهربائياً يصور العمل فى المنجم تقوم بشرح أهميته وكيف أنه أمن العمال الذين شيدت لهم منازل قريبة من المنجم ومستشفى ودار حضانة ومكتبة وناد .. الخ ، وكانت تتحدث عن كل هذا بلغة الأرقام والإحصاءات .

وقد لاحظت أن الكل يعمل فى نشاط وهمة و شعور بالواجب . فقبل أن تسأل تجد المكلف بالشرح يبدأ بالتحية ثم الشرح ، وقبل انتهاء الموعد المحدد للزيارة رأيت المشرفين على البهو يقومون بتنظيف وترتيب المعروضات حتى تظهر فى اليوم التالى كأنها تعرض للمرة الأولى .

ولم أر فى أثناء زيارتى لكل أقسام المعرض أوراقاً متناثرة أو أعقاب سجائر على الأرض أو علامة على الحائط أو على الأرض مع أن عدد الزوار كان كبيراً جداً .

وقد أدهشنى النشء الحديث المثقف بنشاطه وروحه الوطنية الوثابة وحرصه على وقته ، وهذا هو عنوان النهضة والتقدم فى أى شعب .

النادى الرياضى الأهلى فى بكين :

كان ملعب (الباسكيت بول) فى أحد أبهاء النادى الكبير وكان يلعب فيه فريق منغوليا مع فريق الصين فى أثناء زيارتى ، فحضرت المباراة إلى أن انتهت بفوز الصين ، ثم واصلت زيارتى للنادى فشهدت حمام سباحة طوله ٥٠ متراً وهو معد لإقامة المسابقات ثم حماماً أصغر بجانبه للتمرين ويتسع لألف متفرج فى المدرج الخاص به .

وقد نفذت إلى أنفى رائحة زكية عند دخولى باب المبنى الكبير تشبه الكافور وهو سائل لتنقية الجو وتطهيره وعندما سألت عن عدد من يتدربون

فيه قيل لى إن عدد من يؤمونه يومياً لا يقل عن الخمسمائة ، والفرق الأولى لا تدفع اشتراكاً أما الفرق المتوسطة والمبتدئة فإنها تدفع اشتراكاً رمزياً . وفى مدخل المبنى أقيم تمثالان بالحجم الطبيعى لبطلين من الأبطال « فتاة و فتى » .

أما خط الأتوبيس الموصل للنادى فيعتبر من أهم الخطوط ، وهو سريع ونظيف ومنتظم يقوم كل ثلاث دقائق والمحطة على بعد خطوات من النادى .

مشاهدات وتجارب المراة فى الصين :

يرجع عهد تحرر المرأة الصينية وتحررها من التقاليد القديمة إلى مايقرب من سبعين سنة تقريباً .

وكانت « تشيوتشن » الشاعرة أول من حمل لواء هذا التحرر حيث أخذت فى التمهيد للحركة الوطنية والنهوض بها منادية بمساواة المرأة بالرجل معبرة عن مبادئها بين الجموع بشعر حماسى كانت تنفذ معانيه إلى القلوب والافئدة ، ولم يكن هناك مفر من أن تواجه « مانشو » إلقاء القبض عليها وإيداعها السجن فى عام ١٩٠٧، ولكن بعد أن أنبتت بذور التحرر وحصلت المرأة الصينية على مساواتها بالرجل مساواة كاملة أصبحت تتمتع اليوم بـ ١٤٨ مقعداً فى البرلمان الصينى وهذه نسبة مرتفعة جداً إذا قورنت ببرلمانات العالم .

لقد نالت المرأة النصر بعد نضال عنيف واستردت حقوقها بعد أن كانت مسلوبة ، كانت تضرب وتهان فأصبحت تكرم وتصان ، استطاعت القضاء على المثل الصينى القديم « إن الزوجة التى تضرب تصبح كالعجينة اللينة» كان القانون يبيح ضربها فأصبح اليوم بفضل نضالها يحرمه ويحميها ، لقد حصلت المرأة الصينية منذ إنشاء الجمهورية الصينية الشعبية على جميع حقوقها .

تعقد المؤتمرات النسائية فى الصين بصفة منتظمة ويشترك فى كل مؤتمر ما لا يقل عن ١٣٠٠ امرأة يمثلن مختلف طبقات الشعب من العاملات والموظفات والفلاحات . . . الخ ، وبفضل انعقاد هذه المؤتمرات تمكنت ١١٣ مليون سيدة من العمل فى كافة الميادين مع الرجل جنباً إلى جنب .

فى الزراعة تشترك المرأة فى فلاحة الأرض وريها مستعملة الآلات الحديثة وتسهم مساهمة فعالة فى جميع الصناعات الثقيلة منها والخفيفة ، كما أنها قطعت شوطاً بعيداً فى التجارة والاقتصاد والفنون والخدمة الاجتماعية ، كما أنها انضمت للجيش ، فهناك سيدات حصلن على رتبة « قائد عام » .

ولم تهمل المرأة الصينية يوماً ما على الرغم من هذا التطور السريع ما توارثته من الأجيال الماضية من فن حياكة الملابس وخاصة شغل الإبرة (البرودرى) ذات الشهرة العالمية والتى لايضارعها أحد فيها .

وللمرأة الصينية التزامات أخرى تؤديها بنفس العناية وبحكم وضعها الطبيعى ، فهى أم مثالية وربة بيت تعتز ببيتها فتنظمه فى جدود إمكاناتها وتهتم كذلك بالطهو فتتحف أسرتها من آن لآخر بوجبة سمك أو أكلة من البط الصينى — وهى أفخم وجبة صينية — أو بالحلوى المفضلة « حساء الأناناس الساخن » .

وقد حدد القانون سن الزواج فجعله اليوم ، ١٨ سنة للفتاة و ٢٠ سنة للفتى ، ومن دلائل الرقى والتقدم فى هذه البلاد ازدهار صناعة وإنتاج الأفلام السينمائية التى انتشرت وحلت محل الأفلام الأمريكية التى كانت تعرض فى دور الدرجة الأولى بالرغم من الاضرار التى كانت تعود على البلاد منها بسبب الدعاية الرخيصة التى كانت تقوم بها . وقد وفق المهيمنون على السينما إلى تسجيل معظم قصص النضال وأدوار البطولة التى لعبتها المرأة فى الصين ولا سيما أثناء حروب العصابات الصينية ضد القوات اليابانية المحتلة وفنداك وإننا لنلمس فى هذه الأفلام قيمة المرأة الصينية وفضلها فى خدمة الوطن والذود عنه ، ولقد اشتركت النجمة السينمائية (مانج سانج) كعضو فى المؤتمر الآسيوى الأفريقى الذى عقد فى مصر أخيراً فكانت خير سفير لأمتها .

وكان من بين أعضاء هذا المؤتمر أيضاً الأديبة مسز « تشن » والتى رافقتها مع بقية أعضاء المؤتمر إلى الأقصر ، ولشدما أعجبنى فيها قوة ملاحظتها ودراستها للتاريخ المصرى القديم ، وقد برهنت على ذلك بالمقارنة بين مقابر ملوك الفراعنة فى وادى الملوك وبين المقابر القديمة فى الصين من حيث تسجيل حياة وتاريخ الملك صاحب المقبرة وانتصاراته وحروبه ، وقد نظمت قصائد عن كل بلد مصرى زارته وكل ما أعجبت به كالنيل وبورسعيد والأهرامات والأقصر .

وقد تجاذبنا الحديث عن أزياء المرأة الصينية فقالت إن لكل إقليم ملابسه الوطنية المميزة له ، فمثلا فى مقاطعة لاهيا يعتبر زى المرأة هناك من أجمل الأزياء الصينية فهى ترتدى روباً دون أكمام حتى القدم وجاكتة بأكمام طويلة من الحرير الأحمر تحت هذا الروب وتلف حول وسطها حزاماً عريضاً يظهر رشاقة جسمها بشكل واضح :

وقد يدهش القارئ إذا علم أن المرأة فى الصين هى التى تقوم بصناعة الأحذية من بقايا الأقمشة لها ولزوجها وأولادها ، كذلك تصنع الجاكتات القطنية المبطنة (الكابيتونيه) وتقضى ربة البيت وقت فراغها فى الحياكة بعد أعمال المنزل ، وأما العاملة الصينية فمشهود لها بالدقة والصبر والجلد .

فمثلا عندما افتتحت السفارة المصرية فى بكين ووصل معظم أثاثها فى حالة تستدعى الترميم ، تولت هذه المهمة (مسزينج) فأظهرت مهارة فائقة فى فن النجارة إذ أعادت كل شئ فى الأثاث إلى أصله .

والمرأة فى الصين تهوى الزينة بشكل واضح فهى مغرمة بارتداء عقود من الخرز الملون والأساور العريضة والملابس ذات الألوان الزاهية .

وتتميز ملابسها بفتحة فى الجونلة الضيقة الجنبين تصل إلى مافوق الركبة وبياقة منشية عالية مقفولة بشريط أو بروش ، وعادة تكون مطرزة وكذلك فتحات الجونلة .

والمرأة الصينية لاتستعمل المساحيق فى وجهها قط ولكنها تستعمل مزيجاً من الدهان أو الكريم للوقاية من الشمس والرياح ، أما شعرها الأسود الفاحم فتستعمل له نوعاً من الزيت النباتى لتقويته وزيادة لمعانه وتضع القليل جدا من أحمر الشفاه فى المناسبات .

الشرق الأقصى

كانت حقيبة السفر غير مغلقة فى أثناء إقامتى بالصين سواء فى القطارات أو فى الفنادق ، وكنا نترك أثمن ما عندنا فى غرف الفندق أو فى أى مكان ثم نجده فى مكانه كما تركناه ، وكنت قد اشتريت من مدينة شانغهاى أربعة فوانيس للزينة مصنوعة من الحرير المشغول وهى من الصناعات التى تشتهر بها الصين ، وفى طريق العودة نسيتها فى فندق كانتون وبعد يومين وفى فندق هونج كونج استلمت الصندوق الورق الذى يحوى المصابيح وكان اسمى وعنوانى مكتوبين عليه ، ولكن فى هونج كونج سمعت عن الأيادى السحرية الخفيفة وعن ضرورة إقفال الحقائب فسارعت بشراء قفل للحقيبة التى لم تغلق فى أثناء الرحلة كلها .

تناولت آخر وجبة صينية فى محطة سكة حديد كانتون وقد استعملت العصى فى الأكل بمهارة مردها إلى الجوع والتمرين وعدم وجود ملاعق أو شوك. ثم مررنا على مبنى كبير نظيف هو مركز الحجر الصحى بعد الجمرك طبعاً ، ودخلنا فى حدود هونج كونج الإنجليزية فوجدت القطار يختلف نوعا ما عن القطارات الصينية ، وكانت المناظر خلابة من بحيرات وجبال إلى مراع خضراء والكوكاكولا واللبان والفول السودانى كل ذلك موجود فى القطار .

وصلت هونج كونج بعد ساعة ونصف وحالفنى التوفيق إذ عثرت على غرفة فى فندق كلوڤر الفخم وأخذت معى حقيبة واحدة وأرسلت باقى الحقائب إلى الباخرة (تشوسان) الإنجليزية التى كنت سأستقلها فى طريقى إلى الوطن العزيز بعد قضاء يومين فى ميناء هونج كونج ذلك الثغر الكبير الذى كنت أحلم بزيارته والذى كنت شديدة الرغبة فى رؤية معالمه قبل القيام بجولاتى فيه خصوصاً وأن مدة إقامتى كانت قصيرة :

كانت جزيرة هونج كونج إحدى ممتلكات عائلة صينية ارستقراطية حتى عام١٨٤٠ فى عهد أسرة يونج ،وعندما احتلتها بريطانيا كان تعداد سكانها نحو ٢٠٠٠ نسمة من الصينيين .

ولما زرتها وجدتها تختلف وتتميز عن باقى الموانى بمالها من طابع فريد ومناظر طبيعية مختلفة لاتبعث على الملل بل تحفز الزائر على الإحاطة بكل ما فيها ومن فيها .

وأول ما قمت به فى جولتى السريعة فى الجزيرة زيارة قمة جبل فكتوريا وهى أعلى قمة فى الجبال هناك، ويبلغ ارتفاعها ١٨٠٩ أقدام ،ومنها يشاهد الزائر الجبال الخضراء والغابات الواسعة وزرقة السماء التى تنعكس على صفحة البحر والمبانى ذات الطلاء الأبيض الناصع ، وناهيك بالحركة الدائمة فيها كمركز تجارى من الدرجة الأولى .

وعلى الرغم من أن سلسلة الطرق سواء فى الجزيرة أوفى الجبال على جانب كبير من التنسيق الهندسى فما زالت (الركشا) وهى العربة التى يجرها الإنسان وسيلة الانتقال فى بعض أحياء المدينة .

وفى اليوم التالى قمت برحلة سريعة بصحبة الدليل داخل عربة سياحية وكانت المناظر الخلابة تسود كل ركن من أركان الجبل ؛ فمبانى البنوك شاهقة وفيلات أصحاب الملايين فاخرة وخزانات المياه وهى تبدو للناظر كأنها تريد أن تشق أجواء الفضاء .

أما الجبل فهو عبارة عن حديقة ساحرة متنوعة المناظر وفى الجانب الغربى منها توجد شواطئ طبيعية هى خاجان منها ، «ستانلى باى» الذى ينافس شبيهة المصرى فى جمال منظره ورماله الحريرية وفى هذا الشاطئ نجد الفنادق الفخمة التى تليق بسكان الجزيرة الأغنياء ثم الفنادق المتوسطة التى تتناسب مع حالة السائحين المتوسطى الدخل .

تركت منطقة الشواطئ بعد تناول الغداء فى فندق ريبيالس Repulse Bay ثم استانفت السفر بالعربة فزرت حديقة (تيجر بوم) Tiger Baum الرجل الصينى الذى اتخذ من تجارة الأفيون مهنة فى فترة من الزمن درت عليه أموالا هائلة ثم تركها واخترع دواء يعالج أمراض البرد أطلق عليه اسمه، ومازال يباع فى الأسواق للآن . وهذه الحديقة هى إحدى الحدائق القائمة عند سفح الجبل وبها هضاب وممرات مزدانة بتماثيل لشخصيات سجلت ذكرها القصص والأساطير الصينية القديمة ، كما تحتوى على تماتيل لأسماك وحوريات البحر والطيور النادرة . . الخ .

ثم زرت منطقة الصيادين فى خليج يصل الجزر فيه إلى درجة الجفاف وهى منطقة فقيرة جداً يعيش فيها الصيادون مستخدمين مراكبهم مع عائلاتهم كدار للسكن فى نفس الوقت .

أما المطاعم القائمة فهى قريبة من هذه المنطقة وتنافس هذه المطاعم بعضها بعضاً فى تقديم فنون التمثيل والموسيقى إلى جانب ألوان الطعام الجيد .

وقد لاحظت دقة سائقى السيارات السياحية فى تحديد المسافات والمواعيد فى أثناء الرحلات وفى ليلتى الأخيرة فى هونج كونج حضرت عرض فيلم الوصايا العشر وهو لايخرج عن كونه دعاية صريحة لليهود إلى جانب تشويه الحقائق التاريخية المعروفة .

وركبت فى اليوم التالى الباخرة الإنجليزية فى طريقى إلى بلادى المحبوبة وكان الجو حاراً ، وقد لاحظت على سطح المركب وعلى الرصيف أن عدد المودعين أكثر من عدد المسافرين على الباخرة ، أما أنا فلم يودعنى أحد ولكنى ودعت الميناء الجميل الذى قضيت فيه يومين فقط وأنا أدعو الله أن تتاح لى فرصة أخرى لقضاء فترة فى هونج كونج ومعى مايكفى من نفقات « مصارى » على رأى الزميلات السوريات ؟ .

وفى عرض البحر ذهبت إلى غرفتى بالباخرة التى سأقضى عليها نحو ٢٥ يوماً وانهمكت فى فتح حقيبة الملابس فلم أشعر فى بادئ الأمر بجو القمرة الخانق لأن هواء المروحة الكهربائية كان مسلطاً على ظهرى ، وعندما فرغت من ترتيب ملابسى فى الدولاب الصغير أردت أن ألقى نظرة أخيرة على الميناء من بعيد وكم كانت دهشتى كبيرة عندما وجدت أنى فى علبة سردين محكمة ليس فيها منفذ ، وكان هواء المروحة ورطوبة الجو والعرق المتصبب سبباً فى ارتفاع حرارتى وأصبت بقشعريره مصحوبة بآلام شديدة فى كتفى اليمنى ولم يغمض لى جفن طيلة الليل — وخصوصاً أنى لا أطيق البقاء فى غرفة مقفلة — ولما طلبت فى الصباح من مكتب الاستقبال استبدال الغرفة تردد الموظف المختص قليلا ولكنه أمام حالتى الصحية حمل حقائبى إلى قمرة فيها نافذة وظلت الحمى تلازمنى ثلاثة أيام برغم ماكنت أتجرعه من أدوية ، ثم تحسنت حالتى إلى حدما قبل وصولنا إلى سنغافورة بساعات ، فحمدت الله وتهيأت لزيارة الجزيرة ولم أتردد فى النزول إليها .

ركبت سيارة أجرة من الميناء إلى مكتب كوك السياحى فى شارع كوبسون وهو شارع رئيسى قريب من المحال التجارية وأخذت معى بعض المطبوعات وخريطة البلد ، كما أهديت إلى المكتب بعض مطبوعاتنا للدعاية وقد سر بها جداً مدير المكتب ووعد بتنظيم رحلات للقاهرة .

قضيت حوالى ساعتين فى البلد وشوارعها المزدحمة وتناولت فنجان قهوة فى محل صغير ولكنه مكيف الهواء ثم اشتريت بعض الأشياء والتذكارات الصغيرة فى حدود ميزانيتى وكانت أسعار العطور مغرية جداً ولكن العين بصيرة واليد قصيرة . وفجأة بدأ المطر يهطل بغزارة فعدت إلى الباخرة وكان الليل قد أرخى سدوله والسائق لايعرف أية لغة سوى لغته وبعد صعوبة وترجمة أحد المارة فهم غرضى ووصلت الميناء بسلام ودفعت له ٤ دولارات .

وفى صباح اليوم التالى كان الجو صحواً والشمس مشرقة وكنت قد درست الخريطة ووجدت الأتوبيس رقم (١٠) أخضر اللون بعشرة سنتيمات ، فركبته

إلى ميدان رافل Raffles Squire ، وهو فى وسط البلد،ووجدت السوق فى شوارع ضيقة وممرات تشبه خان الخليلى وسوق الخيط بالإسكندرية ثم تغير الجو فجأة فأسرعت إلى الباخرة ، ثم علمت أن موعد الإبحار قد تأخر أربع ساعات ولم أرد أن أضيع هذه الساعات دون الاستفادة من زيارة أخرى للمدينة .

سنغافورة

سنغافورة او بوابة الشرق الأقصى :

تقع هذه الجزيرة فى منتصف الطريق بين الصين والهند وقد جعل منها موقعها الاستراتيجى مركزاً تجارياً ممتازاً بجانب كونها ميناء حراً تصدر منه خيرات الشرق الأقصى من المطاط وزيت النخيل وجوز الهند والاخشاب الثمينة وأنواع البهارات . . الخ .

هذا إلى جانب تبادل البضائع والمصنوعات الأوربية والأمريكية ويجتمع فيها أكثر من خمسين خطاً ملاحياً كبيراً من دول العالم المختلفة، وكذلك أكثر من خمسة عشر خطا للطيران تجتمع فى مينائها الجوى العالمى Paya Lebar ولهذا فهى تربط بين الشرق والغرب وتذوب فيها الفوارق ويعمل سكانها من مختلف الأجناس فى انسجام عجيب وخصوصاً فى الحياة الاجتماعية .

ويرجع تاريخ اسمها الذى أطلق عليها إلى القرن الثالث والرابع عشر (سنجا) ومعناها الأسد (وبورا) ومعناها المدينة أى أسد المدينة أو مدينة الأسد .

وقد ظهرت سنغافورة الحديثة عام ١٨١٩ عندما اكتشفها سير (ستافورد رافلز) وكان عدد سكانها وقتئذ لا يزيد على المائة نسمة وخلال خمس سنوات وصل عددهم إلى عشرة آلاف .

ثم أنشأ بها بلدية ومركزاً ثقافياً ومازال اسمه يلمع فى ميادين المدينة كما أنشأ بها المتحف الذى جمع فيه أشهر مجموعة من النباتات التاريخية وعادات ومعالم جزر الملايو وجزيرة بورنيو بطريقة فريدة شائقة .

ومن معالم الجزيرة الرئيسية أيضا خزان موزبان الحديث ويعتبر من أهم وأعظم خزانات المياه فى العالم إذ تبلغ سعته ٥٦ مليون جالون من الماء ،ومسجد السلطان .

« حدائق بنجر يوم » :

قضيت يوماً سعيداً فى هذه الحدائق كما تجولت داخل متحفها الفريد الغريب فى تنسيقه ، ولقد استمعت إلى قصة أو بون هاو رجل الأعمال الصينى الذى نشأ فى فقر مدقع دفعه إلى الاتجار فى الأفيون وإلى المغامرة فأثرى ثراء فاحشاً وأصبح (أسد وملك آسيا) كما يسمونه .

وتبرز فى المتحف الحضارة القديمة فى لوحات متسقة الألوان وتماثيل كبيرة الحجم وتاباوهات تشهد بعظمة تلك الحضارة وتاريخها الذى ولى والمعتقدات القديمة الموروثة وتصوير الخير والشر . وكانت الساعات تمر سريعة فى هذه الزيارة الممتعة ، والحقيقة أن هذا المتحف لاتكفى زيارة واحدة للإحاطة بمافيه بل تلزم زيارات وزيارات .

وفى نهاية زيارتى لهذه الحديقة كنت أسأل الدليل عن شخصية صاحبها فقال : « إن هذا الأسد تزوج ثلاث زوجات إحداهن فى هونج كونج والثانية فى الصين والثالثة فى سنغافورة والأخيرة مازالت تعيش فى قصرها بعد وفاة زوجها الأسد عام ١٩٥٤ بالسكتة القلبية وقد حولت القصر إلى متحف ، وهى تشغل فيه جناحاً خاصاً ولا مانع لديها من استقبال زوار المتحف ، فانتهزت الفرصة وأبديت رغبتى فى زيارتها وعندما قابلتها وجدتها تقف فى البهو الثانى للقصر الذى يضم أفخم مجموعة من تحف السجاد والمرمر والفيروز والأحجار الكريمة وهى معروضة فى خزانات فخمة ، كما كانت الحديقة مزينة بالتماثيل التى اشتهر الأسد باقتنائها من جميع أنحاء العالم وبعد أن انتهت زيارتى عدت إلى الباخرة التى أبحرت فى الساعة السابعة مساء ، وقد أخبرنى (مستر فولى) رئيس الخدم فى غرفة الطعام أن زميلة مصرية ركبت من سنغافورة إلى بورسعيد مع أولادها وهى موجودة على الدور العلوى — مضيت إليها وتعارفنا واتضح لى أنها سورية وتزوجت من أندونيسى فأصبحت أندونيسية بالزواج ولكنها ما زالت تتكلم العربية طبعاً وكانت سيدة رقيقة ، وقالت إن زوجها يشغل وظيفة

قائم بأعمال فى سفارة أندونيسيا بالقاهرة وأنها كانت مع زوجها فى طوكيو حين كان يعمل بها مدة عامين .

وسألتها عن اليابان ومدينة طوكيو بالذات إذ أنى لم أحظ بزيارتها فقالت إنها مدينة عظيمة وحديثة ، وهى البلد الذى تخاف الزوجة فيه على زوجها لأن الرجل هناك هو معبود المرأة وهى تنظر إليه نظرة احترام وتقديس وتبالغ فى تدليله .

وبينما نحن فى حديثنا هذا عن اليابان والحبشا وعن عادات أهلها إذ برجل فى الحلقة الخامسة من عمره تتأبط زراعه سيدة فى مثل عمره يقتربان منا وينصتان لحديثنا فى شئ من الدهشة والغرابة ، ثم تجرأ الرجل بعد أن تبادل ابتسامة مع زوجته وقال موجهاً الكلام لنا : أية لغة تتكلمون فإنى لم أسمع لهجة مثلها من قبل ؟ . .

بادرنا بهذا السؤال بلغة إنجليزية تشوبها ركاكة لاتينية فرددت عليه قائلة : إننا نتحدث باللغة العربية فأنا من مصر أم الحضارة ، فمد يده بالتحية كما فعلت زوجته بدورها وعرفت أنهما من الأرجنتين وأنه طبيب كان مدعواً من الحكومة الصينية لقضاء سنتين فى مستشفياتها التى تقوم بدراسة الطب القديم إلى جانب الطب الحديث والمقارنة بينهما فيما يتعلق باستعمال الوصفات البلدية التى لايزال يأخذ بها العامة من الشعب الصينى ، وأنه كان يقوم مع زملائه الأطباء الصينيين وغيرهم من بعض الدول الأجنبية بإجراء تجارب على العقاقير الشعبية القديمة لتحسين وسائل استعمالها بعدما اتضح من نجاحها فى معالجة أمراض يطول أو يتعذر علاجها بالطب الحديث ، وضرب لى مثلا مما شاهده بنفسه من علاج كسور العظام بواسطة أعشاب ونباتات معينة تخلط بطريقة خاصة ثم توضع على مكان الكسر فإذا بها تتحلل بفعل حرارة الجسم نفسه فيلتئم الكسر بطريقة تبدو سحرية لمن يعالج بها ، وقدم لى نموذجاً من هذه الأعشاب التى أخذ منها كمية لا بأس بها لإجراء التجارب عليها أمام زملائه من أطباء

الأرجنتين ، ثم عرضها على الكيميائيين هناك لاستخراج المادة الفعالة منها على أن تعطى عن طريق الحقن أو التجرع أو الدهان .

ثم سألته بدورى عما إذا كان من أطباء العظام ، فرد قائلا بأنه إخصائى فى مرض البرص وقد تخرج على يديه ١٢٠ طبيباً صينيا خلال السنتين اللتين قضاهما فى مستشفيات الصين . ثم أردف قائلا إن الشعب الصينى يمتاز بالصبر والمثابرة إلى حد يفوق الوصف .

و لست أدرى كيف خطرت لى فكرة سؤاله عن انطباعاته عن النظام الشيوعى الصينى فى الفترة التى قضاها فى الصين برغم أنى بعيدة كل البعد عن السياسة وميدانها . وقد أجاب بأنه يعتقد أن الشعب يعيش فى سعادة فى ظل هذا النظام كما لمس ذلك فى أحاديثه مع الكثيرين ، وضرب لى مثلا برجل صينى من ذوى اليسار كان يملك عدة مصانع استولت عليها الدولة وعينته مديراً لها ومنحته مرتباً يضمن له الحياة الرغدة ، وزاد على ذلك بأنه أصبح لا يحمل من الهموم والمتاعب ما كان يحمله وهو يملك عدة مصانع .

ثم سألته عن رأيه فيما يطلق عليه (وخز الإبر الذهبية) لعلاج أمراض كثيرة منها الصداع وآلام الروماتزم . . الخ . وهى طريقة علاج معترف بها فى مستشفيات خاصة وقد زرت إحداها فى مدينة بكين وجربت هذ العلاج لبضعة أيام وشعرت ببعض التحسن إلا أن اضطرارى إلى العودة حال دون استكمال العلاج .

فأجاب الدكتور بأنه قد تدرب على هذا النوع من العلاج ورأى أن نتائجه مضمونة فى بعض الأمراض ولا سيما آلام المفاصل واللمباجو والروماتزم أما الطريقة فهى أن تغرز هذه الإبر الرفيعة جداً فى مكان الألم بطريقة علمية فنية ثم تدفأ بواسطة حشائش معينة من الخارج لمدة تتراوح بين ١٠ وعشرين دقيقة وأن مثل هذه الجلسات تستمر يومياً أو يوما بعد يوم على حسب الحالة .

ثم سألني الدكتور الأرجنتيني عن مصر وما حققته الثورة من نهضة وتقدم في شتى المجالات ولا سيما المجال الطبي ، فأجبته بأن مصر الآن لاتعنى ببناء نهضتها في الطب فحسب بل إنها تشيد صرح اقتصادها وتجارتها إلى جانب النهضة الاجتماعية والثقافية والعلمية طبقاً لنظام اشتراكي ينبثق من البيئة نفسها ولا يتبع أي نظام آخر سواء كان شيوعياً أو رأسمالياً .

وكانت زوجته خلال هذا الحديث الطويل تستمع إلى ترجمته باللغة الأسبانية إذ هي لاتعرف لغة سواها ، وسألني عن القاهرة وهل هي تشبه المدن الأوربية ؟ فأجبتها بأن من يزور القاهرة من الأجانب لايسعه إلا أن يقف مشدوهاً أمام عظمة مبانيها الحديثة وجمال نيلها وآثارها الخالدة فأبدت رغبتها في زيارتها في العام المقبل وطلب مني الطبيب اسمي وعنواني ليراسلني .

وتبادل الزوجان نظرات تدل على أن هناك شيئاً كان مبعث حيرتهما وأرادا استجلاء الحقيقة عنه ، فسألتهما عن الباعث على تلك النظرات فاعترفا لي بان كلامي عن القاهرة يتناقض تماماً مع كلام رجل هندي مسافر معنا على الباخرة فهو لايكف عن التشهير بالقاهرة حتى إنهما صرفا النظر عن زيارتها بعد أن كانا معتزمين ذلك .

وهنا رجوتهما أن ينتظراني قليلا ريثما أعود بمجموعة من الصور السياحية التي حرصت على أن تكون معي في رحلتي ، وما أن وقع نظرهما عليها حتى قفزا فرحاً وإعجاباً ثم تبادلا الحديث بلغتهما وفهمت من الطبيب أن هذا المسافر الهندي كاد أن يحرمهما من مشاهدة القاهرة عند رسو الباخرة في ميناء السويس والقيام برحلة سريعة لمدة ١٢ ساعة يشاهدان فيها معالم القاهرة ثم يلحقان الباخرة في بورسعيد .

وإذا بالمصادفة السعيدة تجعل هذا الهندي يمر أمامنا في أثناء هذه الجلسة اللطيفة في صالون الباخرة وقد تناثرت معالم صور القاهرة القديمة والحديثة على المنضدة فطلبنا منه أن يجلس معنا ، وما أن اقترب حتى قال الطبيب مداعباً

«هل تسمح لنا أن نصحح لك معلوماتك الخاطئة عن مصر» : فما كان من الرجل الا أن تصبب جبينه عرقاً بعد أن علم من الحاضرين أنى مصرية وأنى أنا صاحبة هذه الصور ثم اعتذر بحرارة وقال : «الذنب ليس ذنبى فأنا أقرأ الصحف الإنجليزية بصفتى صاحب فندق فى لندن وماتقلته كان من واقع ماأقرؤه فأنا إذن غير ملوم ولكن لاتغضبى ياسيدتى إذا قلت» إن الذنب ذنبكم أنتم أيضاً لعدم قيامكم بالدعاية المضادة فى الخارج مما يقضى على هذه المفتريات عنكم» ثم مسح جبينه بمنديله وقال : «سأكون أول المشتركين فى الرحلة السريعة إلى القاهرة من السويس فأنا شرقى وأحب أن أدافع بحق وصدق عن البلاد الشرقية» ، ثم انصرف وإذا به يعود بعد نحو عشر دقائق ومعه لفيف من المسافرين الإنجليز ليصحح لهم بدوره معلوماتهم عن مصر .

بينانج لؤلؤة الشرق :

انفض المجلس الدولى الذى جمع الشرق والغرب من الهندى للأرجنتينى للعربية للإنجليزى . . الخ بسبب قرب وصولنا إلى ميناء بينانج (الملايو) وهى ترقد فى حضن الجبال التى تعتبر من أجمل الجبال وأكثرها غنى بأشجارها ونباتها الذى يكسوها من السفح إلى القمة .

تسلقنا التل الغربى فى وسط الجزيرة ويرتفع إلى ٢,٧٧٢ قدماً وينحدر إلى سواحل الجزيرة الجميلة بنفس الخضرة التى تتخللها ألوان الزهور والورود التى تشابهها ألوان ملابس السكان المتنوعة الزاهية الصارخة . . وتعتبر الملايا أغنى بلد فى جنوب شرقى آسيا ،وتنتج ثلث كمية المطاط الطبيعى فى العالم و ٣٥٪ من الصفيح ، إلى جانب مافيها من عدد كبير من المناجم كما أنها غنية بمزارع الموز والأناناس والأشجار التى تبهر الأنظار بجمال نظامها وترتيبها وتنسيقها .

أما عدد سكانها فيبلغ ٧ ملايين ونصف والسكك الحديدية هى أهم وسائل الانتقال فى هذه البلاد وقد أنشئت سنة ١٩٠٣ وهى تمتاز بنظامها

ونظافتها ودقة مواعيدها وتعتبر من أهم السكك الحديدية فى العالم كما أن العاملين فيها من أكفأ المهندسين والموظفين .

اشتركت مع عائلة إنجليزية فى زيارة قمة أعلى جبل بالجزيرة بواسطة سكك حديدية كهربائية خاصة تعتبر فى تصميمها عملا هندسياً ممتازاً، وقد أنشئت عام ١٩٢٣ وكل عربة من عرباتها تتسع لأربعين راكباً وهى تسير فى خطين منفصلين أحدهما للذهاب والآخر للإياب وتقطع المسافة إلى القمة فى ثلاثين دقيقة وكان المطر ينهمر بغزارة، ومنظر الجبل الأخضر من علو ٢٥٠٠ قدم من أجمل مارأت العين .

وبالرغم من صغر حجم الجزيرة فإن بها عدداً كبيراً من ناطحات السحاب الضخمة التى تلتف الحدائق الجميلة حولها بأزهارها وورودها

المختلفة الأشكال والألوان ، وقد قمت بزيارة مسجد قريب من معبد بوذا فى أثناء جولتى فى المدينة ثم اصطحبنا الدليل بعد ذلك إلى معبد الثعابين وكنت أعتقد أنه مجرد اسم للمعبد ولشدة دهشتى وجدت الثعابين تزحف وتمرح بحرية فى المعبد ومحرابه الذى وضعت فيه سلة مليئة بالبيض الذى يقدم كقرابين للثعابين التى يعبدها عدد كبير من سكان الجزيرة .

وكانت هنالك سيدة بالملابس الوطنية قد أحضرت هذه السلة، وبعد أن وضعتها أخذت تسجد ثم ترفع وجهها إلى السماء أمام المحراب وتهز شخشيخة من الصفيح فى يدها ولما سألت الدليل عنها قال إنها إحدى الزائرات المصابات بالعقم وهى تتوجه بالدعاء فى هذا المعبد لكى تحمل وتلد وعليها أن تصلى هكذا عدة مرات عسى أن تستجيب لها الآلهة .

ومن العجيب أن هذه الثعابين الضخمة لاتؤذى أحداً وقد حمل أحدها طفل صغير كان يصحبه والده فى الرحلة، والتقط صورة لهذه الأعجوبة وكانت الثعابين تتلوى على ذراعه الصغير دون أن تمسه بأذى .

ثم عدنا إلى الباخرة بعد هذه الجولة الخاطفة ولكنى كنت قد استمتعت بها ولم أشعر بأى إرهاق برغم المطر الذى لم يحل دون القيام بهذه الزيارة الممتعة .

وعلى مائدة العشاء وكنت أجلس عليها منفردة وجدت رفيقين قدمهما لى (مستر فولر رئيس السفرجية) أحدهما ضابط بحرى إنجليزى ثرثار عمل فى الصين والملايو أربع سنوات وحضر الانقلاب وخسر مركزه الكبير كما يقول وهو متزوج من سيدة روسية .

أما الآخر فهو ضابط كبير برتبة جنرال فى الملايو وكان فى مصر سنة ١٩٤٧ وهو من ابردين فى اسكوتلانده وكان فى أجازة وتبدو عليه أمارات النبل والذكاء من طريقة لهجته ، وقد رأت إدارة الباخرة أن تضمنا مائدة واحدة نظراً لأنها اعتبرتنا من الأجانب إذ أن معظم ركاب الباخرة من الإنجليز .

وقد دار الحديث — الذى لامفر منه — بين أفراد لاينتمون إلى جنسية واحدة ، ونظراً لاختلاف اللغات بين هذه المجموعة فقد كان من حسن الحظ أن السيدة الارجنتينية تعرف الفرنسية كما أعرفها أنا فضلا عن لغتها الأصلية ، فكنت أقوم تارة بالترجمة من الإنجليزية إلى الفرنسية وبالعكس .

سـيلان

مملكة تحت الماء :

عندما رست الباخرة على شاطئ سيلان الدافئ الذى يمتد مئات الأميال على المحيط الهندى فى ميناء كولومبو وهى مدينة الصناعة والورد ، تقابلت مع مجموعة من الصيادين الأجانب الذين يقومون بالصيد فى أعماق البحار وبعيداً عن الشواطئ ، وسألت أحدهم عن هدفه فقال إنه وأصدقاءه يقصدون إلى سيلان لقضاء بضعة أيام فى صيد الأسماك الغريبة فى قاع البحر بالبندقية بطريقة الغوص فى الماء ، وكانوا يحملون مختلف أدوات الصيد ويقصدون منطقة المرجان الجميلة .

وفى أثناء جولتى السريعة لاحظت الطرق الممهدة فى المدينة وشهدت الجبال الزرقاء والوديان الخضراء التى تتخللها قنوات من الماء العذب الفضى كما شهدت جميع أنواع الرياضة من جولف وتنس إلى صيد الأسماك فى قاع البحر ، والخطوط الجوية تسير بانتظام بين مناطق الصيد وخصوصا الشاطئ الشرقى المشهور بهدوء مياهه فى الفترة بين شهرى أبريل وسبتمبر وهى أفضل مواسم الصيد هناك .

ويبلغ عدد سكان كولومبو حوالى المليون نسمة وأهم شوارعها هو شارع يورك إذ توجد به محال عديدة لبيع المجوهرات وهو يشبه شارع الصاغة عندنا ، ولصاغة الجواهر هناك شهرة عالمية سواء فى صياغة الذهب أو الأحجار الكريمة .

و«Pettah» هى المركز التجارى للبضائع المحلية وبها بعض المعابد وحوانيتها متوسطة ومعظم التجار فيها يرتدون الملابس الوطنية ويغطون رءوسهم بعمائم بيضاء .

والمعابد الهندوسية والبوذية تلفت النظر بمبانيها الغريبة،ولاسيما الحدائق الغناء والاشجار الاستوائية المورقة التى تحيط بأفخم المعابد وأشهرها (اسخوراميا) .

استرحنا قليلا على ساحل النخيل الشاعرى (مونيت لافينا) حيث المناظر الطبيعية تأخذ بالألباب ثم زرنا حديقة الحيوان وبها مجموعة كبيرة من الحيوانات الاستوائية ومجموعة من الفيلة المدربة على الألعاب وتسلية المتفرجين مما يجعل الزوار لا يملون متابعة هذه الألعاب لساعات طويلة ثم اشترينا نوعاً من جوز الهند أصفر اللون من محل بيعه واحتسينا شرابه المرطب المنعش والتقطنا صوراً تذكارية .

وعدنا إلى الباخرة قبل غروب الشمس بدقائق وكانت ساعة الغروب على هذه البقعة من أروع المشاهد . وقد قيل لى إن هناك أسطورة عن الإسكندر الأكبر تقول أنه قضى فترة استجمام فى زيارة هذه المنطقة الجميلة منذ ٢٣٠٠ سنة .

أبحرنا من ميناء كولومبو الساعة الواحدة والنصف بعد الظهر على بركة الله وكنا نتناول الغداء وكان الميناء التالى هو بومباى فى الهند .

ميناء بومباى :

وصلنا الساعة السابعة صباحاً وأول ما استرعى الأنظار بوابة بومباى المشهورة القريبة من رصيف الميناء والتى تقع على جزيرة من سلسلة الجزائر التى تكونت من عملية المد والجزر أيام موسم المانسون عندما كانت قرية صيد صغيرة .

ويبلغ عدد سكانها الآن ثلاثة ملايين وستمائة ألف نسمة وهى شبيهة بميناء بوينس أيرس فى أمريكا الجنوبية وتعتبر مركزاً وميناء تجاريا هاماً .

المرأة ودنيا السياحة :

كان من المقرر أن ترسو الباخرة لمدة يومين فى ميناء بومباى الذى يشبه إلى حد كبير مرفأ بوينس أيرس للشحن والتفريغ وعزمت أن أقضى هذا الوقت فى زيارة البلد ومعالمها .. وجدت على سطح المركب سيدتين إنجليزيتين تحملان شارات المرشدات السياحيات تدعوان الركاب إلى القيام برحلة كنت أنشدها ، فاشتركت فيها مع كثير من المسافرين وعند النزول إلى الرصيف كان فى انتظارنا أتوبيس سياحى أنيق ،واستهلت إحداهما الرحلة بكلمة عن الجمعية الخيرية التى تقوم بتنظيم هذه الرحلات وهى جمعية نسائية تعمل فى ميدان الخدمات الاجتماعية ،أما السيارة فقد أهدتها الحكومة للجمعية حتى تستخدمها فى الشئون السياحية ، وفى هذه الجمعية عضوات متطوعات لا يتناولن أجراً وعضوات موظفات بمرتبات ثم شكرت السيدة فى كلمتها المشتركين قائلة : « إن اشتراككم فى هذه الرحلة يعتبر خدمة إنسانية والجمعية تشكركم وتتمنى لكم رحلة ممتعة » .

وقد شعرت بعظمة هذا العمل السياحى الخيرى الذى تقوم به الجمعيه فهو :

أولا — يتيح الحصول على معلومات صحيحة عن المعالم التاريخية بواسطة العضوات المثقفات اللاتى يقدرن أهمية الدعاية السليمة للبلد .

ثانياً — أنه يمكن استغلال دخل هذه الرحلات فى أعمال خيرية عظيمة كبناء المستشفيات والملاجئ . . الخ .

ثالثاً — يحفز عضوات الجمعية على معرفة الكثير عن البلد وذلك ينمى معلوماتهن فضلا عن الثقافة العامة .

رابعاً — الفائدة التى تعود على العضوات من مرافقة السائحين من ناحيه الوقوف على أذواق وميول كل منهم وفى هذا تثقيف ودراسة لهن أيضاً .

ثم مررنا على المبانى الهامة كدار البلدية والمكتبة العامة والمغسلة العامة التابعة للبلدية وهى مقامة فى العراء، وبوابة بومباى التى أقيمت بمناسبة زيارة ملكة بريطانيا ، وفندق تاج محل الفخم وقد سمعت أن المهندس الذى بناه أخطأ فى التصميم وكان يقصد أن يجعل مدخل الفندق العمومى والحديقة من ناحية البحر فجعله من الناحية الداخلية فما لبث أن انتحر بأن ألقى بنفسه من سطح الفندق .

عدنا بعد نهاية الجولة فى المدينة إلى الباخرة .

وفى صباح اليوم التالى ركبنا سيارة أجرة صغيرة ، وسيارات الأجرة فى بومباى نوعان : صغير لا يتسع إلا لثلاثة ركاب وأجره أقل من أجر النوع الكبير الذى يتسع لخمسة ركاب ووجدتها فكرة اشتراكية وليتنا نطبق هذا النظام عندنا .

ثم ذهبت مع زميلتى الأندونيسية (مهدية) إلى البلد فقابلنا رجل هندى عرض علينا خدماته بالإنجليزية ثم قادنا إلى السوق القديم هناك وهو يشبه حى الموسكى وخان الخليلى هنا واسمه (سوق ركر وفورد) وأحسن ما كان فى هذه الرحلة أننا وجدنا الجامع الكبير الذى كنا نبحث عنه فقضينا به بعض الوقت ، وعند العودة طلب منا المرافق بضع روبيات ليشرب زجاجة بيرة مثلجة ثم طلب سجاير ليعطيها لزوجته فمنحناه ما طلب وشكرناه وعدنا إلى الباخرة قبل إبحارها بساعات .

وبعد تناول العشاء على المركب عرض فيلم . (ثلم بارد فى الأسكندرية) وهو فليم عن الحرب العالمية الثانية فى الصحراء فى طريق مرسى مطروح وهو دعاية للإنجليز يبين كيف أن أحد الجواسيس الألمان كان يرافقهم وبمنتهى الشهامة تركوه يرجع لبلده لأنه خدمهم فى رحلة شاقة فى الصحراء ولم يكونوا يعرفون الطريق .

سمعنا صوت موسيقى صاخبة فى طابق الدرجة السياحية فاقترحت صديقتى مهديه أن نذهب لقضاء بعض الوقت مع أصدقائنا وزيارة أولادها أيضاً .

وفى أثنـاء السهرة اللطيفة مع عائلة ماكفرلين ونللى على الطابق السياحى وجدت أحد البحارة الشبان يهمس فى أذنى : « أرجو أن تعودى إلى قمرتك فى الدرجة الأولى يا مداد يسرى » نظرت فى ساعتى وكانت السهرة تكاد تنتهى ، فلم أشأ أن أصطدم مع التزمت الإنجليزى برغم أنى أعلم أنه محظور على ركاب الدرجة السياحية أن تتخطى الحاجز إلى الدرجة الأولى ولكن العكس غير ممنوع فشكرته على محافظته على النظام الإنجليزى المبالغ فيه وقلت له إنى سوف أنتظر انتهاء أصدقائنا من الرقص حتى نحييهم ونودعهم ثم أعود إلى غرفتى فى الدرجة الأولى . . . لأن الوقت قد حان لإنهاء السهرة على كل حال وكانت آخر رقصة تانجو إنجليزى يرقصها إنجليزى ، وبعد تحيتهم عدت إلى غرفتى وأنا أضحك فى سرى من البروتوكول الإنجليزى وتذكرت بعض النوادر نتيجة هذا التزمت فى إحدى الحفلات التى تقام عند الإبحار من ميناء للتعارف بين القومندان والركاب الجدد ، فقد حصل أن كان الموعد الساعة السابعة مساء ، فذهبت ومعى سيدة إنجليزية الساعة السابعة إلا أربع دقائق فوجدنا نائب القومندان عند باب الصالون ، ومنعنا من الدخول لأن الموعد لم يحن بعد ، والقومندان صاحب الدعوة لم يحضر وطلب منا — نحن السيدتين — الحضور بعد عشر دقائق على الأكثر . . . ولم يستقبلنا .

عدن

عندما اقتربنا من عدن رست الباخرة بعيداً عن الميناء فى الساعة السادسة صباحاً ، وكان النظام الإنجليزى المتزمت يأبى إلا أن يتناول الأطفال من أولاد الركاب الإفطار بمفردهم قبل موعد إفطار الكبار بساعة، ولما كانت الفترة التى ترسو خلالها الباخرة قصيرة جداً وكنت راغبة فى مشاهدة ذلك البلد العربى الشقيق المحتل فكرت فى تناول طعام الإفطار مع الأطفال كسباً للوقت المحدود وخاصة أن زميلتى فى السفر السيدة حرم القائم بأعمال سفارة أندونيسيا فى القاهرة كانت مع أولادها السبعة فى غرفة الطعام وكانت سترافقنى فى زيارة ميناء عدن. ولكن رئيس الخدم (المتردوتيل) اعتذر لى عن عدم إمكانه تقديم الإفطار طبقاً لقانون الباخرة قائلا : «من الممكن أن تعودى إلى الكابينة وتطلبى طعام الإفطار فيها» ، فاضطررت مرغمة إلى قبول هذا النظام الشديد الذى ترك طابعه على الباخرة .

ركبنا أحد المراكب البخارية الصغيرة ووصلنا إلى الميناء ورحنا نجوبه مترددين على المحال التجارية المتناثرة على الشاطئ وكان سرور أصحاب هذه البيوت التجارية بلقائنا كبيراً عندما علموا أنى مصرية بينما لم يخفوا اشمئزازهم وكرههم للاستعمار وأهله، ولكم ينتظرون اليوم الذى تتحرر فيه عدن وباقى الإمارات العربية من نير الاستعمار ، وهم يعملون الآن على الاتحاد وضم الصفوف لطرد المستعمر مهما كلفهم ذلك من بذل النفس والنفيس.

وشجعتنى هذه الروح العربية الأصيلة على سؤال أحدهم : كم عدد المسلمين فى عدن ؟ : فأجاب بأن ثمانين فى المائة من سكان عدن من المسلمين ويوجد قليل جداً من اليهود وأهل عدن فى شوق ولهفة إلى الاتحاد مع مصر والبلاد العربية للقضاء على الاستعمار القضاء الأخير

ولما عدنا إلى الباخرة واتخذت طريقها إلى بور سعيد أردت أن أنال من كبرياء الإنجليز فى نظامهم الاستعمارى المطبق على ركاب الباخرة فناديت السفرجى بعد الغداء وطلبت منه إحضار ماء ساخن لأنى أريد إعداد قهوة على الطريقة العربية ليتذوقها بعض الأجانب الذين كانوا على مائدتى بما فيهم بعض الإنجليز ولكنه رفض بكبرياء قائلا : « إن هذا ليس من عملى فأنا مكلف بإحضار القهوة كاملة الصنع على الطقة الإنجليزية » .

فما كان منى إلا أن أحضرت الماء الساخن بنفسى وأعددت القهوة وقدمتها لرفقاء السفر الذين راحوا يرتشفونها فى لذة مرددين عبارات الاستحسان وهم يرجون أن يتناولوها فى القاهرة قريباً فى هذه الرحلة السريعة . وكم سررت عندما وجدت أن عدد الذين رغبوا فى زيارة القاهرة فى هذه الرحله السريعة قد بلغ أكثر من مائة، فلم ألبث أن طلبت مقابلة مندوب الشركة السياحية المنظمة لهذه الرحلة وهى شركة كوك عند وصولنا بعد منتصف الليل ميناء السويس وطلبت منه العنايه بشأن هؤلاء السائحين بصفة خاصة فى برنامج الزيارة وسوف أظل على الباخرة حتى تعبر القناة وأكون فى انتظارهم فى ميناء بور سعيد مساء لاطمئن على مدى ما قدم لهم من خدمات وما لاقوه من أسباب الراحة والمتعة لكى يكونوا فكرة صادقة عما زاروه وشاهدوه وقدمت نفسى باعتبارى موظفة فى مصلحة السياحة فوعدنى بأنه سوف يكون عند حسن ظنى .

قضيت فترة عبور القناة أستمع إلى تعليقات وآراء باقى الركاب الذين لم يشتركوا فى الرحله السريعة، وكنت أوافق على بعضها، مثلا الأرض القاحلة على جانبى القناة العالمية وخلوها من لوحات دعائية ومناظر سياحية . . الخ

وفى اليوم التالى قبيل الغروب عاد ذلك الفوج من رحلته إلى بورسعيد وكنت فى انتظارهم فأسدوا إلى شكرهم بطريقة لمست فيها مدى ما لاقوه من حسن معاملة وما شاهدوه فى هذه الجولة السريعة وأظهروا استعدادهم للقيام بهذه الرحلة السريعة فى عودتهم إلى هونج كونج مقر عملهم .

وكان لحديث هؤلاء مع بقية الركاب الذين لم تتح لهم فرصة هذه الرحلة أثر طيب فى نفوسهم حتى إنهم طلبوا منى استبقاء الصور فى الباخرة فتركتها مع بعض النشرات الدعائية التى كنت أحملها ضمن حقائبى .

سبعة وعشرين الف ميل بين المحيطات :

وقبل مغادرتى الباخرة نهائياً فى بور سعيد ألقيت نظرة على الخريطة الكبيرة المثبتة على جدار الباخرة فوجدت أنى قطعت فى رحلتى هذه نحو ٢٧ ألف ميل مجتازة البحر الصينى والمحيط الهادى والمحيط الهندى ثم خليج عدن ثم البحر الأحمر .

الســويد

تزهو السويد وتشمخ بأنفها على باقى سكان شبه جزيرة اسكنديناوه إذ تعتبر نفسها أرقى سكان بلاد الشمال لضخامة ثروتها وكثرة عدد سكانها. ولعل مصدر هذا الزهو يرجع إلى أن السويد كانت فيما مضى الدولة الحاكمة فى شبه الجزيرة ولم تتأثر بالحرب كما تأثرت بها النرويج والدنمارك لأنها لم تشترك فيها بل حافظت على حيادها .

والشعب السويدى شعب مهذب إلى حد بعيد بل هو شعب عملى نشيط حساس يتقن عمله حتى يصل به إلى درجة الكمال. وتتميز صناعاته بالجودة والإتقان، وهذا هو سر ارتفاع أسعارها. وفى رأيى أن ارتفاع مستوى هذا الشعب هو من أهم أسباب حرصه على التمسك بالأمانة وحسن المعاملة ، وإن كان فى مظهره يبدو ميالاً إلى التحفظ والجمود ولكن هذا المظهر يخفى وراءه روحاً عالية، فالسويد يرحب بالأجانب، وتعقد معهم الصداقات إذا وثقت بهم . وهذا الأمر يقتضى فترة قد تطول أو تقصر ولكنها مع ذلك تمتد حتى آخر لحظة من الحياة .

ومما يسعدنى أننى أتمتع بعلاقات الصداقة مع بعض السويديين ولازلنا نتبادل الرسائل والهدايا حتى الآن .

ولعل أهم مظهر من مظاهر الحضارة فى هذه البلاد تلك الحياة التى يسودها الهدوء والأمن، فإنك لاتسمع ضجيجاً أو صخباً حتى فى أهم الشوارع المزدحمة بأنواع المركبات المختلفة، ويرجع هذا إلى دقة نظام المرور وحرص الشعب على تنفيذ التعليمات بروح طيبة ، ولأن كل سائق يعرف تعليمات المرور ويطبقها ، أما المشاة وراكبو الدارجات فإنهم يسيرون فى نظام عجيب داخل حدود لايتجاوزونها .

ويطلق على أهل السويد (أمريكان أوربا) فقد وصلوا بفضل التصنيع واستغلال الموارد الطبيعية إلى أرفع المستويات فى عالم التجارة والصناعة، ومما يجدر ذكره أن السويد نجحت فى مكافحة الجريمة نجاحاً كبيراً، وقل أن تجد شرطياً فى شوارع المدينة أو فى بلاد الريف، كما أن انتشار نظام التأمين واستخدام أحسن الوسائل للعناية بالأطفال والأمهات العاملات وتوجيه أقصى الاهتمام إلى الألعاب الرياضية أكسب الشعب راحة النفس واطمئنان البال .

نزلت عاصمة السويد وأقمت فيها فترة أطول من تلك التى قضيتها فى عاصمة النرويج حتى يتسنى لى عرض الفيلم السياحى الذى حملته معى من مصر بقصد الدعاية، إذ لم يكن لنا فيها مكتب سياحى فى تلك السنة (سنة ١٩٥٥)، وكان هدفى من هذه الزيارة هو الوقوف على نظم شركات السياحة السويدية ودراسة طرق ووسائل الدعاية الحديثه فيها .

الشركة التجارية السويدية :

زرت المكتب الرئيسى للسياحة فى استكهولم وعلمت أن له فروعاً فى مختلف بلاد أوربا تعمل على جلب السائحين ويعتبر نشاطها فنا من فنون التجارة الرابحة إذ يغدق على البلاد ٥٪ من دخلها العام ، ويضم هذا المكتب ٢٥ عضواً وتعين وزارة التجارة رئيسه، أما نصف الأعضاء فتعينهم الهيئات الحكومية والنصف الآخر من رجال البنوك والشركات ونادى الرحلات وهو يتعاون مع المكاتب الأوربية وسائر بلاد اسكنديناوه والولايات المتحدة ولقد علمت من المدير أن البلد ينقسم إلى ١٥ منطقة يوجد فى كل منها مكتب سياحى يقوم بنشر مطبوعاته الخاصة ويوزعها على المنظمات السياحية الأخرى .

ويحتفظ المكتب بأرشيف كامل من الصور والنشرات الإخبارية التى يمد بها الصحافة أيضاً . ومعظم نشاطه متجه إلى السياحة فى الخارج بطبيعة الحال كما ينظم رحلات سياحية سنوية على نفقته للمكاتب السياحية الأجنبية كوسيلة للدعاية .

وعندما فاتحت صديقتى السويدية « مسز نورد لاندر » برغبتى فى عرض الفيلم الدعائى الذى أحضرته معى أعدت لى مكاناً لائقاً فى حديقة عامة عرضت فيه الفيلم السياحى (أرض الذكريات) وكان أكثر الحاضرين من سيدات المجتمع السويدى، ثم عرضته مرة ثانية فى معهد « ليازفت » الرياضى حيث حضره ١٥٠ طالباً من مختلف البلدان .

أما المرة الثالثة فحضره ١٤ مندوبا عن مديرى مكاتب السياحة فى السويد وقد أحرز نجاحاً باهراً لمست من خلاله مدى ميل هذا الشعب إلى مصر وحبه لها .

وعند وصولى إلى سفارتنا فى استكهولم وجدت أحد الزملاء على وشك القيام برحلة إلى « اريالا » وهى تبعد عن استكهولم بنحو ٧٥ كيلو متراً وكنت عازمة على التوجه إليها لزيارة أحد المواطنين فى المستشفى هناك .

لذلك كان سرورى عظيماً عندما دعانى هذا الزميل لاصطحابه إلى تلك البلدة المشهورة بجامعتها العتيقة .

ساعة مع أشهر صانعى النافورات :

(آخر حديث للمثال السويدى « ميلز » وهو على فراش الموت) .

متحف ميلز :

يقع متحف ميلز على حافة جزيرة « ليدنجو » فى مواجهة استكهولم وهو نفس المنزل والاستديو اللذى اللذان شيدهما المثال سنة ١٩٠٦، وقد ضمت الحكومة السويدية إليه بعض المجموعات الفنية من تماثيل ولوحات .

وخلال زيارتى للمتحف راعنى جمال موقعه كما بهرتنى المناظر الطبيعية الجميلة والمجموعات الرومانية واليونانية وعظمة فن المثال والموهبة التى اختصه بها مهندس الكون الأعظم .

جال بخاطرى بعد هذه الزيارة أن أحظى بمقابلة هذا المثال العظيم فى موعد يحدده لى على حسب وقته ولكن سرعان ماعاد الحارس لحسن حظى بعد بضع دقائق يطلب منى أن أتبعه لمقابلة المثال قائلاً بأنه يرحب بزيارتى برغم أنه مريض وطريح الفراش، وكنت أنتظر أن يحدد لى موعداً فيما بعد .

اجتزت الحديقة مارة بالعمود الكبير الذى نقل من دار الأوبرا فى عهد الملك جوستاف الثالث وهو يقع بين زهريتين كبيرتين من الجرانيت وهما من أعمال ذلك المثال الفذ ، ثم مررت بمحراب صغير منحوت فى صخرة علمت أنه خاص بزوجته الكاثوليكية المذهب ، وكان يحترمها ويقدرها وكانت أيضاً فنانة مثله .

نزلنا بضع درجات رخامية تنتهى إلى تمثال فخم لحصان طائر يمتطيه إنسان، ثم مررنا بالنافورة العظيمة التى يشرف عليها مبنى بيت المثال المتواضع ثم اجتزنا المكتب وهو أنيق وبسيط ولكن على جانب كبير من الفن وبه مكتب كبير الحجم . ولما وصلت إلى غرفة النوم وجدتها بسيطة ولكنها منسقة الأثاث فى ذوق سليم .

حيانى مستر ميلز بحرارة برغم ضعفه وأعرب عن حبه وتقديره لمصر وفنها القديم فقلت له : « لماذا لم تفكر فى زيارة مصر مادمت تحبها وتقدر فنها ؟ » فأجاب : «مع أنى لم أتمكن من زيارتها لظروف خاصة إلا أنى قابلت عدداً من فنانيها ودرست الكثير من تاريخ فنها القديم وربما كنت أتهيب من عظمة فنونها لهذا لم أجرؤ على زيارتها». فقلت : « لماذا آثرت أمريكا بأكبر قسط من فنك ؟ » . فأجاب :

« يظهر أن انسجامى مع الشعب الأمريكى راجع إلى بساطة نشأتى ، فقد عشت كعامل بسيط فقير والأمريكى فى حياته أيضاً بسيط ولطيف وغير متزمت ، والكل ينادى ابن بلدته باسمه لافرق بين رئيس ومرؤوس فكلاهما يخلع جاكتته ويشمر عن ساعديه ويصفر ويغنى ويقابل زائريه ببشاشة ودون كلفة» .

فسألته : هل عشت طويلاً فى أمريكا ؟ قال : « نعم . . . عشت هناك ثمانية وعشرين عاما وما زلت أعمل لها وأهم نافوراتها من صنع يدى (وهى سانت لويز وروكفار . . الخ)» . . ثم استطرد قائلاً : « ويوجد بجانبك على المائدة كتاب كبير وهو مجموعة أعمالى فى أمريكا ومازلت أقوم بعمل ثلاثة تماثيل ، لها مع أنى قد ناهزت الثمانين ولكن تقدير الشعب الأمريكى لى يعطيى دائماً قوة وحماساً . فقلت : « ولكن الشعب السويدى أيضا يقدرك؟ » قال : « نعم . ولكن تقديره جاء متأخراً جداً هل سمعت حكاية الإيطالى وموسولينى ؟ » قلت : لا . . . فقال : « مات رجل إيطالى وعندما ذهب إلى الآخره سأل عن ستالين فقيل له لم يمت بعد ، ثم سأل عن هتلر فقيل له ربما يحضر بعد قليل ، وعندما سأل عن موسولينى قيل له يجب أن يدخل قلب كل إيطالى حتى يضمن أن يصل إلى الجنة ، ومع ذلك مالنا والسياسة . أنا لا أحب الحديث عنها فلنتكلم عن الفن ونذكر الفنانين المصريين » . فسألته : «ما هو الفن الذى أثر فى حياتك الفنية» ؟ قال : الفن اليونانى والإيطالى . . هل تعلمين أن ما يكل أنجلو ظل يعمل فى تمثال البابا ثمانية عشرة عاماً . أما الآن فالسرعة هى ناموس الحياة فى كل مجال حتى فى عمل الفنان ، فمثلاً ناطحات السحاب التى يتغنون بها أعتبرها ألاعيب صبيانيه خالية تماماً من الفن ، والمبانى الحديثة التى تشيد بسرعة هى الأخرى سرعان ما تنهار . . »

ثم سألته : « ماهى المجموعة التى تفضلها من بين تماثيلك » ؟

قال : « المجموعة التى بدأت أجمعها من إيطاليا وفرنسا لبلدى ، وهى من صنعى وتبلغ مائتى قطعة وقد أنفقت كل أموالى فيها ، وهى الآن ملك

لشعب السويد . » فقلت له : « هل لك هواية خاصة عدا الفن ؟» . . فأجاب : «نعم أهوى علم الفلك وما زلت أدرسه وأجمع خير ما كتب فيه ، ويدهشني عدم اهتمام المثقفين بهذا العلم الواسع الذى يكشف للإنسان الكثير من خفايا الطبيعة وأسرارها وجمال الكون وعظمته» . . ثم سكت حيناً ليقول : «أرجو أن تتكرمى بزيارتى مرة أخرى قبل مغادرتك السويد لأحملك تحياتى لمصر وفنانيها » وأهدانى صورة له تمثله وهو يتسلم جائزة نوبل للفنون . .

المتحف الأهلى القديم :

عندما صح عزمى على زيارة السويد نصحنى الكثيرون بزيارة أهم المتاحف القديمة التى تعتبر مركزاً للتراث الفنى القديم وآثاراً للنهضة البشرية منذ أكثر من مائتى عام .

بدأت أولى زياراتى للمتحف الأهلى القديم حيث قمت فيه بجولة تفقدت فيها مختلف الأقسام التى تحوى أنواعاً شتى من الفنون ،وتصور الحياة السويدية القديمة ،ولفت نظرى فيها نماذج لبيوت القديمةوما احتوته من أثاث يرجع تاريخه إلى عام ١٧٠٠م، كما احتوى ذلك القسم على نماذج لغرف طعام لمختلف طبقات المجتمع من أثرياء القوم إلى الفلاحين والعمال فضلاً عن الأعمال اليدوية التى بلغت غاية الروعة والدقة من مفارش وأغطية مزركشة إلى موائد صفت عليها الأوانى والملاعق والسكاكين والشوك الفضية وغيرها ،ولقد أثار دهشتى وجود آثار أصناف مختلفة من الطعام كالأسماك المحنطة ،فلقد رأيت رأس عجل كاملة ويقال إنها كانت من أشهر الأطعمةالشعبية فى ذلك الحين ، ويجد الزائر كذلك بعض الحلوى المختلفة موضوعة على المائدة فى تنسيق جميل تحيط بها الأزهار والورود فى نظام بديع .

أما فى القسم الخاص بالملابس التاريخية القديمة ومختلف الأشغال اليدوية فقد شاهدت ملابس الملوك والملكات وعلى الأخص ملابس الملك جوستاف

والملكة صوفيا وسائر أفراد أسرة جوستاف ، وهى تتسم بالدقة بألوانها الزاهية المتعددة،ورأيت كذلك ملابس التتويج والعربات الملكية،ومن أثور الأشغال القديمة التى استرعت انتباهى سرج حصان الملكة كريستينا الذى صنع خصيصاً لحفلة تتويجها فى عام ١٦٥٠، وهو محلى بالقصب واللؤلؤ والأحجار الكريمة .

كما لم يفتنى زيارة القسم الزراعى بالدور الأرضى للمتحف ،وهو يحتوى على مجموعات من آلات الزراعة المختلفة ومدى تطورها على مر العصور إلى جانب أدوات الصيد والشباك المتنوعة الخاصة بصيد الأسماك فى ذلك الحين.

متحف الأمير أوجين :

ولما كنت بالقرب من الحدائق الملكية فى استكهولم فقد زرت متحفاً على ربوة عالية جميلة كان بمثابة المسكن الخاص للأمير أوجين الذى كان يهوى الفن ، ويحتوى المتحف على مجموعة نادرة من اللوحات الزيتية المختلفة الأحجام التى رسمها الأمير بنفسه ، كذلك وجدت فى المتحف مجموعة ضخمة من التحف والتماثيل المختلفة .

كما لم يفتنى تفقد الاستوديو الخاص بالأمير الذى قام برسم تلك اللوحات وهو مازال قائماً على الهيئة التى تركها عليه الأمير فى حياته ، وقد لاحظت وجود الأزهار الطبيعية فى مختلف أرجاء القصر وفى كل غرفة منه مما جعله ينبض بالحياة حتى ليخيل للزائر أن القصر مازال عامراً بسكانه .

رحلة الى فيسبى :

أقلتنى الطائرة الساعة السابعة صباحاً من مطار استكهولم فوصلت إلى فيسبى بعد ساعة من الزمن، استمتعت بضع دقائق بمنظر استكهولم من الجو حيث تظهر المبانى الضخمة وقد أحاطت بها الحدائق الغناء والبيوت ذات الأسقف الحمراء وسط الأشجار الصفراء والخلجان التى تسير فيها المراكب بكثرة تلفت النظر مما تقر به العيون ويبعث فى النفس البهجة والارتياح .

وڤيسبي هى عاصمة جزيرة جوتلاند التى تقع فى جنوب السويد وتسمى « لؤلؤة البلطيق » وهى مصيف جميل قديم يرجع تاريخه إلى القرن الثالث عشر عندما كانت مركزاً تجارياً هاماً بالنسبة لأوربا .

ونظراً لخصوبة تربتها فإن الأزهار والورود تنمو فيها بكثرة فى جمال خلاب دفع الناس إلى أن يطلقوا عليها اسم « جزيرة الورد » .

وهى منطقة سياحية عالمية يؤمها السياح من جميع أنحاء العالم .

وتمتاز هذه الجزيرة بمنازلها ذات الطابع الخاص المتسم بالبساطة والأناقة والشرفات الصغيرة الزاخرة بكميات كبيرة من الأزهار حتى تبدو وكأنها حدائق معلقة .

وفى اليوم التالى قمت بجولة إلى الريف جنوب الجزيرة وكان الدليل من طلبة جامعة « أبسالا » وهى من أقدم جامعات أوربا . وقد قص على أثناء الرحلة تاريخ جزيرة « جوتلاند » ومجدها القديم إذ كانت مركزاً تجارياً هاما فى القرن الثالث عشر ، وملتقى التجار والوافدين من روسيا وألمانيا وانجلترا . والغريب أنه بالرغم من خصوبة تربتها فإن معظم أرضها جيرية ، وشرح لى الطالب النجيب كيف أن البحر كشف عن بعض المناطق على الساحل الشمالى تاركا صخوراً أكلتها الأمواج فجعلت منها أشكالا جميلة ، وأشار إلى صخرة على هيئة سيدة وهو يقول إن الحضارة بدأت فى جوتلاند من مئات السنين ولكن مما يؤسف له أن الزراع يفضلون الهجرة إلى المدن حتى أصبح موسم الصيف هو الفصل الوحيد الذى تحظى فيه الجزيرة الجميلة بالزوار .

كما تشتهر جوتلاند بكنائسها التى تبلغ تسعاً وتسعين لم يبق منها إلا عشر والباقى أصبح أطلالا ، وعلى ذلك فإن أهل الجزيرة حريصون أشد الحرص على تلك الكنائس العشر التى يقومون بترميمها من وقت لآخر مع الاحتفاظ بطابعها الأصلى ، تخليداً لذكرى هذه الكنائس ، ويقيم الأهالى فى المواسم المختلفة مسرحيات دينية فى ضوء المشاعل فى المساء .

ومن أهم مايفخر به أهل السويد نوع الخيل الجوتلندى القزم الذى تنفرد به الجزيرة، وقد زرت مزرعة بها نحو عشرين جوادا من هذا النوع والأولاد هم عادة الذين يتعهدونها بالعناية ، بل إن بعضهم يستخدمونها فى الحفلات كما يعرضونها لركوب أطفال السياح مقابل أجر معلوم . وفى كل سنة يقام سباق خاص بها لإدخال السرور على نفوس الأطفال وإسعادهم بالرياضة المحببة إليهم ؟

اول بيت شباب فى السويد :

دعوت الدليل المرافق لى لتناول فنجان قهوة فى الفندق بعد انتهاء الجولة فى الجزيرة فرحب بذلك وفى أثناء ارتشافه إياها سألته عن بيوت الشباب وعما إذا كانت الجمعية تواصل نشاطها فسرد على تاريخها قائلا :

«تأسست الجمعية فى أواخر القرن التاسع عشر وكان شعارها « اعرف بلدك » وذلك سنة ١٨٨٠ . وقد اشترك فيها كل مهتم بالسياحة والرياضة والمعسكرات . . . الخ وقد ضمت أفرادا كثيرين من مختلف الأعمار واتسعت حركة الجمعيـــة وبدأت فكرة بيوت الشباب ســـنة ١٩٢٣ إلا أنها لم تخرج إلى حيز التنفيذ إلا عام ١٩٢٦ . ويبلغ عدد أعضاء الجمعية ٢٠٠,٠٠٠ مشترك تتراوح أعمارهم بين ٧٠,١٥ عاماً . وتقوم الجمعية بطبع دليل سنوى يشترك فى وضعه الكتاب المشهورون ، ويشترط أن يكون عن المناطق السياحية وتاريخ السويد . وتهتم الجمعية بتأسيس بيوت الشباب فى مبان تاريخية قديمة ليكون الشباب على اتصال بالحضارة القديمة متشبعاً بالروح الوطنية .

ولهذه البيوت جو خاص يروق أعين السياح . . »

فطلبت من الدليل أن يدلنى على بيت منها لزيارته ، وكنت عضواً فى مجلس إدارة جمعية بيوت الشباب المصرية فى ذلك الوقت » فوعد بتحديد ذلك ، ثم اصطحبنى فى اليوم التالى إلى أحدها فى جزيرة فيسبى ، فوجدت

مستر « كارل جويدا » مدير البيت فى انتظارى وقام مشكوراً بسرد تاريخ البيت وكان فى منتهى الحماس وهو يروى لى كيف أن المبنى القديم يرجع تاريخه إلى العصور الوسطى وأن تاريخه بالضبط مجهول لأن الحرب قضت على الكثير من المخطوطات التاريخية، ولكن المؤكد أن المنزل كان ملكاً لأحد كبار التجار وكانت مفروشاته قيمة ثم تحول إلى فندق لمدة من الزمن ثم آل إلى الجمعية منذ عشر سنوات أى سنة ١٩٤٥ فأعدته لاستقبال مائة زائر. وهو لا يخلو من عدد كبير منهم .

أهم ما استرعى نظرى فيه وجود خريطة كبيرة مصورة بالألوان على الحائط فى البهو المعد لتناول الطعام ظهرت فيها شبكة بيوت الشباب فى السويد . كما أعجبت بطريقة ترتيب الأسرة الخشبية المثبتة فى الحائط على طريقة أسرة السفن وتوجد فى الدور الثالث غرفة المشرفين . وقد أعطانى مستر كارل خريطة للسويد بها دوائر حمراء ترشد إلى مئات من بيوت الشباب فى السويد مما يشهد بمدى اهتمامهم بها .

وقد لفت« الطالب » الدليل نظرى إلى موعد الرحلة خارج الجزيرة بينما كنت أعيش فى ذلك الجو التاريخى ولم أشعر بالوقت وهو يمر سريعاً !

جزيرة كورسا :

استأجرنا يختاً من جنوب جزيرة فيسبى لمدة ساعة فمررنا بجزيرة غير مسكونة ثم وصلنا جزيرة الطيور كما يسمونها، ولم نجد إلا مقهى صغيراً من الخشب يمتاز بالنظافة ويقدم مأكولات شهية ومرطبات للسائحين (صورة رقم ٨).

ثم قمنا بجولة فى الجزيرة وزرنا الكهف الذى يبلغ طوله ٢٥ متراً ويوجد به المتحف الخاص بأنواع الطيور السويدية عامة بما فيها البط وهو النوع الذى يسكن فى الجزيرة . رأيت الطيور مثبتة على الحائط بعضها على الأرفف وبعضها على شناكل بشكل فنى لطيف وقد لفت انتباهى صقر كبير محنط يتدلى من السقف وكأنه ينبض بالحياة .

أما مجموعة الطيور التى تسكن الجزيرة فهى النوع المسمى (البطريق) أو البنجوين وتبقى فيها من ٨يونيو إلى ٨ أغسطس سنوياً، كما يسكن فى هذه الجزيرة أربع عائلات للاهتمام بالمتحف، وهناك الفنار والمقهى السياحى :



صورة رقم ٨

ثم عدنا إلى فيسبى فى الساعة السادسة مساء من رحلة جزيرة الطيور حيث سهرنا مع التمثيلية الخالدة فى أطلال كنيسة « سانت نيكولا » الأثرية على أنوار الشموع والمشاعل .. ويقوم بالتمثيل فيها كبار نجوم الأوبرا والمسرح فى السويد .

متحف فى الهواء الطلق :

دعتنى مسز «نورد لاندر» السيدة السويدية— وكنت قد استقبلتها فى مصر ورافقتها فى رحلتها إلى الأقصر وأسوان — إلى تناول الشاى .

وتدير هذه السيدة مقهى (كافتيريا) يقع بجانب متحف « الأمير أوجين » على ربوة جميلة فى أحد أطراف الحدائق الملكية ، وهى التى تقوم بتجهيز

أنواع الكعك المختلفة ويعمل فى محلها نحو عشر آنسات -موظفات بالملابس السويدية القديمة — فى غاية النشاط .

كما دعتنى إلى تناول العشاء فى متحف (سكانسن) وهو ملحق بالمتحف الشمالى الكبير بالسويد وعلمت أنه أسس سنة ١٨٩١ بمعرفة البروفيسور « آرثرها زرسى » مدرس التاريخ وعلوم اللغة . . والمبنى عبارة عن مجموعة من بيوت الفلاحين والعمال فى العصور الوسطى وقد نسق بطريقة جذابة تجعل الزائر يتخيل الجو الذى كانوا يعيشون فيه ، ويشهد آلاتهم الموسيقية ورقصاتهم الشعبية والريفية .

ويضم عدا ذلك مجموعة من الحيوانات المنتجة والمواشى الأصلية .

والعجيب فى هذا المتحف الذى يجمع بين القديم والحديث أنه يقيم الحفلات الموسيقية الراقصة خلال موسم الصيف ، ورأت إدارته أن تلحق به أكثر من مطعم يقدم الوجبات الوطنية .

وعندما توجهت إلى المائدة التى حجزتها لتناول الطعام وجدت العلم المصرى يتوسطها ، وهى مجاملة لطيفة تدل على وعى هؤلاء القوم فى اجتذاب السائحين ، كذلك وجد كل سائح علم بلاده على مائدته ؛

وهكذا تمتعت بسهرة جميلة وعشاء سويدى مائة فى المائة .

وبلغت حفاوة (مسز نورد لاندر) بى إلى حد أن رافقتنى إلى حيث ، أوصلتنى فى الساعة الحادية عشرة إلى الفندق الذى أنزل به .

أكبر وأحدث مستشفى فى استكهولم :

وفى اليوم التالى تجولت فى المدينـــة كأى سائح همه استكشاف كل شئ ، فأوصلتنى قدماى إلى مستشفى من أحدث وأعظم المستشفيات العالمية ألحق به معهد للممرضات يتكون من ستة طوابق ويضم ٣٥٠ طالبة ، وأربعاً وعشرين مدرسة عدا المشرفين على إدارة المستشفى .

والمبنى حديث وأنيق للغاية وغرف الدراسة به هى مدرجات ذات مقاعد مريحة ملحق به مدرج به مصباح كهربائى يتحرك أمام السبورة وهى بعرض الحائط ، ويكفى الضغط على زر كهربائى لتحويلها إلى شاشة عرض سينمائى. ولأول مرة أشهد هذه الطريقة العملية الحديثة . وقد زود كل فصل من الفصول بسبورة من هذا النوع الحديث العجيب ، أما النوافذ فهى عريضة ولكل منها ستارة خاصة تسدل أيضاً بواسطة أزرار حتى تصبح الغرفة مظلمة تماما .

وتوجد للتمرين العملى غرف للغسيل وأخرى لطهو الأطعمة الخاصة بالمرضى وغرف أخرى للتعقيم .

والمدة المقررة للتعليم النظرى والعملى فى هذا المعهد ثلاث سنوات ويوجد فى الدور السادس بمبنى المعهد غرفة خاصة بالطالبات فى منتهى الأناقة كما خصص لهن صالون كبير به بيانو ومسرح وروف جاردن يشرف على ربوة تطل على أحد الخلجان ، وقد قدمت لى المشرفة سجلا أنيقاً لأسجل فيه كلمة عن انطباعاتى إثر هذه الزيارة .

أما المستشفى نفسه فيتسع لألف وخمسمائة مريض . وسألت مديرة المعهد عما إذا كان للمرضى الأجانب الحق فى دخوله ، فقالت : طبعا . . ولكنهم يدفعون ضعف مصاريف العلاج التى يدفعها المواطنون لأنها مقصورة على علاجهم بأجور متهاودة .

انتهيت من هذه الزيارة قرب الظهر وتمنيت للمرضى الشفاء العاجل .

معهد ليلز فينتما الرياضى :

قبل سفرى إلى السويد كانت عقيلة عميد هذا المعهد فى زيارة لمصر بدعوة من وزارة التربية والتعليم لمدة ثلاثة شهور لإلقاء محاضرات عن الرياضة البدنية ، فتعرفت عليها ودعوتها لتناول الشاى فى منزلى ، وعندما أصبحت على وشك السفر إلى السويد فى بعثتى إليها كانت هذه السيدة ماتزال فى القاهرة فطلبت

إلى أن أحمل لولدها هدية منها بمناسبة عيد ميلاده الذى يوافق يوم وصولى إلى استكهولم فرحبت بالقيام بهذه الخدمة وقمت بتوصيل هديتها إلى ولدها فور وصولى .

ثم عادت هذه السيدة إلى استوكهولم عقب انتهاء مهمتها فى القاهرة فاتصلت بى تليفونياً وتفضلت بدعوتى لقضاء يوم فى المعهد ردا على دعوتى لها فى القاهرة فلبيت دعوتها شاكرة .

ركبت باخرة صغيرة طافت بى لمدة ساعة خارج المدينة حتى وصلت إلى ميناء صغير كان العميد زوج السيدة فى انتظارى هناك بمركب بخارى صغير سار بين الخلجان والجزائر الجميلة لمدة نصف ساعة حتى وصلنا إلى إحدى الجزر ، وعلى ربوة فى مقدمتها شهدت مبنى المعهد الذى يضم فى الوقت نفسه بيت العميد. وهناك قابلتنى عقيلته مع أبنائها بالترحاب ثم اصطحبتنى فى جولة داخل المعهد الذى يضم مائة وخمسين مشتركاً من مدرسى ومدرسات التربية البدنية من مختلف البلدان والجنسيات ومن بينهم طائفة من أبناء وطنى فى دراسات صيفية ، وكنت أحمل معى فيلم « أرض الذكريات » فانتهزت الفرصة لعرض هذا الفيلم فى المعهد بعد أن قدمنى العميد إلى الحاضرين بتحية كريمة ، وكان الفيلم يحوى لقطات عن آثار أسوان والأقصر والقاهرة .

وبعد عرضها لم يلبث بعض الأعضاء أن أبدوا رغبتهم فى زيارة الجمهورية العربية المتحدة وبدءوا فى إلقاء الأسئلة فى شبه ندوة دعائية نجحت نجاحاً باهراً.

وقد فاتنى أن أذكر أنه كان هناك بالمعهد زميلان مصريان وهما من أساتذة التربية الرياضية وقد دعتهما معى عقيلة عميد المعهد لتناول الغذاء ، وكان نوع السمك الذى قدم إلينا فيه من أفخر أنواع السمك هناك ويسمى « سيمون » . فشكرانى بحرارة لإتاحة الفرصة لهما لتناول هذه الوجبة الارستقراطية الغالية ، ثم عدت فى المساء بطريق البر الذى لا يقل جمالا عن الطريق النهرى الذى اتخذته عند ذهابى إلى هناك .

لما كنت فى زيارة رسمية للسويد لدراسة نظم مكاتب الاستعلامات السياحية حضرت لمقابلتى سيدة صحفية من أكبر دور الصحف فى استكهولم وطلبت منى حديثاً عن مظاهر النهضة فى بلدى وعن بعثتى . . الخ .

وعندما انتهى الحديث أوخيل إلى أنه انتهى سألتنى السيدة الصحفية عن رأيى فى السيدة السويدية وما هى انطباعاتى عن بلدها ، فأبديت منتهى إعجابى بالبلد وبالمرأة السويدية ونشاطها الرياضى والثقافى ، ولست أدرى ماالذى ذكرنى بالقهوة ، ولعلى كنت فى حاجة لتناول فنجان مضبوط منها بعد هذا الحديث الطويل فقلت لها إن الذى لايعجبنى هنا هو صناعة القهوة فهى خفيفة ولا طعم لها ونحن فى بلدنا تعودنا تناول القهوة التركية اللذيذة وهنا نهضت الصحفية منصرفة .

وفى الساعة السابعة من صباح اليوم التالى فوجئت بمسز نورد لاند صاحبة الكافتيريا الجميلة تتصل بى تليفونياً لتعاتبنى على عدم ارتياحى للقهوة التى تجهزها وكنت قد نسيت حديثى مع الصحفية ، خصوصاً وإنى لم أقصد قهوتها بالذات . وحاولت بعد هذا أن تصنع لى القهوة مضبوطة على قدر الإمكان ثم سألتها : «كيف علمت بما دار بينى وبين الصحفية ؟» ، فأجابت بأن الخبر قد نشر فى صحف اليوم وأنها متأثرة من هذا الحديث ، فاعتذرت لها وقلت لها إن الأمر لم يخرج عن كونه مجرد دردشة بينى وبين الصحفية التى سببت ضيقاً وألماً لصديقتى صاحبة الكافتيريا .

وعندما كنت أجتاز إحدى الميادين فى استوكهولم ظهراً فى طريقى إلى أحد المطاعم لأتناول الغداء ، وجدت رجلا ألقى قطعة من الورق لايزيد حجمها عن ورقة خطاب صغير وإذا بأكثر من خمسة أشخاص يكفون عن السير ليشهدوا مايفعل هذا الشخص ونظروا إليه فى دهشة واستغراب وإذا بنظرات السخرية واللوم حملته على أن ينحنى ويلتقط قطعة الورق ويضعها فى جيبه ويواصل السير ، ويبدو أن هذا الشخص كان غريباً عن البلد :

وبعد تناول الغداء فى المطعم المتواضع ذهبت إلى النادى الرياضى الشعبى فوجدت أمامه طابوراً من المنتظرين ، كان وقتى ضيقاً فسألت عن السبب فقيل لى إن العدد كامل فى حوض السباحة وإدارة النادى تحدد العدد بحيث لا يزيد على ٥٠٠ شخص ، فإذا خرج عدد معين دخل بدله آخرون حتى لا يختل النظام فى حوض السباحة .

ولما علم القائمون على شئون النادى أنى مجرد زائرة لاترغب فى السباحة وتود مجرد زيارة النادى رحبوا بى ، ورافقنى أحدهم فى زيارة سريعة لأكبر ناد وحوض سباحة فى استوكهولم .

أعارنى وكيل مصلحة السياحة فى استوكهولم دليلا سياحياً أخرجه شخص يدعى (تمبل فيالدنج) كتب فيه عن الجمهورية العربية فصلا كله مفتريات وأكاذيب ، فأكذوبة عن تلوث المياه وأخرى عن انعدام الأمن فى الشوارع والسرقات التى تقوم بها الراقصات ذات الأسنان الذهبية .. الخ .

وكان قد طلب إلى ألا أنفعل أو أتضايق عند قراءة هذا الفصل قائلا : «إن هذا الرجل يهودى وقد كتب عن باقى البلاد أكاذيب أخرى وهو يبغى من وراء ذلك لفت الأنظار وقد كتب عن السويد أيضاً أشياء غير صحيحة » .

وعندما عدت إلى الفندق طالعت هذه الصفحات الشوهاء الوقحة مساء لأتمكن من رد الدليل إلى صاحبه الذى كفانى مؤونة شرائه بالثمن ، فلم أتمالك نفسى من الغضب وشعرت بالدم يصعد إلى رأسى ولم يطرق النوم جفونى .

وفى الصباح توجهت لمقابلة سفيرنا لأتحدث معه فى هذا الأمر ، وقد اتخذ إجراءات رسمية لمنع نشر هذه الأكاذيب فى المستقبل فى حالة إعادة نشر هذا الدليل الحافل بالأكاذيب .

النرويج

غادرت أستوكهولم بقطار العاشرة مساء إلى أوسلو عاصمة النرويج فوصلت اليها الساعة السابعة صباحاً . وفى المحطة وجدت فى مواجهتى مكتب الاستعلامات وطابوراً من السياح فى انتظار حجز أماكن فى الفنادق . وكان الزحام على أشده وعندما جاء دورى فى الطابور الطويل اعتذرت لى الموظفة بالمكتب لأنه لايوجد أى مكان فى الفنادق القريبة من وسط المدينة ، وحاولت أن تحجز لى غرفة فى ضاحية قريبة من أوسلو فشكرتها واعتزمت أن أبذل جهدى للعثور على أى مكان فى أى فندق قريب ، وأودعت حقيبتى الصغيرة مكتب الأمانات بالمحطة وذهبت أبحث عن فندق قريب . وعلى الجانب الآخر من ميدان المحطة فى زاوية منه وجدت بناء أحمر مرتفعاً يحمل اسم « فيكنج هوتيل » ، وعندما تقدمت إلى مكتب الاستقبال وطلبت غرفة لشخص واحد وأبرزت جواز سفرى وفيه وظيفتى رحب بى الموظف المختص وحجز لى غرفة لطيفة مناسبة بحمام صغير . وقد تبين لى أن الفندق من فنادق الدرجة الأولى ، فحمدت الله على توفيقى ثم غادرت الفندق وركبت الترام من الميدان للقيام بجولة فى المدينة ، وهذا الترام يعتبر مواصلة سياحية تعطى للسائح فكرة عامة عن البلد فهو يمر بمعالم المدينة الهامة . ثم نزلت منه عند مبنى البلدية وكنت قد سمعت عن فخامته وروعة اللوحات التى تكسو جدرانه من الداخل ، ففى كل غرفة مناظر تمثل الحياة النرويجية ولوحات تاريخية آية فى الفن . وكانت مفاجأة لى عندما وجدت مجموعة من السائحين يزورون المبنى وكانت بينهم زميلة لى — فى الكلية فى أثناء الدراسة — مع قرينها ، ولم نكن على اتصال منذ عدة سنوات . فاتفقنا على المقابلة مساء لقضاء السهرة فى أحد الملاهى ، وكانت المفاجأة الثانية عند باب الملهى وأنا فى انتظارهما إذ بدأنى بالتحية شاب مصرى أعرفه ومعه قرينته الألمانية وكان المفروض أن ينتظرانى على المحطة فى الصباح ، وكنا قد تقابلنا فى استوكهولم منذ ثلاثة أيام فى السفارة واتفقنا على ذلك ، ولكن كان يبدو عليهما مايشبه الشك فى الوفاء بهذا الموعد

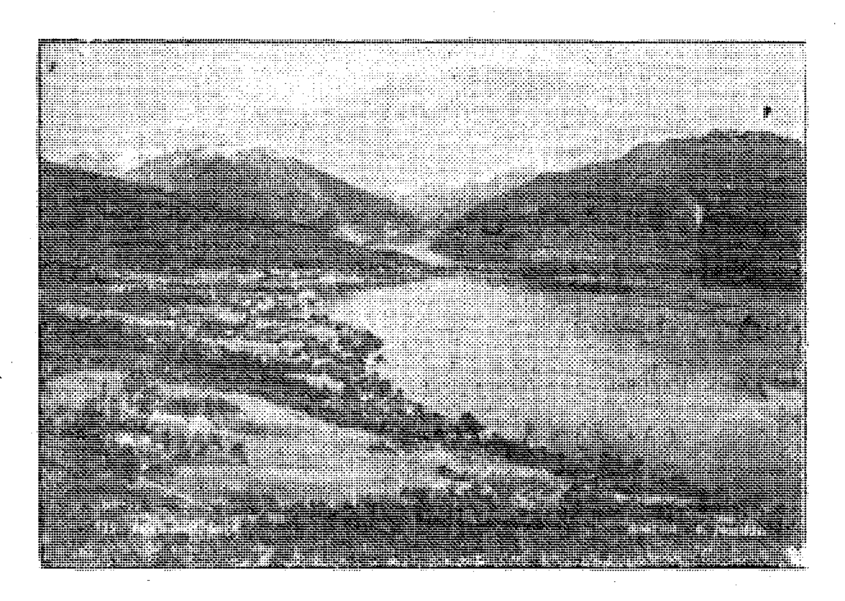
من ناحيتى إذ لم يتأكدا أنى سأصل فى الموعد لضيق الوقت . قضينا السهرة معاً ثم تقابلنا فى اليوم التالى لزيارة معالم المدينة وخصوصاً الحديقة التى تحتوى على تماثيل ترمز لتطور الحياة ، وهى آية فى جمال فن النحت الحديث .

لا أنكر أن الطبيعة أغدقت الكثير على البلاد الشمالية واختصتها بجمال لم يتوافر فى البلاد الأخرى بوجود (الفيوردت) ، وهى خلجان تتهادى بين جبال خضراء شاهقة وبها مجموعة جزر صغيرة منتشرة ، ولولاماقام به المسئولون هناك بالاشتراك مع سكان هذه البلاد لظلت هذه البحيرات والجبال غير مطروقة إلا لرواد الكشف (صورة رقم ٩ ، رقم ١٠) .

ولكن الجهود الإنسانية الجبارة أحالت هذه الأماكن إلى مناطق مأهوله تنتشر فيها مدن صغيرة على أكبر جانب من الجمال وتجتذب السائحين من جميع أطراف العالم حيث يتغنون ويتباهون بأنهم قاموا برحلات (الفيوردت) . وأهم ما اتجهت إليه هذه الجهود إنشاء السكك الحديدية الممتدة على قدر ما تحتمله سفوح الجبال ثم البواخر الصغيرة الأنيقة المنتظمة التى تجرى فى هذه القنوات ثم المواصلات بالأتوبيس بين الجهات التى استحال فيها امتداد السكك الحديدية . هذا إلى ما تقوم به المكاتب السياحية التابعة لهذه الدولة والمنتشرة فى كل أنحاء العالم والتى تدعو إلى مشاهدة هذه المناطق . وأهم مكتب سياحى فيها ترأسه سيدة ذات شخصية قوية وقد طلبت منى مطبوعات سياحية مصرية لتشجيع الإقبال على زيارة الجمهورية العربية المتحدة ، وقد أرسلت إليها ما طلبته من مكتبنا فى جنيف .

وقد زرت مكتب سياحة فى الشارع الرئيسى وعلمت أنه من المكاتب المستقلة عن الحكومة .

وقال لى المدير إن كل مديرى المكاتب الخاصة يجتمعون مع مندوبى الحكومة بمعدل مرتين فى السنة فى مدينة أوسلو وتقوم الحكومة بتوزيع مطبوعاتها على مكاتب الاستعلامات الخارجية وتعمل على توحيد الدعاية



(صورة رقم ٩)



(صورة رقم ١٠)

عن البلد، وقد سمعت نفس الشكوى التي سمعتها بنفسي في بلاد أخرى كثيرة من عدم توافر سبل الدعاية لجمهوريتنا نظراً لعدم وجود مكتب سياحة مصرى. ولم أملك إزاء ما سمعته سوى أن أقوم بتزويد هذه المكاتب ببعض النشرات والصور السياحية التي كانت معى، ووعدتهم بإرسال مجموعة أخرى عند عودتي للقاهرة .

ركبت قطار المساء إلى « فلوم » ثم ركبت آخر في الساعة الثالثة صباحاً وهو صغير الحجم خاص بالسير في الجبال ثم انتقلنا إلى مركب يشبه اليخت وهو يجتاز (الفيوردت) الخلجان الجميلة التي تشتهر بها النرويج .

وكان قائد المركب رجلا يناهز الخمسين، باش الوجه يتكلم الإنجليزية قليلا، وقد سألني عن بلدى فلما عرف أني مصرية ألفيت الدهشة الممزوجة بالإعجاب تبدو على وجهه وقال إن أول تاريخ قديم يدرسونه في مدارسهم هو تاريخ مصر ، وعندما عرضت عليه مجموعة من صور معالمنا المصرية كان يبدى اهتمامه وأخذ يسأل عن كل ما فيها، ومما قاله لى إن النرويج بلد غريب في طبيعته ويمتاز عن البلاد الأخرى بعلو جباله وتعدد ألوانها وقلة عدد سكانه بالنسبة لاتساع مساحته ، وأن رياضة الانزلاق على الثلج رياضة محببة إلى النفوس ويمارسها معظم السكان هناك ثم قال إنه من المؤسف أن مصر لا يسقط فيها الثلوج حتى تتمتع بهذه الرياضة ، كما قال إن الصيف هناك ثلاثة أشهر فقط وأن البلد فقير في الفاكهة والخضر ويود لو أنهم استوردوها من مصر .

وما أن انتهيت من هذا الحديث حتى سمعت صوتاً يردد بعدة لغات : « لقد وصلنا إلى أكبر ميناء على هذا الخليج». فحييت كابتن السفينة واجتزت طريقى إلى البر مع بقية الركاب، وكان في انتظارنا مرشد اصطحبنا إلى مطعم صغير أنيق على أحد جوانب الميناء .

ثم أخذ كل منا مكانه على الموائد الصغيرة لتناول طعام الفطور ، وكم كانت دهشتى عندما وجدت الجرسونات يقدمون لنا طبقاً من السردين المجفف وهو الطبق الرئيسى للإفطار عندهم ، ولاشك أن هذا يدل على قوة معدة سكان هذه المنطقة الجبلية وسلامة أكبادهم . وبعد جولة قصيرة لم تتجاوز الساعتين عدنا إلى السفينة التى كانت فى انتظارنا للعودة إلى أوسلو .

وقد أشارت على إحدى السيدات الإنجليزيات التى كانت معى فى نفس الرحلة بزيارة متحف أوسلو الأهلى ، فذهبنا إلى هناك ووجدته فعلا جديرا بالزيارة لما حواه من تاريخ تطور صناعة المراكب والقوارب وحياة الصيادين وأدوات الصيد منذ آلاف السنين .

وبعد أن خرجنا من هذا المتحف اصطحبنا الدليل إلى زيارة منزل يعتبر من أقدم المنازل فى النرويج وكان يقطنه أحد كبار الصيادين فوجدناه على حالته التى تركه عليها منذ عهود بعيدة .

وتجاذبت أطراف الحديث مع الدليل وكان على ثقافة عالية ، فخرجت منه بحصيلة لابأس بها من المعلومات عن هذا الشعب :

ومما علمته أن عدد جزر النرويج تبلغ حوالى ١٥٠ ألف جزيرة صغيرة وأن من صفات هذا الشعب أنه يؤمن بأن من الخير أن تنفق أموال الدولة فى نشر التعليم والعناية بالأطفال ورعاية الشيوخ ومحاربة الفقر والقيام بمختلف المشروعات الاجتماعية النافعة . وأنه حتى سنة ١٩٠٥ كانت النرويج تكون مع السويد والدانمارك دولة واحدة حتى حصلت على استقلالها دون حرب أو سفك دماء ، فطبيعة هذه الشعوب التى تعيش فى الشمال هى بغض الحرب والحرص على التعايش فى سلام دائم يتفق مع هدوء وجمال وتناسق هذه المناطق .

وعلمت منه أيضاً أن النرويج كانت تحتفظ بأسطول تجارى عظيم كان ترتيبه الرابع قبل الحرب بين الأساطيل التجارية فى العالم .

ومن أطرف المناظر التى يمكن أن يراها السائح فى ميناء أوسلو منظر سكانها من النساء والرجال وهم يقبلون على شراء الجمبرى من القوارب الصغيرة الواقفة بجانب الرصيف ويقزقزونه كما يفعل المصريون بقزقزة اللب أو الترمس :

ولاتكاد تخلو وجبة من وجبات الطعام حتى الإفطار من السمك والسردين بأنواعه . ولاعجب فى أن يشتهر الشعب النرويجى بين شعوب العالم بصناعة الأسماك وحفظها وصناعة السردين وتصدير كبد الحوت وصناعة المنسوجات الصوفية القومية ذات الرسوم الزاهية الجميلة .

عندما وجدت عندى بضع ساعات أقضيها فى أسلو قبل عودتى إلى السويد ، ركبت الترام الخاص بالمدينة الجامعية خارج أوسلو والتى تستعمل كفندق فى الصيف عندما تزدحم المدينة بالسائحين ،وهى المكان الذى كان مكتب استعلامات السكك الحديد يريد أن يحجز لى فيه غرفة عند وصولى .

وجدت هذه المدينة عبارة عن مبان متشابهة أنيقة مصطفة على جانبى شوارع عريضة تتوسطها حدائق وبينها ناد رياضى كامل من ملاعب تنس إلى جولف . . الخ .

وبها محال تجارية لبيع التذكارات التى تهم السائح وصور لمعالمها .

ثم عدت بنفس الترام بعد جولة قصيرة إلى أوسلو ، ثم ركبت قطار المساء إلى استوكهولم وكنت قد تركت بها باقى أمتعتى حتى عودتى .

وبعد قضاء يومين بعاصمة السويد قمت خلالها بإنهاء بعض الشئون ودعت بعدها الأصدقاء هناك ثم ركبت الأتوبيس السياحى المتوجه إلى عاصمة الدانمارك والتى يطلق عليها اسم (باريس الشمال) .

الدانمارك

كوبنهاجن مدينة الأساطير والشعر والجمال :

تعتبر كوبنهاجن من أقدم مدن بلاد الشمال ويرجع تاريخ إنشائها إلى القرن الثانى عشر .

بدأت جولتى فيها من ميدان البلدية فى وسط البلد، وقد لفت انتباهى دقة نظام المرور وتقسيم الميادين والشوارع وهذه المبانى الفخمة كدار البورصة التى تنتمى إلى عصر النهضة ، وقد ازدانت بالتماثيل وكذلك دار البلدية الضخمة ثم وقفت بنا السيارة قليلا حتى نشهد تمثال السيدة التى تركب الدراجة بشكل يسترعى الانتباه ، فسألت الدليل عن معنى هذا التمثال فقال لى إنه يرمز إلى الطقس الجميل والشمس الساطعة ، أما إذا تنبأت مصلحة الأرصاد بجو ممطر أو عاصف فإن هذه السيدة تختفى لتظهر مكانها سيدة أخرى تحمل مظلة، ويعتبر هذا البرج من معالم المدينة البارزة ويسمى التمثالان (سيدتا الجو) .

موقف للأولاد :

هذا هو التعبير الشائع عندهم ويطلقونه على الحدائق والملاعب الأنيقة المعدة خصيصا للأطفال فى الأحياء المختلفة فى المدينة . وتضم هذه المواقف مختلف الألعاب وأدوات التسلية حتى يتسنى للآباء والأمهات أن يتركوا أطفالهم كما لو كانت سياراتهم أو دراجاتهم فى المكان المخصص لهم ، حتى إذا ما انتهوا من أعمالهم عادوا إلى حيث تركوا أولادهم (فى الموقف) .

بنج للخنازير :

مررنا فى جولتنا بعد ذلك بالمذبح وهو عبارة عن مبان على هيئة دور ذات طابقين وساحة كبيرة فى الوسط ، ويحتوى الطابق الثانى على المكاتب والإدارة ، أما الدور الأول فهو مخصص للمذبح .

وكان مرورنا بعد الظهر فلم نعرف أنه المذبح إلا عندما قال لنا الدليل أن الغرفة الأولى فى الجهة اليسرى من المبنى خاصة بالتخدير ، فكل الخنازير وهى غالبية الذبائح تحقن بالمخدر قبل الذبح ، وكذلك باقى الماشية .

وهو تقليد طيب لكى لايحس الحيوان بآلام الذبح . ويا لها من إنسانية .

دراجات وخنازير :

لقد علمت من الدليل أن عدد السكان يناهز الأربعة ملايين فى حين أن عدد الدراجات ثلاثة ملايين ، كما أن عدد الخنازير يبلغ ستة ملايين . ومما هو جدير بالذكر أن الطفل فى السنة الأولى من عمره يجلس فى مقدمة الدراجة وفى السنة الثانية يجلس فى الخلف وعندما يبلغ الثالثة تكون له دراجة خاصة .

وفى فترة خروج الموظفين لايقل عدد الدراجات عن عشرة آلاف دراجة فى الساعة الواحدة وكثيراً ماترى أسرة كاملة تركب دراجة واحدة .

ويمتاز الشعب الدانمركى بمرحه وحسه المرهف ، فقد لاحظت فى أثناء هذه الرحلة أن الدليل المرافق لنا برغم ضعفه فى اللغة الإنجليزية لاتفوته النكتة فضلا عن سرعة خاطره العجيبة ، ولم يتورع عن التنكيت على الشعب السويدى وثرائه ، فكان يطلق النكتة بعد الأخرى وكيف أن الدانمرك تعتبر فقيرة لولا هؤلاء السياح الوافدين ، السويديين والأمريكيين ، وكان يقول إن زيادة عددهم سوف تتيح لنا المزيد من عدد المدارس والكليات .

وعندما مررنا بالسفارة الأمريكية بمبانيها الحديثة الفخمة والتى تفصلها عن السفارة الروسية مقابر ذات حدائق قال الدليل مداعباً : لا أشك أنه يوجد طريق سرى بين السفارتين تحت هذه المقابر » .

أما لعبة كرة القدم فقد قال الدليل إن السويد تملأ مدرجات نواديهم وهى الفائزة دائماً. كما يمتاز هذا الشعب المكافح بحبه للأجانب ، وتشعر وتحس ذلك لأول وهلة من معاملة موظفى الجمرك فلا تسمع إلا عبارات الترحيب ، حتى سائق السيارة قبل أن يسير بسيارته يرحب بك كأنه يعرفك منذ عهد بعيد دون تحفظ أو تكلف .

ولكل جزيرة من الجزر التى تتكون منها الدانمرك أغانيها المحببة إلى النفس وعلى الأخص أغانى المناسبات ، كما أن لكل موسم أغنية خاصة كذلك للبحر الأزرق الجميل والسواحل التى تغطيها الغابات الخضراء والزهور المختلفة الألوان البديعة أغان خاصة .

الفلاحون فى الدانمرك :

إنهم قوة مسيطرة تعتمد على النظام التعاونى الذى يسود حياتهم . وفى كل بلد من بلاد العالم تسمع أن الحكومة تكافح الفقر والجهل والمرض. أما فى الدانمرك فإن الأعداء الثلاثة لاوجود لها ، فإن الرخاء والعلم والصحة هى قوام هذا الشعب الذى قضى على هذه الأعداء الثلاثة منذ عهد طويل ، فهم يقدرون العلم حق قدره ، كما لم يقع نظرى على متسول واحد فى البلد ، فهناك مؤسسات خاصة تضم العجزة والفقراء وهناك موارد دائمة للإنفاق على هذه المؤسسات .

ومن أعجب ماذكره لنا الدليل أن أشهر مصانع البيرة توجد عندهم وهى كارلسبرج ، ولها مجلس إدارة يضم خمسة من العلماء الأساتذة فى الجامعة ويرجع ذلك إلى أن جميع أرباح هذه المصانع الكبيرة قد خصصت لتشجيع العلم والفن والبحوث العلمية .

وقد أقامت الدولة مساكن شعبية أنيقة منها عمارة واحدة بطول الشارع بها ٢٨٠ شرفة من طراز واحد تتدلى فى كل شرفة منها زهور جميلة ، كما

أقامت فى حى آخر فيلات صغيرة حمراء يرجع تاريخها إلى عهدالملك كريستيان وقد منحتها الحكومة لطائفة الصيادين والعاملين فى الزراعة ، وتتميز هذه الفيلات بوضع الشارات عليها بدلا من الأرقام، وهى عبارة عن تماثيل فى أوضاع مختلفة وقد أوحى بهذه الفكرة حرص القوم هناك على حياة الأطفال فإن ضل طفل طريق منزله لايذكر الرقم ، وإنما يذكر التمثال ورسمه المميز .

قلعة كروزنبرج :

قمت برحلة خارج كوبنهاجن لزيارة القلاع القديمة وهى من أشهر معالم الدانمرك السياحية وقضيت بعض الوقت فى أشهرها وهى قلعة كروزنبرج التى بناها الملك فريدريك الثانى عام ١٥٨٥ والتى تؤكد الأساطير أن الأمير هاملت كان يعيش فيها ، ومما هو جدير بالذكر أن مسرحية شكسبير التى خلدت هامات تمثل كل عام فى فناء القلعة ويقوم بتمثيل أدوارها نخبة من مشاهير الممثلين والممثلات فى أثناء الموسم السياحى ، ويعلن عنها فى مختلف البلاد حتى تجتذب أكبر عدد من السائحين .

سهرة فى تيفولى :

فى كوبنهاجن مجموعة ممتازة من الفنادق الكبيرة المختلفة الدرجات ، وفيها من المسارح العدد الوفير كما أنها تضم حديقة تيفولى المشهورة والتى حرصت على قضاء بضع ساعات من آخر ليلة لى فى كوبنهاجن بين ملاهيها ، وعند دخولى الحديقة قمت بشراء الدليل الخاص بمحتوياتها ، فدهشت مما تحويه ، من عدد كبير من الملاهى والمسارح والألعاب والبرامج القصيرة المتتابعة ، فهناك مسرح للباليه من الساعة السابعة إلى الساعة الثامنة ومسرح للتمثيل مدته نصف ساعة ومسرح آخر يقدم الألعاب البهلوانية (الأكروبات) الممتازة ، وأسعار الدخول فيه معتدلة بالنسبة للمقاعد ، أما الوقوف فمجاناً .

وبجانب الملاهى توجد المطاعم الفاخرة تعزف فيها الموسيقى الشعبية الراقصة ، كذلك المتاجر الصغيرة ومعظمها يقدم (الكورف) الساخن وهو السجق الذى يطلق عليه الأمريكان الكلاب الساخنة Hop Days ، بجانب أنواع الحلوى المتعددة والمرطبات . أما النافورة ذات التماثيل الجميلة والأنوار الملونة التى تتدفق من وسطها المياه فمحاطة بالمقاعد وأمامها مسرح عال تعزف فيه الموسيقى وتقام فيه المسابقات .

كما توجد أماكن للرماية وللأطفال والكبار على السواء . وفى الموسم الصيفى السياحى تطلق الصواريخ ثلاث مرات فى الأسبوع عند منتصف الليل وهو الموعد الذى تنتهى فيه سهرات التيفولى الرائعة .

وقد تمنيت لو أنشئت مثل هذه الجنة فى مكان ما فى القاهرة وليكن فى منطقة الجزيرة مثلاً على أن تكون تحت رقابة دقيقة فى كل نواحيها ، لأن القاهرة مازالت تفتقر إلى مثل هذه الملاهى السياحية . وقد أكد لى هذا أحد الأطباء النرويجيين من أوسلو قائلاً إنه عندما زار القاهرة منذ سنتين ورأى الكثير من الآثار القديمة والمتاحف كان يود أيضاً لو شهد فى مصر الحديثة بعض الملاهى الحديثة أو أماكن الترفيه والتسلية .

وبعد انتهاء السهرة التى شهدت فيها هذه المجموعة المسلية من الملاهى أطلقت الصواريخ على أشكال الورود والزهور ثم انتشرت فى السماء بالألوان الزاهية عبارات الترحيب بالزوار وإعلان انتهاء السهرة بكلمة (طاب مساؤكم) .

عدت إلى الفندق القريب وتهيأت للسفر بالأتوبيس الاسكندنياوى صباح اليوم التالى .

وبينما أنا أقف على باب الفندق أنتظر مجىء الأتوبيس إذ بالآنسة فيفى الموظفة بالمكتب السياحى فى كوبنهاجن والتى كانت قد رافقتنى فى أثناء وجودى

فى العاصمة تظهر على دراجتها حاملة وردتين بالعدد وقدمتهما إلى مع ابتسامة لطيفة بمناسبة سفرى .

وبينما هى تتجاذب معى آخر حديث سياحى إذا برجل يبدو عليه الوقار يتقدم إلينا متوكئاً على عصاه ويبادرنا بالتحية مقدماً نفسه كصحفى فى جريدة يومية هناك وقد فهم من مناقشتى مع فيفى أنى أجنبية، وكم كانت دهشته عند ماعلم أنى مصرية لأن المصريين فى مخيلته ليسوا إلا قوماً متأخرين ونساؤهم محجبات سجينات فى الدور لتربية الأطفال .

ثم أدرك من الحوار والمناقشة أن معلوماته خاطئة،وأن أفكاره وما تصوره لا يستند إلى الواقع ،وحين علم أنى موظفة وأقوم فى هذه الرحلة بمفردى فى بعثة حكومية دراسية أبدى أعجابه ودار بيننا حديث عن تحرر المرأة المصرية ونشاطها فى جميع المجالات ثم سألنى :

— هل مجيئك إلى هنا ياسيدتى لإنشاء مكتب سياحى لبلدكم ؟ ،

فأجبته بأن هذه الفكرة ستنفذ قريباً كما نفذناها منذ وقت قصير فى

ستوكهولم . وهنا ثارت ثائرة الرجل وقال محتداً :

— كيف تفضلون استوكهولم على كوبنهاجن فى إنشاء مثل هذا المكتب ؟ علماً بأنها مركز سياحى هام وهى أقرب من استوكهولم وملتقى سياحى عظيم لمعظم دول أوربا،ولمن يفد إليها من السائحين وسيادتك منهم .

فهدأت ثائرته وقلت إنه لا أفضلية هناك وإنما المسألة مسألة تخطيط تقوم به مصلحة السياحة .

ولولا مجىء الأتوبيس واستئذانى منه للركوب لما تخلصت من تأنيبه لى واحتجاجه على عدم فتح مكتب سياحى فى بلده قبل السويد .

رفاق السفر

مما لا شك فيه أن فى مقدمة مزايا السفر والسياحة أن يلتقى الإنسان بأجناس وأشكال مختلفة تتباين طبائعها وعاداتها وتقاليدها ولغاتها وأن يشهد السائح ويرى رأى العين ما قرأ عنه وما سمع به وأن يضيف إلى معلوماته معلومات جديدة وطريفة .

ومن هذا القبيل ما صادفنى فى طريقى من بلجيكا إلى فرنسا وأنا مسافرة بالقطار إذ التقيت بثلاث سيدات إنجليزيات استرعى انتباهى فيهن زيهن الخاص برائدات الحركة الكشفية فى العالم على الرغم من تقدمهن فى السن وكن يتسمن بالاناقة والنشاط ، فكان من الطبيعى أن نتجاذب أطراف الحديث إذ كان يجمعنا صالون واحد ، فعلمت منهن أنهن فى الطريق إلى حضور مؤتمر المرشدات والقادة الدولى الذى يقام فى الدنمارك وكان أول مؤتمر عالمى حينذاك (يوليه ١٩٥٥) وكانت الفكرة من عقده هناك أن الدنمارك تعتبر فى مقدمة البلاد التى شجعت هذه الحركة منذ قيامها وعملت على نشرها كما علمت منهن أن ابن اللورد بادن باول مؤسس الحركة الكشفية وأول روادها سيحضر هذا المؤتمر لتوحيد هذه الحركة فى جميع أنحاء العالم . والهدف كما قالت لى إحداهن أن المؤتمر يجمع شمل الأعضاء الشباب منهم والرواد القدماء لكى يقدموا خبرتهم وتوجيهاتهم للرواد الجدد . وقد كانت الرفيقات — وهن يتنافسن فى سرد الذكريات عن المعسكرات التى اشتركن فيها — فى منتهى النشوة والسعادة ، خاصة وأنهن قد بدأن نشاطهن كمرشدات منذ عام ١٩١٦ إلى أن التقيت بهن فى عام ١٩٥٥ . كما ذكرن أن أول مؤتمر لجمعية المرشدات عقد عام ١٩٢٠ فى مدينة اكسفورد الذى رأسه المؤسس الأول للحركة وزوجته التى كانت من أولى المشجعات له فى تنظيم ونشر هذه الحركة فى إنجلترا بعد أسفارة الكثيرة وتجاربه العديدة. وقد نجح اللورد بادن باول فى جعل هذه الحركة دولية وعالمية .

وقد مر الوقت بمنتهى السرعة فى هذه الدردشة اللطيفة بينى وبين هؤلاء السيدات اللطيفات الرياضيات .

وفى طريقى من مدينة بون بألمانيا الغربية إلى أستكهولم بالسويد لم أوفق فى العثور على مكان فى عربة النوم، ولكن الموظف المسئول أشار على بحجز مقعد متحرك فى عربة خاصة ملحقة بالقطار بجانب عربات النوم وهو يقوم مقام السرير . وقد أعجبت بفخامة العربة حين وجدت مقاعدها وقد كسيت بالقطيفة الحمراء الجميلة وعلى كل مقعد وسادة صغيرة غاية فى النظافة، كما كانت النوافذ مغطاة بستائر تتناسب وفخامة العربة وقد لاحظت أن التدفئة مناسبة للجو فسررت جداً لتوفيقى فى العثور على هذا المكان المريح .

وقد كانت رفيقة السفر هذه المرة سيدة سويدية تدرس اللغة الإنجليزية وكانت فى طريق عودتها من أجازتها السنوية التى قضتها فى فرنسا وإنجلترا وقد أدهشنى أنها تعرف الكثير عن تاريخ مصر، وقد أقنعتها بتمضية أجازتها القادمة فى مصر فقامت مشكورة بمرافقتى إلى الفندق الذى كان يبعد عن المحطة بنحو ربع الساعة ، لكنى كنت قد نسيت إحدى حقائبى على رصيف المحطة وفقدت الأمل فى العثور عليها ولكنى صممت على العودة إلى هناك، وما كان أشد سرورى حين وجدتها فى مكانها على الرصيف الخارجى للمحطة .

ومما يجدر ذكره أن المصادفة تلعب دوراً كبيراً فى الرحلات والأسفار، فعندما كنت أتناول طعام الغداء فى أحد النوادى النسائية فى استكهولم وكان ذلك فى عام ١٩٥٥ تعرفت على سيدتين أمريكيتين، إحداهما مدرسة والأخرى أمينة مكتبة، وكانتا فى رحلة حول العالم بعد تقاعدهما فرحبتا بى كل الترحيب حين علمتا أنى مصرية وأنى كنت أمينة مكتبة فقالت لى إحداهما على الفور :
« إننا كنا نود أن نقضى الشتاء الماضى فى بلدكم لولا قيام الحرب عندكم حيث بدأنا هذه الرحلة منذ ثمانية أشهر فى سيارتنا الخاصة التى نقودها بالتناوب

وقد أمضينا فترة الشتاء فى أسبانيا . وقد دهشت جداً لما سمعته منها عن وجود حرب فى بلدى وأنا لا أعلم عنها شيئا وكنت قد غادرتها منذ أيام . فنفيت وجود هذه الحرب طبعاً واتضح لى بعد ذلك أنها كانتا تقصدان حرب التحرير الجزائرية . فأخرجت الخريطة التى كنت أحملها معى وأوضحت لها مكان بلدى مع توضيح مكان الدول العربية المختلفة . وهذا دليل أكبر دليل على أن دعايتنا فى الخارج ليست على المستوى المطلوب وقد وعدتانى بقضاء موسم الشتاء القادم عندنا بأسوان ، فقدمت إليهما بعض النشرات السياحية التى كنت أحملها معى .

قمت من فينسيا فى الساعة الواحدة على الباخرة وكان الجو بالنسبة لى جديدا كما كانت المفاجآت جديدة أيضاً ، إذ وجدت السيدة الصغيرة زينب على وشك أن تشعر بدوار البحر فصعدت بها إلى سطح المركب ، فتحسنت حالتها نوعاً وكان يبدو عليها بعض التأثر إذ قصت على بلهجتها اللبنانية الظريفة شيئاً من ظروف زواجها وعائلتها فقالت إنها تزوجت منذ سبعة أشهر ورافقت زوجها فى رحلته الدراسية فى إيطاليا وكانت أول مرة تفارق فيها إخوتها الأربعة الصغار ، ولكنه السفر وحب المغامرات فى دماء اللبنانيين . وقد هاجر خالها فى طلب العلم والتجارة إلى أمريكا منذ أكثر من عشرين عاماً وكون ثروة لا بأس بها هناك. أما خالتها فقد تزوجت أخيراً شاباً لبنانى الأصل ولكنه يقيم فى أمريكا منذ سنوات عدة وقد حضر إلى بلدة ليتزوج من إحدى بنات جنسه ، وهذا تقليد كريم من غير شك ، فالسفر والاغتراب لا يحول بين المغترب وبين الحنين إلى أهله ووطنه . وقد أشادت ببلدتها زحلة ولم تنس أن تأخذ معها فى رحلتها أهم عناصر طعام الكبيبة ، وهو «البرغل» ، وقد قامت بطهوها للطليان وكانت دعاية لبلدها .

الرفيقة الثانية فى «الكابين» سيدة سويسرية رقيقة متزوجة من أستاذ مصرى فى الكيمياء ، وعندما تخرج فى السنة الماضية سافر معها تاركين أولادهما الثلاثة فى رعاية أسرته فى طنطا ، فهى مسافرة للحصول على جواز سفر مصرى خاص

بها ،وتصحب الأولاد معها وتعود إلى زيورخ ،وهى قلقة لتركها زوجها كما أنها مضطرة لرؤية أولادها ، وأنها تتمنى أن تحصل على الجواز المصرى، وقد ظهرت آثار هذه الحيرة وهذا القلق فى عينيها التى عبرتا عن آلامها وإن كانت لم تتكلم إلا قليلاً .

وهذا شاب مراكشى كان يدرس فى فرنسا ،وهو عائد إلى بلده بعد أن أمضى بعض الوقت فى مصر ،وهو مسرور لرجوع السلطان محمد الخامس إلى المغرب بعد نفيه، وكان يبدو عليه روح الحماس فى صوته ، ولا يمل من تكرار أنشودته المفضلة عن الاتحاد بين البلاد العربية حتى تقضى على الاستعمار بنضالها واتحادها ووحدة رأيها . وقد سألنى إذا كان كل المسلمين يصلون فى مصر وهل تعدد الزوجات مباح أم لا فأجبت بأن المسلمين يؤدون الصلاة فى المساجد. أما تعدد الزوجات فأصبح نادراً، وهناك تشريعات فى سبيلها إلى الظهور تضع قيوداً على التعدد .

زيارة القدس

عزمت أنا وأسرة مصرية على أن نقوم برحلة إلى القدس بسيارة خاصة ، تركنا القاهرة فى الساعة الخامسة صباحاً إلى الإسماعيلية ثم عبرنا القناة بالسيارة على المعدية وسلكنا طريقاً صحراويا ممهداً يشبه لحد كبير طريق القاهرة إسكندرية إذا استثنينا ما به من منحدرات ومنحنيات .

توقفنا فى بير سبع وهى بلد عربية صغيرة متواضعة وأهلها قوم كرام مجاملون ولحسن الحظ وجدنا بها فندقاً صغيراً قضينا فيه الليل حيث كانت معنا سيدة متقدمة فى السن شعرت بدوار من السير فى الطريق المتعرج ولم نستأنف السفر إلا فى صباح اليوم التالى إلى بيروت عندما عادت السيدة العجوز إلى صحتها .

قمنا بجولة فى جبال لبنان الجميلة من عاليه لبيت مارى لسوق العزب لبكفاية وعلمنا أثناء تجوالنا فيها أن الحكومة الفرنسية قد أنشأت بها معهداً فرنسياً لدراسة اللغة العربية الدارجة ،ويعتبر أول معهد من نوعة فى الشرق. فزرنا المعهد وقابلنا مديره ومساعده ورحبا بنا وأطلعونا على نظام التدريس الذى يقوم على تسجيل الدروس بأجهزة التسجيل ثم يستمع كل طالب إلى ما سجله الجهاز المرات الكافية لاستيعاب مافيه،وهى طريقة توفر وقت المدرس وتعطى الطالب فرصة التكرار (والتكرار يعلم الحمار) .

ثم انحدرنا إلى بيروت ثانية لشراء مايلزمنا من زاد فى طريقنا إلى القدس وعندما خرجنا من بيروت سألنا عن الطريق الموصل لمدينة القدس حيث كانت الطرق متشعبه متعرجة .

وعندما سألنا أحد المارة أشار بيده إلى الجهة اليسرى قائلاً : « بعد بضع فشخات (خطوات) ستجدون طريقين واحد مزفت وآخر ما مزفت .

تتركوه وتواصلوا السير فى المزفت » ، وفعلا عملنا بإشاراته ونحن نخفى الضحك حيث كانت الالفاظ غريبة طبعا ولكننا تقبلناها لخفة دم أصحابها الذين مازالت لهجتهم فطرية . .

وكان الطريق جبلياً يقع بين تلال ترتفع قليلا وتنخفض قليلا تتخللها هضاب خضراء وجداول ماء تنساب فيها أسلاك من الفضة ، وبعد بضع ساعات ونحن نتمتع بمناظر الطبيعة الخلابة أطلت علينا المدينة الخالدة وسط حقول الزيتون وكروم العنب والقرى الصغيرة المنتشرة حولها على طول هذا الطريق الرئيسى فى وداعة وهدوء .

وعند وصولنا إلى المدينة الجميلة كان الوقت مازال مبكراً ، فظهرت فلاحات هذه القرى بملابسهن المزركشة بألوانها الزاهية يحملن الثمار والفواكه الطازجة للمدينة المقدسة .

ثم لمحنا القدس القديمة التى تحيط بها الأسوار القديمة وفيها الصخرة المعلقة والمسجد الأقصى وكنيسة القيامة .

كان فندق الملك داود مازال قائماً وقد سررنا بوجود أماكن خالية فيه ، وعندما دخلت الفندق ذكرنى فى طرازه بفندق مينا هاوس عندنا بأعمدته الضخمة وقاعاته الفسيحة وأثاثه (الأرابسك) والجو العربى . وبعد أن حجزنا الغرف اللازمة لنا ووضعنا بها حقائبنا تناولت بعض المرطبات فى بهو الفندق الخارجى .

ولما كان وصولنا هذا قد صادف يوم جمعة فقد حرصنا على الصلاة فى المسجد الأقصى ، وقد مررنا فى طريقنا إليه بأزقة ضيقة أرضها مرصوفة بحجارة ودرجات منحدرة وبوابات ، وبعض الممرات المسقوفة على الطراز الرومانى والمبانى لها (شبابيك الحريم) بالنقوش العربية القديمة فتجدها خليطاً من الطابعين الرومانى والعربى .

وتزدحم شوارع المدينة الخالدة بالمحال التجارية من مخابز ومحلات بقالة ومقاه ... الخ ، وما أن اقتربنا من بيت المقدس حتى امتلأت قلوبنا برهبة هزت مشاعرنا ووجداننا فد ارت بخلدنا أحداث التاريخ المجيد وسماحة الإسلام وصلاة عمر بن الخطاب فى هذا المكان منذ أربعةعشر قرناً ،فانتحينا مكاناً خاصا بالسيدات وصلينا الجمعة فيه وكان الجناح يغص بالمصلين من مختلف البلاد .

قضينا ليلتين فى فندق الملك داود ولما كان الوقت محدوداً فقد استعنت بدليل ليرافقنا فى جولة سريعة فى هذه الأماكن المقدسة مهد الأنبياء ومهبط الديانات السماوية والتى تضم مقدسات الأديان الثلاثة مهد السيد المسيح وجبل الزيتون ونهر الأردن والخليل وغيرها من المناطق ذات المناظر الطبيعية الفاتنة . كل ذلك جعل منها بلاداً سياحية على أكبر جانب من الأهمية ،وهى تعتبر مشتى ومصيفاً وتجمع بين الشرق والغرب ومركزها الدينى التاريخى يجعلها قبلة للزائرين .

« ولابد لنا أن نشير هنا إلى أن كلمة الحرم القدسى تشمل مسجد قبه الصخرةوالمسجد الأقصى وما حولها من ساحات ومنشآت حتى الأسوار ،وتبلغ مساحته على وجه التقريب ٢٦٠٦٥٠ متراً مربعاً وله عشرة أبواب وسبعة عشر بئراً بعضها فى صحن الصخرة والبعض على مقربة من المسجد الأقصى ؛ وللحرم أربع مآذن عالية » هكذا كان الدليل الشاب يشرح لنا بصوت هادئ تخالطه نبرة فخار فى أسلوب تاريخى جميل وكنا نستمع لشرحه فى منتهى الخشوع بوجودنا بين هذه الآثار المقدسة وتاريخها الحافل ،ثم استأنف الدليل الشرح قائلا : « تقوم القدس على تسعة جبال وتلال أهمها تل موريا والمشارف وجبل المكبر وجبل صهيون وجبل الزيتون الذى يقع فى شرقى مدينة القدس وتاريخه متصل بتاريخ المدينة الخالدة ، فقد حطمت عليه الجيوش التى أتت لفتحها وعليه نزلت الجيوش الإسلامية التى حاصرت المدينة . ومنه صعد السيد المسيح إلى السماء حيث تقوم الآن كنيسة الصعود ، وفى أسفله توجد كنيسة

مريم المجدلية ومقام السيدة العذراء . أما عدد الجوامع الإسلامية والمساجد في القدس فهو ٣٦ جامعا عدا مسجدي الصخرة والأقصى ، وهي موزعة في أنحاء المدينة ، ومنها ٢٩ في المدينة القديمة داخل السور وسبعة خارج السور ، كما توجد قبور طائفة من المجاهدين الشهداء و جماعة من الصحابة الذين سكنوها وماتوا فيها » .

سألت الدليل بعد الانتهاء من شرحه الوافي إذا كان الوقت يسمح بزيارة بيت لحم وهل هي تبعد كثيراً عن القدس ؟

فرد الدليل بأنها تبعد حوالي ١٦ كيلو من المدينة جنوباً ، وبعد أخذ رأي المجموعة اتجهنا إلى بيت لحم فوجدناها مدينة صغيرة جميلة تحيط بها الكروم وأشجار الزيتون والبساتين الخضراء ، وزرنا كنيسة الملكة هيلانه (سنة ٣٢٦م) ولاتزال محتفظة بطابعها القديم المميز .

ووجدنا بجانب الكنيسة العظيمة محال تجارية تزخر بالمصنوعات الصدفية والخشبية وأشغال الابره والتطريز التي يشتهر بها أهل بيت لحم .

عرض علينا المرافق أو الدليل الشاب أن نكمل رحلتنا التاريخية إلى مدينة الخليل أو خليل الرحمن كما يطلق عليها قائلا :

«إنها تبعد حوالي ٤٣ كيلو متراً من القدس في نفس الاتجاه الجنوبي وتعتبر من أقدم المدن التاريخية وفيها قبور طائفة من الانبياء كمقام نبي الله إبراهيم وزوجته سارة وأبنائهما إسحق ويعقوب ويوسف وزوجاتهم وفوق هذا المكان يوجد مسجد عظيم كما توجد بها مصانع الزجاج والأواني الملونة الفخارية التي تصنع باليد .

وتعتبر الخليل مصيفا جميلا تنحدر من سفوحه كروم العنب والتين ، وتحوطه البساتين الزاهرة ويستحق الزيارة » .

كانت المجموعة كلها أذاناً صاغية لشرح الدليل ومعلوماته القيمة، وقد شعرنا جميعاً وكأننا وصلنا الخليل وتمتعنا بزيارة معالمها المقدسة، وعندما توقف الدليل عن الكلام كانت الشمس قد قاربت المغيب والمناظر الطبيعية خلابة والكل أظهر دهشته من مرور الوقت السعيد بهذه السرعة، وكان علينا أن نعود إلى القدس قبل المساء لعدة أسباب، ولم نشعر بأى تعب من جولتنا في هذه الأماكن المقدسة والآثار التاريخية :

وأنهينا زيارتنا للقدس بزيارة سريعة لمتحف الآثار الفلسطيني ويقع في مدخل القدس على مقربة من المدينة القديمة ويحتوى على أثار قيمة وتحف، ويعتبر من أحسن المتاحف وأغناها في الشرق الأوسط من ناحية هندسة بنائه ومحتوياته الأثرية كما قال لنا الدليل وهو يوصلنا للفندق، وأخذنا في الاستعداد للسفر إلى القاهرة في صباح اليوم التالى .

قمنا من فندق الملك داود الساعة الخامسة صباحا بالسيارة بعد تناول بعض المأكولات الخفيفة وقد جهز لنا الفندق وجبة غداء للطريق ولم نكن نعلم أين ولا متى سنتناولها .

ولكن الطريق كان سهلا وهادئاً فوصلنا الإسماعيلية الساعة الثالثة بعد الظهر، واسترحنا على جانب الطريق وتناولنا آخر وجبة من البلاد المقدسة ثم استأنفنا السفر إلى القاهرة .

سـياحة روحية

كانت هذه الرحلة الروحية خاتمة المطاف ومسك الختام لرحلاتى التى طالما منيت النفس بها وقد حقق المولى أملى وهيأ لى هذه الفرصة السعيدة وهى الحج إلى بيت الله الحرام وزيارة الحرم النبوى الشريف .

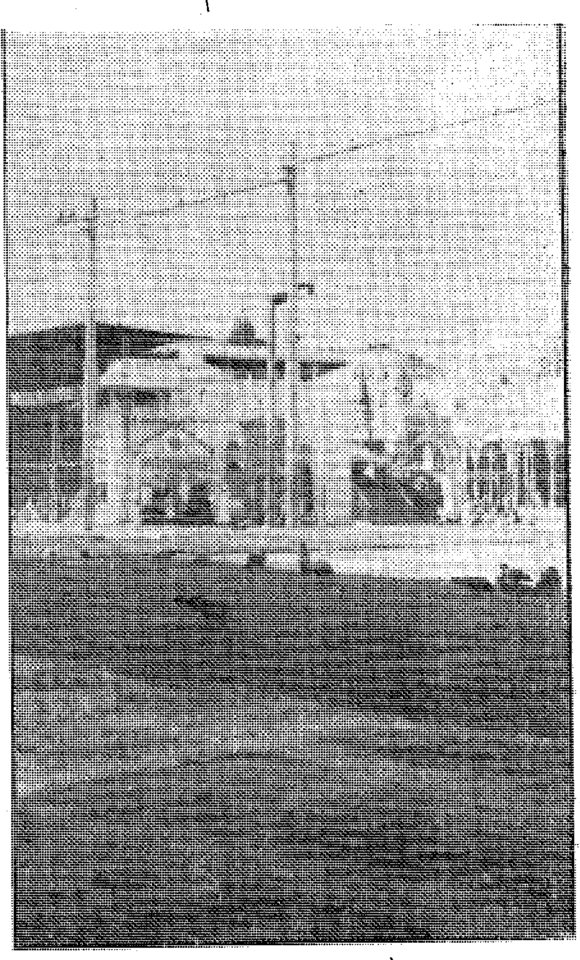
وقد أقلتنى الطائرة من مصر إلى جدة فوصلت إليها فى منتصف الليل تقريباً وكان فى انتظارى بالمطار عند وصولى إحدى قريباتى وزوجها، وكان هدفى من هذه الرحلة فى المقام الأول هو أن أؤدى فريضة الحج عن المرحومة والدتى التى كانت تود قبل وفاتها أن تؤدى هذه الفريضة ،وفى ذات الوقت أقوم أنا بأدائها وكان من علامات التوفيق أن إحدى صديقاتى بمصر طلبت إلى عند وصولى إلى الأراضى المقدسة أن أبحث عن سيدة تدعى « بشرى » — التى كانت جارية من جوارى أحد الأمراء السعوديين ثم أعتقت وأصبحت حرة طليقة — وتقوم الآن بأداء ما يطلب منها من خدمات خفيفة أو القيام بأداء الفريضة عن من لم يستطع أداءها .

داده بشرى :

فتحدثت إلى قريبتى فى هذا الشأن . وإذ نحن فى الحديث عنها طرق الباب فوجئنا بمقدمها بعد أن كنا فى سبيل البحث عنها . فلما تحدثت إليها فى موضوع أداء الفريضة نيابة عن والدتى رحبت وأبدت استعدادها لذلك . ومن المصادفات العجيبة أن هذه السيدة كانت صورة طبق الأصل من المربية التى كانت تقوم على تربية والدتى وكنا نطلق عليها اسم (الداده) كما كان العرف السائد فى الأسر القديمة ، وكنت إذ ذاك طفلة صغيرة ولكن مازلت أذكر صورتها التى انطبعت فى ذهنى منذ طفولتى حتى شهدت (داده بشرى) كما يطلقون عليها :

وقد مكثت فى جدة يومين ثم شددت الرحال إلى مكة المكرمة وكان الطريق مزدحماً بالحجاج من مختلف الأجناس والكل يردد الدعاء والابتهالات حتى وصلنا إلى بيت الله الحرام .

وهناك شهدت منظراً لا أنساه وسيظل منقوشاً فى ذهنى إلى الأبد إذ رأيت جماعة من أعراب نجد يتشبثون بستر من أستار الكعبة فى قوة وعنف حتى خيل إلى أن الستر يكاد يتمزق تحت قبضاتهم وهم يرددون فى أصوات كهزيم الرعد: « يارب اغفر لنا وارحمنا وإذا لم تغفر لنا وترحمنا فمن ذا الذى يغفر لنا ويرحمنا ؟ ؟ فاغفر ! ! » (صورة رقم ١١) .



(صورة رقم ١١)

وكأنى بهم،وقد رفعت الحجب بينهم وبين الله عز وجل ويخاطبونه ،كأنهم يرونه ، وعندها لم أملك نفسى ، فانهالت الدموع إزاء هذا المشهد الذى يدل على الإيمان الصادق الراسخ العميق،وكان مشهداً مثيراً رائعاً .

وهناك مشهد آخر وياله من مشهد ، فعندما كان الأعراب مايزالون يرددون الدعاء والابتهال على هذه الصورة انبرى من وسط هذا الخضم من الحجاج رجل تبدو عليه مظاهر التقوى والورع والإيمان يقف فى مواجهة هؤلاء الأعراب وهو يوجه الخطاب إليهم فى صوت جهورى متدفق قائلا :

« ياقوم إن الله يقول : قل يا عبادى الذين أسرفوا على أنفسهم لاتقنطوا من رحمة الله إن الله يغفر الذنوب جميعاً إنه هو الغفور الرحيم »

وهنا تراخت قبضات الأعراب عن الستر والتفتوا إلى الرجل وهم ، يرددون « الحمد لله . . الحمد لله » .

ثم أجهشوا بالبكاء فلم أتمالك نفسى وأجشهت معهم بالبكاء وأنا أردد: «اغفر لى وارحمنى ياأرحم الراحمين» .

المدينة المنورة :

كنت موفقة فى اختيار الفندق (سراى المدينة) وكان حديث البناء وقد دلنى عليه السيد السفير المصرى فى ذاك الوقت (لواء حافظ أبو الشهود) الذى كان قد حضر حفل افتتاحه قبل موسم الحج بأيام . وكانت مصادفة سعيدة أن وجدت به غرفة لى أنا وإحدى زميلاتى ،ومن التوفيق أيضاً أن تكون الغرفة فى الدور الرابع فى الزاوية التى تطل على باب الحرم، والقبة الخضراء قريبة جداً منى حتى وأنا فى فراشى ،

وإزاء هذا التوفيق أديت صلاة شكر لله ومكثت حوالى ستة أيام بجوار الرسول حظيت فيها بمتعة روحية وسعادة تساوى العمر كله .

ولم أستطع تأدية صلاة فجر آخر يوم من إقامتى فى المدينة فى الحرم النبوى بسبب وعكة مفاجئة،فصليت فى شرفة غرفتى بالفندق المطلة على الحرم صلاة الفجر جماعة مع باقى المصلين .

مكتبة شيخ الاسلام بالمدينة المنورة :

خرجت بعد صلاة العصر فى اليوم الثالث بالمدينة من باب جبريل المواجه لباب السلام بالحرم النبوى الشريف،واتجهت إلى اليمين فى ممر رخامى أبيض ناصع انتهى بعد حوالى خمسين متراً إلى بوابة (اركاد) توصل إلى زقاق ضيق وجدت على الجانب الأيمن منه باباً خشبياً منقوشاً عليه فى لوحة من الحجر (كتبخانة شيخ الإسلام المرحوم عارف حكمت بك أفندى) مع بعض أبيات من الشعر التركى فى مدح وتعريف صاحب المكتبة الأديب .

ورأيت فى وسط ساحة المكتبة عند دخولى نافورة من الرخام بها صنابير للوضوء وفى الجهة المقابلة للباب قاعة فسيحة مربعة الشكل مفروشة بالسجاد العجمى الفاخر وبها وسائد وكراسى ومصاحف للقراء على الطراز العربى . أما الكتب والمخطوطات النادرة فى هذه المكتبة فمودعة فى خزانات من زجاج على الحوائط الأربعة حسب موضوعاتها . استقبلنى أمين المكتبة وهو شيخ يبدو عليه سيماء الوقار يناهز الثمانين من عمره وهو فخور بمجموعته النادرة من المخطوطات ويحرص أشد الحرص عليها وأخذ يقص على فى إيجاز تاريخ المبنى وكيف أنه كان خاصا بالسيدة فاطمة بنت الحسين بعد أن أخرجها الوليد من الدار الواقعة خلف الحجرة الشريفة لتوسيع الحرم الشريف وبعدها هاجرت إلى مصر وتوفيت بها (السيدة فاطمة النبوية) .

وقد تأسست المكتبة فى عصر السلطان عبد المجيد سنة ١٢٦٥ هـ أى قبل بناء الحرم النبوى الشريف وأصبحت تابعة لإدارة الأوقاف ولها فى استامبول عقارات موقوفة عليها وبلغ مجموع المجلدات اثنى عشر ألف ومائتين من المخطوطات، والنادر منها خمسون مخطوط فقط، وأقدم المخطوطات فى هذه المكتبة المصحف المخطوط على رق الغزال وهو آية فى جمال الخط النسخ المشكل، قد طلب منى أمين المكتبة عندئذ ألا أكتب عنه شيئا خشية أن يغتصب منه .

وقد علمت منه أن الذين ساهموا فى تأسيس هذه المكتبة النادرة طائفة من السلاطين الاتراك والأعيان وجعلوها وقفا لا يباح استعارة شئ منها فى الخارج للمحافظة عليها وعلى ما بها من نفائس .

وقد تصفحت بعض المخطوطات القيمة وألقيت نظرة على محتويات المكتبة ثم شكرت للأمين الشيخ إبراهيم كرمه وحرصه على هذه الدار الثمينة بمحتوياتها .

وقبل انصرافى بدقائق دخل طفل فى الرابعة من عمره أشقر الشعر جميل الصورة فقدمه لى الشيخ قائلا : هذا هو على أصغر أولادى وترتيبه الحادى عشر بينهم .

فحييته وأنا فى دهشة من كل مارأيت وما سمعت وشكرته، وواصلت طريقى إلى الفندق حيث أقيم .

وفى الساعة الخامسة بعد الظهر ركبنا سيارة مع أحد الادلاء لزيارة جامع قباء وهو أول جامع صلى فيه الرسول صلى الله عليه وسلم، ثم جامع القبلتين ثم «السبع جوامع» ثم عين حمزة الجارية وكانت تمر من تحت الجبل ورأينا فيها بعض الأسماك، وكان بعض الحجاج يتبركون بالاغتسال منها .

وقد تمتعت بزيارة هذه الأماكن المقدسة القديمة التى جعلتنى أعيش فى راحة نفسية بضعة أيام، وقد صلينا فى كل جامع ركعتين تبركاً ثم عدنا للفندق .

جلست فى شرفة الفندق أكتب بعض الخطابات والمذكرات وإذا بأسرة مكونة من أربعة أشخاص يحيوننى جميعاً بكلمة « السلام عليكم » بلغة عربية تشوبها اللهجة الإفرنجية ، فرددت التحية بأحسن منها ثم قدم لى أحدهم نفسه قائلا : « الحاج أحد قاسم وهذه حرمى» وسألنى إذا كنت أتكلم الإنجليزية فرددت بالإيجاب فظهر عليه علامات الارتياح وسألنى العون لأنه يريد إرسال برقية لعائلته فى جنوب أفريقيا، فلبيت طلبه وكتبت البرقية ووجدتنى أنتهز هذه الفرصة لاقوم بعملى السياحى دون أن أشعر ، وقدمت لهم بعض المعلومات عن جمهوريتنا وأهم معالمها وفنادقها وأسعارها . . . الخ وانتهت المقابلة بعد ما قدمت إليهم نفسى وبطاقتى وعنوان مكتبى ومنزلى .

وبعد انتهاء موسم الحج فوجئت بزيارتهم فى مكتبى ، فأكرمت وفادتهم ودعوتهم إلى منزلى ثم نظمت لهم رحلات سياحية فى القاهرة والإسكندرية وسافروا مزودين بأجمل الذكريات .

عروس البحر الأحمر :

كان جو جدة حاراً تمازجه الرطوبة الشديدة ومع ذلك قضيت بها بضعة أيام فى انتظار دورى على الطائرة للعودة لبلادى .

استرعت نظرى الحركة التجارية الكبيرة فى جدة ولا غرو فى ذلك فهى المركز الأول لعبور الحجاج إلى بيت الله الحرام بحرا وجوا وبها كل السفارات والقنصليات العربية والأجنبية كما لفت نظرى بعض المبانى القديمة،والهندسة العربية الأصيلة التى ما زالت قائمة فى بعض أحياء جدة القديمة،أما الأحياء الحديثة ففيها المبانى ذات الطراز المعمارى الحديث من عمارات شامخة إلى فيلات وفنادق . . . الخ .

أما المطار فكان غاصاً بالحجاج من مختلف البلدان فى انتظار دورهم فى السفر الذى لايأتى إلا بشق الانفس،وبعد مقابلة مدير المطار (الشيخ ، الطاسان فى ذاك الوقت) اقتنع بضرورة سفرى بطبيعة وظيفتى بينما ظل

عدد ضخم من الحجاج يتخبط فى شبه يأس لضيق قاعات المطار وعدم توافر وسائل الراحة والإقامة، فشكرته وحمدت الله على هذا التوفيق و ركبت الطائرة عائدة إلى محجر الطور ثم القاهرة .

لا يفتى مالك والحاجة فاطمة فى الطور :

معسكر الطور عبارة عن بضع غرف متشابهة تتوسطها قطعة أرض فسيحة ، وفى أحد أطرافه مجموعة الغرف التى ينزل بها الحجاج لفترة استجمام طبية وذلك للتأكد من خلوهم من الأمراض المعدية، فيوجد المطعم والمقهى الخاص بالمعسكر، وفى المواعيد المحددة للوجبات يجتمع الحجاج لتناولها وتبادل الأحاديث والتحية .

وفى عصر اليوم التالى كنا نتناول فنجان شاى وعلى مقربة منى كان أحد الحجاج يناقش مسألة مناسك الحج قائلا لزميليه : « يجب أن يكون الحاج ملما بهذه المناسك إلماماً كاملا بحيث لا يترك حركة أو يقدم لفظاً أو يؤخر دعاء وإلا كانت الحجة غير سليمة » .

فانبرت الحاجة فاطمة من بيننا تصحح لهذا المتزمت معلوماته قائلة : « هل تظن أن الله يحاسبنا على هذه الشكليات ، إن الرب رب قلوب وهو يعلم ما بهم ويعلم مدى إيمان المخلوق ثم إنه غفور رحيم. وهل المفروض أن كل حاج ولد مثقفاً يعرف مناسك الحج ؟ ! ارجع يا حاج أحمد ولا تقل هذا الكلام وتجعل الحجاج يتشككون وتضيع علينا الحجة المبرورة والمتعة النفسية وإلا حاسبك الله على هذا الشك وهذا الضلال» ، ثم ذكرت قوله عليه الصلاة والسلام « بشروا ولا تنفروا » .

فانضم للحاجة فاطمة عدد من الزملاء والزميلات وانفضوا من حول الحاج أحمد المتزمت الذى لم يستمر فى سرد آرائه زاعماً أنه أستاذ كبير فى الفقه ، وانسحب إلى غرفته بسلام بينما بقيت الحاجة بروحها الخفيفة تخفف من وقع ذلك المتزمت بدعاباتها وضحكاتها .

انتهت مدة الحجر الصحي بسلام بعد أن زادت روابط الصداقة بين المجموعة واشترينا بعض التذكارات من البائعين المتجولين الذين حضروا خصيصاً إلى هذا المكان الذى فيه نهاية الرحلة المقدسة ، وحتى يحمل الحجاج الهدايا التى ربما شغلتهم مناسك الحج والعبادة عن شرائها من المدينة المنورة أو مكة المكرمة ، وأهمها المسابح والمناديل التى رسمت عليها مناظر الأماكن المقدسة ، والدبل الفضية . . . الخ .

وافترقنا فى المطار مرددين التمنيات بالعودة فى الموسم المقبل إن شاء الرحمن .

خاتمـــة

نأمل أن يكون القارئ قد جال بذهنه معنا فى هذه الرحلات التى ماقصدت من سردها ونشرها إلا تشجيع الشباب على الاسفار والوقوف على عادات وتقاليد الشعوب الأخرى لتكون له بمثابة مدرسة أو جامعة يستخلص منها ما ينفعه فى حياته العملية وفى خدمة وطنه .

ولا أدل على ذلك من منشور لوزارة الخارجية المصرية عثرت عليه بمحض المصادفة وزعته على جميع ممثليها الدبلوماسيين فى الخارج تحض فيها الشباب فى سفاراتنا وقنصلياتنا على انتهاز فرصة أجازاتهم وهم فى الخارج للقيام برحلات فى الدول الأجنبية ليقفوا على ما بها من حضارة وعلى مافى مجتمعاتها من أخلاق وثقافة،وعلى وسائلها الزراعية والاقتصادية ... الخ ، بحيث يلم كل دبلوماسى بما يهمه ويهم عمله ويعود عليه بسعة المدارك وما يكتشفه من آفاق جديدة تكسبه خبرة بالناس وبالحياة،وقيل قديماً إن خير حاكم هو ذلك الذى يكون قد مارس التجارة عشر سنوات وهى حكمه يونانية .

وأملى أيضا أن يجد القارئ الكريم ــ الذى سبق له زيارة هذه الأماكن أو بعضها ــ شيئاً جديداً ومتعة جديدة فى الرجوع به إلى هذه الأماكن بذكرياتها الجميلة من خلال هذه الاسطر .

وعلى الذين لم تتح لهم فرصة زيارة هذه البلاد أن يعزموا على السفر إليها ليشاهدوها على حقيقتها التى لم يستطع قلمى الضعيف توفيتها حقها من الوصف الدقيق .

ويجمل بنا فى هذا المقام ــ لنوفيه حقه ــ أن نوضح أن أهم شئ يجلب السائح هو حسن استقباله عند زيارته للبلاد . وسأسرد بعض ماشهدته بنفسى من حسن تصرف موظفى الموانى والمطارات من جوازات وجمارك وحجز صحى . . الخ .

دروس سياحية :

إن أول ما يقع عليه العين عندما يصل الإنسان إلى استكهولم فى أقصى الشمال أو فى مطار كوبنهاجن لافته كبيرة كتب عليها بأحرف كبيرة باللغة الإنجليزية « مرحباً بك فى السويد أو مرحباً بك فى الدانمارك »، والسائح الذى يزور هذه البلاد لأول مرة يشعر بفيض من السرور وهو يقرأ هذه العبارة ويخيل إليه أنها كتبت خصيصاً له حيث يرحب بشخصه وأن هذه البلاد إنما تفتح ذراعيها لتعانقه وهى ترحب به .

وفى كثير من المطارات الأوربية تمر قبل خروجك من الجمرك بموظف مهذب يسألك فى لطف وأدب عما إذا كنت قد حجزت غرفة فى فندق. ولكى يتأكد من ذلك يتصل تليفونياً بالفندق ليسأله عن رقم الغرفة ثم يسلمك ورقة صغيرة بالعنوان والرقم متمنياً لك أطيب الإقامة فى بلده، وإذا لم يعثر على حجرة فى الفندق الذى طلبت الحجز فيه، بادر بالاتصال بفندق آخر لكى لا يدعك دون أن يجد لك غرفة فى فندق آخر ويعين لك رقم الغرفة به وأجر هذه الغرفة .

أما مندوب الجمارك فى أوروبا فهو رجل جم الأدب تكاد الابتسامة لاتفارق شفتيه وهو يرفع يده إلى رأسه أو يرفع قبعته بالتحية لكل أجنبى تصادفه .

وقل أن يطالب أجنبى فى أوروبا بفتح حقائبه اللهم إلا إذا اشتبه فى أمره وكثيراً ما كان موظف الجمارك يسألنى بعد فحص جواز السفر والتأشير عليه قائلا : « أظن يا سيدتى أن حقائبك لا تضم غير حاجاتك الشخصية ؟» فأجيبه وأنا أخرج المفاتيح من حقيبة يدى « نعم هل تحب أن أفتحها ؟ » يهز

الرجل رأسه وهو يقول : «لاشكراً لك» ويصافحني مرحباً بي في بلاده، وإذا اجتزنا الحدود بالليل وجاء مندوب البوليس أو الجمرك ووجدني نائمة في عربة النوم فإنه يحرص على أن ينقر على الباب نقراً خفيفاً فإذا استيقظت كان أول ما يبتدرني به «مساء الخير ياسيدتي وعفواً عن إزعاجك»، ولا يكاد يستغرق مرورهم وتفتيشهم أكثر من دقائق. إن مندوب الجمرك أو البوليس في أي بلد من أوروبا ليقدر تماماً واجب الوطني حيال الأجنبي ويعرف أنه يمثل بلاده أمام هذا الزائر ويتوقف على تصرفه واستقباله ماهية الفكرة الأولى التي تنطبع عن هذا البلد.

كنت أجتاز الحدود بين إيطاليا والنمسا في طريقي بالقطار إلى فينا، وكانت تأشيرة الدخول قد انتهى ميعادها ببضعه أيام في جولتي بين فرنسا وإيطاليا وانجلترا، ولم أكن قد انتبهت إلى انتهاء تاريخها فلفت نظري مندوب البوليس إلى ذلك، فاعتذرت له عن سهوي وعرضت عليه ثمن تأشيرة أخرى فرفض ورحب بي وأشر على جواز السفر في دقائق فشكرته ولم أنس هذه اللفتة في بلاد الفن والموسيقى.

وأذكر مرة أخرى كنت فيها بصحبة زميلة لي في بعثة إلى انجلترا وهبطت بنا الطائرة في مطار ميونخ لبضع دقائق فطلبنا فنجانين من القهوة، وقبل أن تحضرها لنا المضيفة رأينا كوباً من الجيلاتي يسيل لها اللعاب وهي الاكلة المشهورة في هذه البلدة فطلبنا من المضيفة مع الاعتذار استبدال القهوة بالجيلاتي فما كان منها الا أن أحضرت الاثنين وعلى شفتيها ابتسامة لطيفة، واعتذرت عن قبول الفرق بين السعرين فشكرتها وانطبعت هذه اللفتة الكريمة في نفسينا إلى مابعد سنوات من الزيارة.

والسياحة تعتبر بحق خير مدرسة لتحصيل الفوائد والمعارف. وفي نظري أن كل بلد يزوره الإنسان إنما هو بمثابة فصل من فصول هذه المدرسة الحية، كما تعتبر من أعظم المعاهد. والمثقف الحق هو الذي لا يمكن أن تكتمل ثقافته إلا إذا جاب العالم من أقصاه إلى أقصاه.

وأنا ممن يؤمن بأن السياحة هي أعظم وسيلة للوصول إلى السلام الدائم الذي تنشده اليوم الدول وتتوق إليه الأمم، لأنها تخلق الصداقات العالمية بين الشعوب وتربط الناس بعضهم ببعض في كل مكان وتدعم حسن التفاهم بينهم . والسياحة ليست مجرد نزهات وأسفار يقوم بها بعض الناس في بلاد العالم لمجرد النزهة والترفيه والاستمتاع ، بل أصبحت بالنسبة للحكومات مورد دخل كبير لا أبالغ إذا قلت إن بعض الدول تعتمد في ٩٠٪ من دخلها على السياحة .

وهنا في مصر حيث يستمتع السائح بأصفى سماء وأجمل جو وحيث قامت الأديان كلها على مسرح واحد تهتف في آذان العالم بدعوة الخير والسلام .

هنا حيث عاشت أشهر وأعذب قصص الحب والغرام بين قيصر وكليوباترا ، وحيث المعارك والحروب وحيث سجن لويس التاسع ملك فرنسا في المنصورة وحيث مواقع الأهرام ورشيد وأبوقير وقصص البطولة المصرية .. الخ أقول إن هذه المعالم الواضحة البارزة في تاريخنا كفيلة بأن تعود علينا سنوياً بعشرات الملايين من الجنيهات التي ينفقها السائحون في بلاد أخرى لا تداني مصر في أنهارها ومناخها ، ويحتاج العالم في هذا العصر إلى إعادة الثقة وزيادة التفاهم ويمكن تحقيق هذه الغاية عن طريق السياحة . فلا بد إذا من إغراء الأجانب على زيارة مصر بالدعاية لها على أسس قويمة طبقاً لمنهج وتخطيط عصريين .

المحتوى

الجمهورية العربية المتحدة

مطبوعات

المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب والعلوم الاجتماعية

– ١١٤ –

الكتاب الأول (٤٤)

القاهرة

١٣٨٩ — ١٩٦٩

طبع بالهيئة العامة لشئون المطابع الأميريه

وكيل الوزارة

على سلطان على

رئيس مجلس الادارة

رقم الإيداع بدار الكتب ١٩٦٩/٢٦١٧

الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية

١٠٠٠-١٩٦٨-٣٧٩١

يسرية يسري

٥٠ ألف ميل بين بلاد العالم

المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب والعلوم الاجتماعية .

الإهـداء

إلى هواة السياحة

إلى كل من أسهم فى وضع التخطيط الثورى لأجهزة الإعلام

إلى كل من عبأ الطاقات والكفاءات فى سبيل رفع اسم الجمهورية العربية المتحدة عالياً فى المحيط العالمى والمجال الدولى السياحى ،

أقدم هذا الكتاب وهو مجموعة من الخواطر والمشاهدات أرجو بها أن أكون قد أسهمت بدورى فى نشر الوعى السياحى .

تقـــديم

بقلم الدكتور مهدى علام

عضو المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب والعلوم الاجتماعية

عهد الى فى فحص هذا الكتاب قبل نشره فى سلسلة « الكتاب الأول » التى يقدمها المجلس الأعلى ، للـكتاب الذين ينشرون أول عمـل أدبى لهم • ولئن كانت المؤلفة لم ينشر لها عمل قبل هذا ، انها من غير شك قد مارس فلمها الكتابة قبل اعداد هـذا النص • ففى أسلوبها دليل على نضج أدبى مبشر ، وفى عرضها لموضوعاتها أمل واعد • ومع اقرارى للنص فى جملته ، لم أتردد فى تحرير بعض عبـاراته بما لا ينتقص قدر كاتبته ، فمـا شرع « الكتاب الأول » الا لتسديد خطوات المؤلفين الموهوبين على الجادة المستقيمة • وقد استجابت المؤلفة للملاحظات التى تضمنها تقرير الفحص فى سماحة تدل على استعدادها لقبول النقد البناء •

ويتناول هذا الكتاب وصف عدد من الزيارات التى قامت بها المؤلفة فى قارتى آسـيا وأوربا : فقـد زارت الاتحـاد السوفيتى ، والصـين ، وسيلان ، وعدن ، وهنج كونج ، والقدس ، ومكة المكرمة ، والمدينة المنورة ؛ كما زارت السويد والنرويج ، والدنمارك ، وفرنسا ، وبريطانيا ، وايطاليا ، واليونان ، والنمسا ، وألمـانيا ، وهولندة ، وسويسرة ، وأسبانيا •

وفى هـذه الرحلة المترامية الأطراف عنيت الـكاتبة بعرض صور نابضة بالحياة لأهم المعالم التى زارتها ، والمدن الكبرى التى أقامت فيها ، ولمـا رأته من متـاحف ، ومكتبات ، ومصـانع ، وتماثيل فنية ، وجامعـات ، وبيوت للشباب • وفى أسلوب لا ينقلنا الى كتب الجغرافية كتبت عن طبيعة البـلاد وجوها ، وفى عبارات لا تقتحم حرم علم الاجتماع كتبت عن العادات والتقاليد التى شهدتها ــ كل ذلك ، أو معظم ذلك ، مع المقارنة الرشيدة بين ما ترى فى رحلاتها ، وما تعرفه عن بلادها • ومما تهنأ عليه الكاتبة ، فى هذا الصدد ، أنهـا استطاعت أن تحدد الخط الدقيق الذى يفصـل بين حبها لوطنهـا ، والتعصب لكل ما فيه •

وتختلف معالجتها للبلاد التى زارتها طولا وقصرا (وعمقا أحيـانا) ، تبعا للمدة التى قضتها فى كل منها ، مما يدل على أنهـا لم تخضع للاغراء الذى يقع فيه بعض الناشئين من كتاب الرحلات ، باستيفاء مالا يستطيعون مشاهدته شخصيا ، من الكتيبات والنشرات السياحية التى تغمر كل سائح فى تلك البلاد ؛ بل قصرت كتابتها على مشاهداتها الخاصه ٠ وقد لمست صدق وصفها فى كتابها عن الأماكن الكثيرة التى لى بها عهد ومعرفة ٠

وفى الكتاب لمسات شخصية وأنسانية ، ووصف لأحداث طريفة حدثت للمؤلفة ، وقد تنـاولها قلمها تناولا يجمع بين صـدق التصوير ، ويسر التعبير ، مع بعض اللفتات الفكاهية ٠

وقد ساعد الكاتبة على اطلاعها على البلاد التى زارتها مقابلتها فى تلك البلاد لعدد من مواطنيها وأقاربها الذين يقيمون فى تلك البلاد أو يزورونها ، وكذلك لقاؤها مع عدد من أهل تلك البلاد ، ممن كانت قد لقيتهم فى مصر فى أثناء زيارتهم لها ٠

ومن أهم ما يمتـاز به الكتاب أنه اختص بالوصف ـ الى جانب الأماكن ومناظرها ، والناس وعاداتهم ـ أربع نواح لها دلالاتها فى حياة الشعوب : وهى السياحة ، ودور الكتب ، ونشاط الشباب ، وتطور المرأة ٠ ويبدو لى أنه من الطبيعى أن تهتم الكاتبة بهذه النواحى : فهى سيدة تهتم بمركز بنات جنسها فى البـلاد المختلفة ، وهى أم تعنيها شئون الشباب ؛ ذلك الى أنها فى حيـاتها العملية مديرة لمنطقة سياحية ، كما أنها كانت مديرة لاحـدى المكتبات ٠

ولولا أن أرقام الصفحات ليست نهائيـة أمامى لأشرت الى كثير من الفقرات التى توضح ما ذكرته ، كالكلام عن مركز المرأة الصينية ، وبيوت الشباب ، وقصتها مع السيدة الانجليزية التى عجبت من أن تكون فى مصر مكتبات عامة ، فضلا عن أن تتولى امرأة ادارتها ٠

وتتجلى عنايتها بشئون السياحة فى عدة مواضع ، منها مثلا ما كتبته وهى فى هولندة اذ تقول :

« لقـد لمست ارتفـاع مسـتوى المطبوعات السياحية فى هولنـدة ، ولمـا بحثت عن السر فى ذلك وجدت أنها تطبع تحت اشراف ورقابة شديدة من الدولة ، سـواء فى الانتاج أو التوزيع » ٠

« وفى كل عام تجرى مسابقة كبيرة بين جميع النشرات التى نصدرها اتحادات السياحة الفرعية ، لمعرفة أحسنها وأقـدرها على اجتذاب السياح للبلاد ... وتختار النشرة الفائزة التى تمنح دبلوم شرف وجائزة رمزية..

« وهنـاك نقطة أخرى على كثير من الأهمية بالنسبة لهذه النشرات ، فالمختصون لا يعهدون بترجمتها الى مواطنيهم الهولنديين مهما أتقنوا اللغات الأجنبية . ورأيهم فى ذلك أن المواطنين تمكنهم كتابة لغة صحيحة ، ولكنهم يفتقدون روح اللغة الأجنبية وتعبيراتها ، ولهذا يلجئون الى الأجانب المقيمين فى هولندة على شرط ألا يكونوا قد قضوا فترة طويلة بعيدين عن أوطانهم ».

ونقول عن نشرة سياحية رأتها فى استوكهولم :

« أعارنى وكيل مصلحة السياحة فى استوكهولم دليلا سياحيا أخرجه شخص اسمه (تمبل فيلدنج) كتب فيـه عن الجمهورية العربية المتحـدة فصـلا كله مفتريات وأكاذيب : فأكذوبة عن تلوث الميـاه ، وأخرى عن انعـدام الأمن فى الشوارع ، والسرقات التى تقوم بهـا الراقصات ذوات الأسنان الذهبية ... وكان قد طلب الى ألا انفعل أو أتضايق عند قراءة هذا الفصل ، قائلا : ان هـذا الرجل يهودى ، وقد كتب عن باقى البـلاد أكاذيب أخـرى ، وهو يبغى من وراء ذلك لفت الأنظـار . وقد كتب عن السويد أيضا أشـياء غير صحيحة . وعندما عـدت الى الفندق طالعت هذه الصفحات الشوهاء الوقحة مسـاء ... فـلم أتمالك نفسى من الغضب ، وشعرت بالدم يصعد الى رأسى ، ولم يطرق النوم جفونى . وفى الصباح توجهت لمقابلة سفيرنا لأتحدث معه فى هذا الأمر . وقد اتخذ اجراءات رسمية لمنع نشر هذه الأكاذيب فى المستقبل فى حالة اعادة نشر هـذا الدليل الحافل بالأكاذيب » .

واذا كانت المؤلفة قد أدت واجبها ، فان الاجراء الذى اتخذته السفارة اجراء أقل ما يوصف به أنه سلبى ومتواضع .

وبعد فهذا كتاب يقرأ ، متقفا ومسـليا . وبه مجموعة كبيرة نفيسـة من الصور التى توضح الأماكن والشخصيات التى تتحدث عنهـا المؤلفة . ورجائى أن تنال هذه الصور فى طبعها ما يحتفظ لها بقيمتها .

كلمة قصيرة

أمام خريطة كبيرة فى بهو السفينة الكبيرة التى تمخر بى عباب المحيط الهندى وقفت أحاول أن أتتبع بعينى ما قطعته من أشواط فى أرض الله الواسعة .

فوجئت بصوت رجل يقف بجوارى ويقول بأدب جم « هل أستطيع أن أساعدك ، إننى بحار قديم ومهندس على دراية بالخرائط الملاحية ؟ فأخبرته بما أريد ، فأخرج الرجل من جيبه ورقة وسألنى عن البلاد التى زرتها فى رحلتى . وعندما انتهيت من ذكر هذه البلاد كان قد انتهى هو من تدوين أرقام ثم ابتسم وهو يمد لى يده بالورقة قائلاً : « هل تعرفين يا سيدتى أنك قطعت رحلة طويلة فى هذا العالم ؟ لقد قطعت بالضبط ٢٧ ألف ميل . »

لقد نشأت مولعة بالرحلات وارتياد آفاق المجهول . . وقد ساعد على نمو طبيعة حب الاستطلاع عندى ما كنت أطالعه الساعات الطوال عن معالم الحضارة والنهضة فى مختلف بلاد العالم . ومن المصادفات السعيدة فى المرحلة الأولى من دراستى أن الكلية الأمريكية كانت قد أعدت لطالباتها (وكنت إحداهن) رحلة إلى الخارج ، فاشتركت فيها وعدت منها بمشاهدات ومعلومات لا تزال عالقة فى خاطرى حتى اليوم ، إذ كانت أولى رحلاتى خارج وطنى .

وقد امتدت جذور هذه الهواية إلى أعماق نفسى ، إلى حد جعلنى لا أسمع عن رحلة إلا سارعت بالاشتراك فيها ، فضلاً عن أسفارى بمفردى إلى بعض بلاد أوربا وآسيا :

ثم أسعدنى الحظ خلال قيامى بوظيفة أمينة مكتبة أحد المعاهد العليا إذ تهيأت لى فرصة السياحة إلى الخارج كمبعوثة للاطلاع على نظم المكتبات هناك ، فأشبعت رغباتى فى هذا المجال وعند عودتى منها قدمت تقريراً وافياً عنها إلى الجهات المسئولة .

ومن حسن طالعى أن وفقت إلى الالتحاق بمصلحة السياحة فوجدت فيها المكان الصالح للمشاركة والإسهام فى الحقل السياحى .

وإذن ما أوردته فى هذا الكتاب ليس من وحى الخيال، أو منقولاً عن كتب أو مستقى من مراجع . وإنما هو حصيلة تجاربى ومعلوماتى ومشاهداتى التى عدت بها من أسفارى ورحلاتى وجولاتى ودراساتى ومناقشاتى .

مقـــدمة

الحمد لله الذى قال فى كتابه العزيز « فامشوا فى مناكبها وكلوا من رزقه وإليه النشور » والصلاة والسلام على سيدنا محمد الذى حث على الأسفار ضمنا بقوله « اطلبوا العلم ولو فى الصين » .

وناهيك بالركن الخامس للإسلام ألا وهو الحج الذى يعتبر أول نداء للسياحة الجماعية فى الجزيرة العربية ، ومفتاحاً لاقتصادها وموردا ً مالياً لأهلها حيث قال تعالى « وأذن فى الناس بالحج يأتوك رجالاً وعلى كل ضامر يأتين من كل فج عميق ليشهدوا منافع لهم » .

والمنافع قيل إنها التجارة فى ذلك الوقت ، ولا أكون مبالغة لو قلت إن التجارة هى المصدر الأول للسياحة ، فقد كان الناس يتكبدون مشاق الأسفار طلباً للبيع والشراء ، ولا أدل على ذلك من « رحلة الشتاء والصيف » المذكورة فى القرآن . وكان الرسول صلى الله عليه وسلم قبل وبعد زواجه من السيدة خديجة يرتحل طلباً للتجارة . وكانت لهذه الأسفار آثار بعيدة المدى فى العلاقات التجارية والدولية إذ عرف العرب المهند وهو السيف المصنوع من الصلب الهندى ، وإن سيداتنا لايزلن يذكرن (الموسلين) وما الكلمة إلا تحريف أجنبي لكلمة (موصلى) نسبة إلى مدينة الموصل المشهورة فى ذلك الحين بصناعة الحرير .

ولو رجعنا إلى التاريخ لوجدنا أن السياحة متأصلة فى نفوس البشر منذ أن خلق الله آدم وحواء فلقد عنى الرحالة القدامى بتدوين مشاهداتهم بفن يحسدهم عليه أدباؤنا اليوم ، فالرحالة « بثياس » الذى عاش فى القرن الرابع قبل الميلاد كان أول من اجتاز بحر المانش على سفينة شراعية وأقام

فى ناحية ريتانى الفرنسية ثم فى الفلمنك والدانمرك فالسويد حتى استقر فى أيسلندا ، وله كتاب جمع فيه أغرب ما شهده فى تجواله أطلق عليه اسم (من الأقيانوس إلى الكرة الأرضية) ، وقد نقل المؤرخ سترابون الكثير من هذا الكتاب .

أما فى القرون الوسطى فإن العرب هم الذين أكملوا رحلات أولئك المؤرخين القدامى ، فلدينا أبو القاسم محمد ، وابن حوقل صاحب كتاب (صورة الأرض) المسالك والممالك وياقوت الحموى والإدريسى وناصر خسرو وابن بطوطة وهو أشهر من أن ينوه عنه .

ودارت عجلة الزمن وتطور كل شئ طبقاً لسنة النشوء والارتقاء وأصبحت السياحة تقوم على قواعد وأسس ، بل أصبحت صناعة تدر على الدولة دخلاً لايستهان به .

وكانت مصر فيما مضى من الزمان ، ولا تزال حتى الآن ، تنفرد بنصيب كبير من اهتمام السائحين لما توافر فيها من المغريات ذات الطابع الجذاب التى تستهوى أفئدة محبى الرحلات ، ذلك لأن مصر غنية بآثار الفراعنة ذات الروعة والجلال من حيث الفن التصويرى الرفيع ، والعمائر الباسقة والطلاسم السحرية ذات الأساطير الخلابة والأقاصيص الشائقة والتعاويذ الرهيبة .

كما أن بها أيضاً الأهرام الخالدة الذكر ، وأبو الهول . هذا إلى مايتوافر فيها من الدفء فى الشتاء لمن أضره البرد ، والشمس الساطعة لمن أنهكت صحته الأجواء المليئة بالضباب والزوابع والأنواء .

كما أن مصر تملك شواطئ ممتدة على البحر المتوسط تتمتع باعتدال بالغ فى مناخها وصفاء مستمر فى جوها ، وسهولة فى مواصلاتها وحسن مواقعها إلى الدرجة التى لا يمكن معها للمقيم أن يعوزه مزيد من الرفاهية والاستمتاع .

ولا يوجد بلد فى العالم له كل هذه الخصائص وكل تلك المزايا الفريدة .

هذا إلى المركز التجارى الممتاز الذى تتمتع مصر لموقعها بين الشرق والغرب ، ولمكانتها فى الجامعة العربية وممثلها فى هذه المنظمة التى ينتظر ازدهارها واتساعها وعلو شأنها .

ولا داعى لأن أبين الأهمية الكبرى للناحية الاستراتيجية السياحية لمصر فى هذا المجال. وإذا كانت السياحة فيما مضى من الزمان تعتبر ترفاً لا يستطيعه الا أصحاب الثراء الواسع والدخل الضخم ، فقد أصبحت اليوم تجارة وصناعة وفناً وعلماً تسعى الدول بشتى الوسائل إلى استغلالها لتعريف العالم بما بلغته كل دولة من نهضة ورقى وتقدم وازدهار. علاوة على ما فى السياحة من دعم للروابط وتوطيد للعلاقات بين الشعوب ، فضلا عما تجلبه من رخاء مادى للدولة والأهالى .

وإذا كانت بعض البلاد — التى لم تبلغ مبلغنا من عراقة التاريخ وأصالة الفن وعظمة الآثار الخالدة على مر الزمن ، ومن اعتدال المناخ الذى لا يكاد يكون له نظير فى العالم — تبذل جهداً عظيماً فى الدعاية السياحية ، فالأولى بنا — نحن على ما هو معروف ومشهور من امتيازنا بالثروة الأثرية التى لا مثيل لها — أن ندعو بكافة الوسائل إلى ما يجلب إلينا أكبر عدد من السائحين ، وهو أمر ليس بالعسير على الثورة التى حققت فى فترة وجيزة أعمالاً تعتبر فى حكم المعجزات .

ولا يسع المرء إلا أن يعترف بتلك الخطوات الجبارة التى خطتها جمهوريتنا الفتية سريعاً ، ولذا فإنى أهيب بالمسئولين عن هذا المرفق الهام أن يولوه عناية أكبر ليصلوا به إلى المستوى المرموق .

والأمل كبير فى أن تصل الجمهورية العربية المتحدة فى مستقبل قريب إلى مصاف الدول السياحية الكبرى .

تمهيـــد

وهبت الطبيعة مصر مناخاً ساحراً وامتازت بآثار خالدة على مر الزمن هي ثمرة حضارات عريقة متعاقبة من فرعونية وإغريقية ورومانية إلى قبطية وإسلامية .

وهي تحيا اليوم في حضارة حديثة ونهضة شاملة وتتمتع بمركز جغرافي مرموق ، فبلادنا تعتبر همزة الوصل بين قارات ثلاث وملتقى خطوط بحرية وبرية وجوية تميزها على معظم بلاد العالم التي تتفاخر بآثارها وموقعها ومناخها وإن لم تبلغ في هذا المضمار ما بلغته جمهوريتنا .

لقد هيأت الطبيعة لمصر هذه الخصائص والمزايا حتى لكأنها كانت على اتفاق مع أجدادنا لتجعل منها بلداً سياحياً من الطراز الأول .

كانت الرحلات تعتبر منذ أقدم العهود من العوامل النفسية التي تدفع المرء إلى الوقوف على ما في العالم من آثار وعادات وتقاليد وطباع ، تتيح له مقابلة وجوه جديدة تتبادل معها مختلف أنواع الثقافات والفنون والآداب . وقد تطورت أساليب السياحة جيلاً بعد جيل حتى أصبحت في عصرنا هذا علماً يدرس، بل مورداً من أهم موارد الثروة القومية في كثير من بلاد العالم، فلا غرابة أن نالت عناية خاصة من رجال الاقتصاد وعلماء النفس ومن وسائل الإعلان عنها بمختلف أنواع الدعايات لها .

فكثير من دول العالم تعتمد اليوم في اقتصادها على السياحة،ونذكر هنا من باب المثال لا الحصر دولة سويسرا التي أثرت مواردها بالدولارات الأمريكية،وإيطاليا التي رسمت سياستها المالية على أساس السياحة بحيث لاتنقطع أفواج السائحين عنها طوال العام ؛

ولقد بلغ عدد السياح فى عام ١٩٦٤ ثمانية وعشرين مليونا . بل إن الكنيسة البابوية فى الفاتيكان خرجت بمشروع سياحى اتسم بالطابع الدينى فجلبت إليها الملايين من شتى بقاع العالم ، وكان تحت عنوان الاحتفال بالسنة المقدسة . كما وضعت انجلترا صناعة السياحة فى مقدمة مواردها المنظورة وغير المنظورة .

وليس كل السائحين من الطبقات الثرية . فهناك الطبقات ذات الدخل المحدود التى لاينكر أثرها فى تنشيط السياحة وازدهارها ، إذ فكر رجال السياحة والاقتصاد فى فتح مجال جديد لأفراد هذه الطبقة فى ميدان السياحة . ومن المسلم به أن غالبية المثقفين فى كل بلدهم فى العادة من الطبقة المتوسطة وقد يصل عددهم إلى عدة ملايين فى كل موسم . وإذا كان مركز مصر يتطلب دعاية قوية فى ميدان السياحة الدولية للقضاء على التحديات الاستعمارية ، فإنه يتطلب أيضاً دعاية عريضة بحيث يستطيع منافسة أكبر دول العالم فى جذب السياح .

ووزارة السياحة فى جمهوريتنا تستطيع بوجه عام بفضل ما تبذله من جهود وتعده من دعايات وخدمات أن تنهض بهذه المهمة فى يسر ، لأن السائح إذا استمتع بما يشتهيه خلال رحلاته فى بلادنا ، كان عند عودته لوطنه خير سفير لنا .

والسياحة ليست تجارة وصناعة فحسب ، بل هى فن ودبلوماسية مقنعة أيضا . وإذا وجب على الإنسان قبل أن يخوض معركة ما أن يعد السلاح الذى يكفل له النصر ، فعلى شركات السياحة والهيئات السياحية عندنا أن لاتقصر جهودها على شئون الدعاية فقط ، إذ أن مهمتها الأولى تكمن فى تعهد السائح منذ اللحظة الأولى لوصوله ، ومعاونته على استيفاء الإجراءات الجمركية وتسهيل مرور متاعه وتيسير إقامته بوساطة مندوبيها وإرشاده إلى الأماكن

التى سيرتادها والآثار التى سيشاهدها وتسهيل إجراءات تحويل النقد إلى غير ذلك .

كما ينبغى أن يكون لنا فى الخارج شركات سياحية أو مكاتب تنهض بعبء مهمتها السياحية بحيث لاتقع بلادنا تحت نفوذ الشركات الأجنبية ،وأظن أننا لسنا من السذاجة بحيث ننتظر من هذه الشركات الأجنبية أن توجه السائحين إلى بلادنا دون بلادها .

وإن أبواب هذا الكتاب لكفيلة بإعطاء صورة واضحة لما تبذله البلاد الأجنبية التى زرتها من جهود بالغة فى جذب السائح وإغرائه بالعودة إليها لما يجده من رعاية وحسن وفادة وخدمة طيبة .

وإنى أعرض هذه الأبواب على كل مسئول عن السياحة فى الجمهورية العربية المتحدة ،وإلى كل مصرى يهمه أن تكون بلاده قبلة السائحين من كل أنحاء العالم .